العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع

شهر محرم
شهر صفر
شهر ربيع الأول
شهر ربيع الثاني
شهر جمادى الأولى
شهر جمادى الآخرة

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

التصميم و الإخراج
حسين عقيل
حيدر فائق هادي

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

فرض الله سبحانه وتعالى على الآباء والأمهات حسن تربية البنين والبنات؛ والهدف الأساس للتربية هو إعداد الفرد عقلياً وروحياً لمعرفة خالقه تبارك وتعالى، والاعتقاد بأنبيائه وأوصيائه سلام الله عليهم؛ حتَّى يسير على شرعه ونهجه، ضمن منظومات فكرية ثلاث تتمثل بدائرة العقائد، والأخلاق، والفقه؛ ومما لا شكَّ فيه أن المنظومة العقائدية أهم تلك المنظومات.

إنَّ الاهتمام ببناء الأبناء عقائدياً هو منهج الأنبياء، والأوصياء، والمصلحين؛ إذ يُمثّل أقوى عامل في حماية الفرد، والمجتمع من الضّلال، والفتن، والانحراف في المستقبل، ولا تقتصر عملية التربية في الصغر فقط، وإنَّما تستمرّ حتى الكبر، فهم بحاجة الى بناء قاعدة قوية ومتينة من خلال التَّوجيه، والإرشاد بعد سنِّ التَّكليف، لأنَّهم سيواجهون الكثير من الشبهات والعقائد الفاسدة، وعليه فإنَّ العقيدة بحاجة الى التذكير المستمر والاستحضار الدَّائم؛ وأمَّا إهمال الآباء لأبنائهم وخاصّة فيما يختصّ بالعقيدة هو تقصير في حقّهم، ولن يستطيعوا مواجهة الأفكار الضّالّة والمعادية للإسلام؛ بوسائلها المختلفة والحديثة كالإنترنت، والفضائيات ذات الأبعاد والاتجاهات المتنوعة، حيث أصبح الانتقال إلى النّموذج الغربي وقيمه المعاصرة يطرح نفسه بشدّة على جميع الأسر، وخاصّة فئة الشباب والفتيات؛ الذين يُمثّلون عماد كل أمة وقلبها النابض؛ إذ بصلاحهم يصلح المجتمع؛ وللنهضة الحسينية أثر واضح وكبير على سلوك وتصرف أغلب الشباب وبخاصة الذين ينظرون إليها كمنهج فكري وعملي خطَّه الإمام الحسين عليه السلام.

فعاشوراء تبني هويّةً للشباب، وتبني عقائدهم، وتحقق له الشعور بالانتماء ،والهوية والانتماء طريقان الى بناء الأهداف في الحياة، من خلال تلك النّماذج التي يتفاعل معها بمشاعره وأفكاره، فالنّموذج هو الذي يصبح المرجع للأجيال في تشكيل شخصياتهم لذلك كان شكل النّموذج مرحلة أساسية في بناء المجتمعات. وكانت نماذج النّهضة الحسينية قدوة للشباب في بناء هويّاتهم والثّقة بأنفسهم وقدراتهم، والشعور بالمسؤوليات الملقاة

عليهم؛ وأوّل تلك المسؤوليات الملقاة على الجميع هي إقامة المجالس الحسينية، والمشاركة في إحياء الشعائر الحسينية؛ لأنَّها تُمثّل خزائن المعرفة والثقافة، كما أنَّ من المسؤوليات السمو الأخلاقي والسير على طريق الإمام الحسين عليه السلام ورفض الباطل، والجهر بالحق؛ وأن يكون العلم والمعرفة الأساس في هذه القضية؛ لأنَّ العلم والمعرفة هما اللذان يقودانا نحو طريق الهداية والاستقامة، وعدم الانحراف؛ فمن أراد منّا اليوم أن يلتحق بالرّكب الحسيني فعليه أن يكون مؤمناً بمبادئ الإمام الحسين عليه السلام وأهداف نهضته المباركة، ولعلَّ من أهم المسؤوليات التي ركّز عليها أئمّة أهل البيت عليهم السلام تقوى الله تبارك وتعالى.

ولطالما شدَّد الأئمَّة المعصومون عليهم السلام على موضوع التقوى والورع حتَّى أنَّهم كانوا يذكرون لأتباعهم أن لا يكون في بلد من هو أورع منه.

فالتقوى وصيّة الأئمّة عليهم السلام؛ ومن خلالها نستطيع أن ننتمي للمعصومين عليهم السلام؛ ومن دونها لا نستطيع أن ننسب أنفسنا إليهم صلوات الله عليهم؛ والإمام الصادق عليه السّلام يقول:" **إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أوجَبَ عَلَيكُم حُبَّنا ومُوالاتَنا، وفَرَضَ عَلَيكُم طاعَتَنا، ألا فَمَن كانَ مِنّا فَليَقتَدِ بِنا، وإنَّ مِن شَأنِنَا الوَرَعَ وَالِاجتِهادَ وأداءَ الأَمانَةِ إلَى البَرِّ وَالفاجِرِ، وصِلَةَ الرَّحِمِ وإقراءَ الضَّيفِ وَالعَفوَ عَنِ المُسيءِ، ومَن لَم يَقتَدِ بِنا فَلَيسَ مِنّا**" الاختصاص : ٢٤١ . إنَّ الصفة الجوهرية في أتباع أهل البيت عليهم السلام التقوى والورع؛ وقد رسم المعصومون عليهم السلام سبيلاً من شأنه أن يعكس سيرة عدل القرآن الكريم من خلال كلماتهم وسلوكهم صلوات الله عليهم؛ فمن يريد أن يكون زيناً لأهل البيت عليهم السلام ما عليه إلَّا أن تكون أفعاله مطابقة لفكرهم عليهم السلام؛ عن الإمام الصادق عليه السّلام:" **لَيسَ مِن شيعَتِنا مَن وافَقَنا بِلِسانِهِ خالَفَنا في أعمالِنا وآثارِنا**" مشكاة الأنوار: ٧٠.

إنَّ اقتران الشعائر بتقوى الله تبارك وتعالى؛ لهي أسرع وسيلة لوصول هذا الفكر إلى قلوب الناس؛ وفي الوقت نفسه فإنَّ قبول الأعمال مقترن بالتقوى؛ قال الله تعالى:(**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) سورة المائدة/ الآية: ٢٨.، بل كلّ عمل وحركة إن ارتبطت بالورع كان من شأنه أن ينمو؛ قال الله تبارك وتعالى:(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) سورة إبراهيم/ الآية: ٢٤.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الرَّسول الأعظم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحتوى

شهر محرم

كيف ننصر الإمام الحسين عليه السلام الإمام السجاد عليه السلام أنموذجاً ١١

نهضة الإمام الحسين عليه السلام أسباب ونتائج ٣٣

العبّاس عليه السلام رجل القوّة والوفاء ٤٩

شهر صفر

الإمام الحسن عليه السلام مدرسة الفكر والعقيدة ٥٧

من آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام ٧١

الخطاب التربوي النبوي وتجلياته في السنّة النبويّة الشريفة ٧٩

من مناقب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ١٠٥

ربيع الأول

مسؤوليات في عصر الغيبة ١٢٥

أمّيّة النّبي صلى الله عليه وآله تهمة داحضة ١٣٣

محنة الإمام الصادق عليه السلام ١٥١

ربيع الثاني

الوصية في الاسلام: وصية الزهراء عليها السلام الأخيرة ودورها في حفظ الهوية الاسلامية ١٦٥

جمادى الأولى

جعفر الطيار ناقل الإسلام للحبشة ١٨٩

دور خطب السيدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء ٢٠١

محاور هويّة المجتمع الإسلامي في فكر الصدّيقة الزهراء عليها السلام (خطبتها عليها السلام أنموذجاً) ٢١٩

جمادى الآخرة

منهج أم البنين عليها السلام في التربية وبناء المجتمع الصالح ٢٤٥

القصيدة

في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ٢٦١

شهر محرم

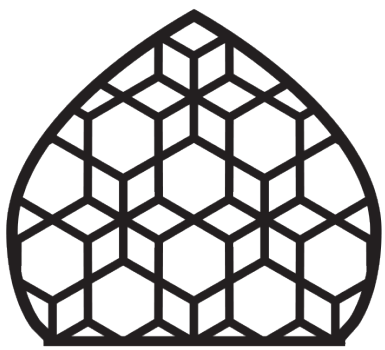

- كيف ننصر الإمام الحسين عليه السلام
- الإمام السجاد عليه السلام أنموذجًا-
- نهضة الإمام الحسين عليه السلام أسباب ونتائج
- العباس عليه السلام رجل القوّة والوفاء

كيف ننصر الإمام الحسين عليه السلام
الإمام السجاد عليه السلام أنموذجاً

صباح الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسَّلام على الحبيب المصطفى محمد وآله الطّيّبين الطّاهرين.

قال الله تعالى في محكم كتابه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ}**[1].

من القضايا البديهية، والواضحة أنَّ الله سبحان وتعالى لا يحتاج إلى نصرة بما هو الله تعالى؛ قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**[2]، وإنَّما لله تعالى أولياء، وأولياؤه يحتاجون إلى النّصرة؛ لقيام الدِّين، قال تعالى: **{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}**[3]؛ ووظيفة الأمَّة أن تنصر الأولياء، والسفراء الذين يمثلون الخالق تبارك وتعالى؛ بوصفهم حجج إلهية أنزلت، وأخرجت للناس.

والنَّصر لغة:

«نصر: أصل صحيح يدلّ على إتيان خير وإيتائه. ونصر الله المسلمين: آتاهم الظَّفر على عدوّهم... والنّصر العطاء»[4].

و«نصرته على عدوّه، ونصرته منه نصرًا: أعنته وقوّيته، والفاعل ناصر ونصير، وجمعه أنصار. والنّصرة بالضمّ اسم منه. وتناصر القوم: نصر بعضهم بعضًا... واستنصرته: طلبت نصرته»[5].

والأصل الواحد في المادّة: هو إعانة في قبال مخالف، كما أنّ الإعانة تقوية شيء في نفسه، ومن دون نظرٍ إلى غيره. وأما مفاهيم الإعطاء، والانتقام، والتّقوية: إذا لوحظ فيها القيدان المذكوران فتكون من مصاديق

(١) الصف: ١٤.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) آل عمران: ٥٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادّة: «نصر».

(٥) المصباح المنير، مادّة: «نصر».

الأصل، وإلّا فهي من التجوّز بمناسبة مطلق الإعانة بوجهٍ... «ثمّ إنّ النّصرة إذا استُعمل بحرف (على) فيدلّ على الاستيلاء، والغلبة كما في: ﴿**وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[1]، وإذا استُعمِل بحرف (مِن): فيدلّ على الجانب والجهة كما في قوله: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾[2]... وإذا استُعمل مطلقًا وبدون قيدٍ: يدلّ على مطلق النّصرة، كما في: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[3]»[4].

أمّا معنى النّصرة اصطلاحاً: هي الإعانة على الشيء، ويقابله الخذلان، وقد تكون باللسان، وقد تكون بالمال، وقد تكون باليد والنّفس بحسب طبيعة القضايا، ودرجة حساسيّتها، وخطورتها.

إنَّ أبرز مصداق للنصرة نصرة وليّ الله تعالى، ويأتي في رأس أولياء الله النبيّ محمّد ﷺ، وقد أمر تعالى بذلك في قوله: { **فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[5].

فقد حثّ المولى تبارك وتعالى على الإيمان بالنبيّ محمّدﷺ ونبوّته، وتعزيره أي تعظيمه ونصرته. ويأتي في جملة نصرة الله تعالى نصرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا كان من علامات، وصفات الشيعة أنّهم ناصرون لأهل البيت عليهم السلام فعن الإمام عليّ عليه السلام: « **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا، وَاخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا، وَيَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا، وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، وَيَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِينَا [أُولَئِكَ مِنَّا] وَإِلَيْنَا، وَمَا مِنَ الشِّيعَةِ عَبْدٌ يُقَارِفُ أَمْراً نَهَيْنَاهُ عَنْهُ فَلَا يَمُوتُ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلِيَّةٍ تُمَحَّصُ فِيهَا ذُنُوبُهُ، إِمَّا فِي مَالِهِ، أَوْ وُلْدِهِ، أَوْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَمَا لَهُ ذَنْبٌ، وَإِنَّهُ لَيَبْقَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ مِنْ ذُنُوبِهِ فَيُشَدَّدُ [بِهِ] عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَالْمَيِّتُ مِنْ شِيعَتِنَا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ صَدَّقَ بِأَمْرِنَا، وَأَحَبَّ فِينَا، وَأَبْغَضَ فِينَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)**»[6].

فمن هذه الآيات، والأحاديث الشريفة نستنتج أنَّ نصرة الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام هو نصر لله تعالى.

ومن جملة هؤلاء الذين يجب نصرهم هو الإمام الحسين عليه السلام ؛ فقد كان يكرّر في يوم عاشوراء، ويطلب النّاصر بحسب المصادر التي نقلت واقعة الطَّف، وذكرت؛ عندما استشهد جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام،

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٢، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٤.

(٤) م.ن، ص ١٥٦.

(٥) الأعراف: ١٥٧.

(٦) الخصال: ٦٣٥.

وبقي الإمام وحيداً قال: **" هَلْ مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ الله ﷺ، هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ الله فِينَا، هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو الله بِإِغَاثَتِنَا، هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ الله فِي إِعَانَتِنَا"**[1].

وتختلف النّصرة من ولي إلى ولي؛ فمرَّة يكون النّاصر وليّاً من الأولياء، أو معصوماً من المعصومين ﷺ كما في نصرة أمير المؤمنين ﷺ حينما نصر الرّسول الأعظم محمد ﷺ، وتارة يكون النَّاصر من عامَّة الناس.

ولكن كلّ ناصر قربه ومنزلته عند الله سبحانه حسب حجم الدَّعم الذي يُقدِّمه للمنصور؛ فنصرة أمير المؤمنين علي ﷺ للنبي الأكرم ﷺ غير نصرة الآخرين؛ لأنَّ الانطلاقات، والاندفاعات، والمقاصد التي كان يحملها علي بن أبي طالب ﷺ أكبر من الدنيا، وما فيها؛ بخلاف نصرتنا؛ التي تكون في الغالب من أجل قضايا لها علاقة بالأجر المقابل؛ فالكثير منَّا يريد النّصرة للنبي ﷺ وآله صلوات الله عليهم؛ ولكن من أجل الثواب؛ فهناك فرق بين أن ننصر النّبي ﷺ حتَّى نحصل على جنّة، وثواب، وأشباه ذلك، وبين نصر النبي ﷺ حباً به؛ فشتَّان بين الخطَّين، والناصرَين.

فكلّ شخص ينصر وفق رتبته، وفهمه، ومحتواه الرّوحي الذي يمتلكه.

وأوّل ناصر بعد معركة الطَّفّ نصر الإمام الحسين ﷺ هو الإمام زين العابدين ﷺ؛ وإن كان كثيرٌ من الخطباء والكتّاب يشيدون بالدّور الذي نهضت به مولاتنا زينب صلوات الله عليها؛ ولا إشكال ولا ريب في ذلك؛ إلَّا أنَّ المعصوم ﷺ هو الأسبق، وهو الأوّل، بل كانت مولاتنا زينب ﷺ تتحرّك وفق آليّة معيَّنة من الإمام السّجّاد ﷺ.

فممّا لا شكّ فيه أنَّ أوَّل من نصر الإمام الحسين ﷺ بعد المعركة هو الإمام زين العابدين ﷺ، وكان يتكفّل عمليّة التّوجيه للسبايا في كيفيّة التّعامل مع ذلك الظّرف العصيب؛ فمن جهة يريد الإمام ﷺ أن يُحافظ على الثّلّة الباقية، ومن جهة أخرى يُريد أن يخرج رسالة ذلك الوجود المقدَّس ﷺ الذي أسيل دمه في أرض كربلاء.

فاستطاع الإمام السّجّاد ﷺ أن ينهض بمجموعة من الطرق التي تؤكّد، وتعمل على نصرة القضيّة الحسينيّة؛ وما نعيشه اليوم في كلِّ مجالات الشّعائر الحسينيّة إنَّما هي من ثمار، وعطاء وجهاد الإمام زين العابدين ﷺ.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٦.

من أدوار الإمام السجاد عليه السلام

الدور الأوّل: البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

أوّل وسيلة نهض بها الإمام عليه السلام البكاء على سيّد الشّهداء عليه السلام؛ فقد كان يبكي على الإمام الحسين عليه السلام بكاءً مُرًّا؛ حتّى تختلط دموعه بشرابه؛ وطعامه الذي يتناوله الإمام عليه السلام؛ فقد بكى الحسين عليه السلام سرًّا، وجهارًا، ليلاً، ونهارًا؛ في البيت، والطّريق، والسّوق، وفي كلّ مكان؛ فقد روي عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: ((**أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ بَكَى عَلَى أَبِيهِ ...صَائِماً نَهَارُهُ قَائِماً لَيْلُهُ، فَإِذَا حَضَرَ الْإِفْطَارُ جَاءَ غُلَامُهُ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَيَقُولُ: كُلْ يَا مَوْلَايَ.**

فَيَقُولُ: قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله جَائِعاً، قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ الله عَطْشَاناً، فَلَا يَزَالُ يُكَرِّرُ ذَلِكَ وَيَبْكِي حَتَّى يُبَلَّ طَعَامُهُ بِدُمُوعِهِ وَيُمْزَجَ شَرَابُهُ بِدُمُوعِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِالله عَزَّ وَجَلّ))[1].

والسّؤال المهمّ: لماذا كلّ هذا العكوف الطّويل على البكاء؟ والجواب على ذلك أنَّ الإمام السّجّاد عليه السلام أراد من هذا البكاء الطّويل الإشارة إلى مجموعة من القضايا التي من المؤكَّد أنَّ العقل لا يصل إلى حقيقتها، وإن قام بعمليّة تحليل بعضها، والأهداف المقصود منها؛ إلّا الواقع أنَّ العقل البشري دون المعصوم عليه السلام لم يصل إلى كنه فعل المعصوم عليه السلام.

إنَّ الإمام عليه السلام من خلال بكائه استطاع أن يبثّ روحانيّة الحزن في العالم؛ فقد شكّل حزن الإمام عليه السلام تردّدات حزينة في العالم؛ فأدخل الحزن على كلّ العالم؛ فتأثّرت النّفوس ببكاء الإمام السَّجّاد عليه السلام؛ ودخلها الحزن على المصيبة العظمى التي لم ترتكب مثلها على وجه الأرض؛ وحينما نقول أنَّ الإمام عليه السلام أدخل على كلّ الوجود الحزن والبكاء فليس هذا بالبدع التي يمكن أن تنسب لقائلها؛ ولكنّها حقيقة قرآنية أشار إليها القرآن الكريم في آياتٍ عديدة؛ فحينما يتحدّث عن النّبي داود على نبيّنا وآله وعليه الصّلاة والسّلام، يشير إلى حقيقة تأثّر كلّ الوجود بحزن داود عليه السلام: {**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ**}[2]؛ فالقرآن الكريم ينطق بهذه الحقيقة؛ وأنَّ هذا النّبي صلى الله عليه وآله كان إذا خرج يبتهل، ويدعو الله سبحانه وتعالى، ويبكي خوفاً، وشوقًا منه وإليه سبحانه وتعالى، ثمَّ يبتهل بضراعة، وينوح؛ فكانت الأرض والجبال، والطير تؤوب معه عليه السلام؛ قال تعالى: {**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**}[3].

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٩.

(٢) سبأ: ١٠.

(٣) ص:١٧-٢٠.

فكان العالم الذي يحيط به بأجمعه يتجاوب مع ذلك المشهد، والواقع الحزين الذي يبثّه داود ﷺ، وبتعبير آخر:

إنَّ النَّبي داود ﷺ بثَّ الحزن في أرجاء العالم؛ حتَّى تأثّرت بحزنه ونوحه الجبال، والطّيور فنطق القرآن الكريم بهذه الحقيقة، التي هي على غرار، ونظير ما كان يصنعه الإمام السَّجّاد ﷺ؛ فمن يرفض حقيقة بث الحزن الذي بثّه الإمام السّجّاد ﷺ فمن باب أولى عليه أن ينكر الحزنَ الذي بثَّه نبي الله تعالى داود ﷺ.

لقد استطاعَ الإمام خلال عشرين عاماً أن يولّد تردّدات روحانية من الحزن دخلت إلى كلِّ أنحاء الوجود، فقد ولّد مصيبة كونيّة أثّرت في نفوس كلِّ العوالم؛ وثمرة تلك الزّفرات والدّموع السّجّادية أن ربط الأمّة بأبي عبدالله الحسين ﷺ الذي قتل أبشع قتلة، وطحنوه بعد ذلك بسنابك الخيل؛ لقد كانت مهمّة عظيمة للإمام ﷺ مع أمّة قتلت أعظم رمز يُمثّل الخالق تبارك وتعالى؛ فأيّ شيء بقي عند تلك الأمّة؟

فمن ضمن ما أراد الإمام ﷺ أنَّه أراد أن يزرع في المجتمع ما زرعه النبي الأكرم ﷺ، وأن يربط الأمّة بالرّمز المقدّس من جديد؛ وهذه مسؤوليّة كبيرة، وليست بالهيّنة.

لقد كانت الأمّة في العصر الذي عاشه الإمام السّجّاد ﷺ أقل ما يُقال فيها أنّها أمّة جاهلية بمعنى الكلمة.

عصر الإمام السجاد ﷺ

فقد شهد عصر الإمام زين العابدين ﷺ جملة من الاضطرابات السّياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، لم يشهده عصر من قبل؛ فقد شحن بالفتن الفظيعة، والأحداث الجسام، مما جعله يفقد روح الاستقرار والطّمأنينة، ويعيش في دوّامة من القلق، والقتل، والتّشريد، والتّجويع.

لقد كان الملوك الأمويون، وولاتهم في عصر الإمام ﷺ في أوج قوّتهم في ملكهم، ويشهد التاريخ بأنَّهم أشدّ الناس قسوة وانحرافاً عن الإسلام حيث وصل بهم الأمر إلى رمي الكعبة بالمنجنيق[1] وسبي المدينة، وقتل ريحانة رسول الله ﷺ.

وأمَّا ملوك عصره، وولاتهم؛ فمنهم: يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك؛ والحجّاج بن يوسف الثّقفي، وعبيد الله بن زياد، وهشام بن إسماعيل والي المدينة.

وكلّ هؤلاء كانوا من الفاسقين، الظّالمين، لا يتورّعون عن ارتكاب الحرام، ففي عهدهم قُتل أشرف الناس أبو عبدالله الحسين ﷺ، وسُبيت المدينة، وهُدّمت الكعبة، ورميت بالمنجنيق. ويزيد الخمير السّكير كان صاحب كلاب، وقرود، ومنادمة على الشّراب. والحجّاج بن يوسف الثّقفي كان ظالماً غشوماً أهلك الحرث، والنّسل،

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة: ١١٦.

وتطاول على الصّحابة الشّرفاء، والعلماء الفضلاء.

وفي مثل هكذا أمّة ميّتة يحتاج الإمام ﷺ أن يعيد نبض الرّوح من جديد في نفوس هؤلاء الناس، وإرجاعهم إلى الصّراط المستقيم، وأمام فجور بني أميّة علينا أن نتخيّل حجم الكارثة البشريّة، وحجم الدّور الذي قام به الإمام السّجّاد ﷺ لبثّ الضّمير بعد أن ماتت النّفوس.

تنبيه مهم

وقبل أن نُبيّن بعض أسرار البكاء على الإمام الحسين ﷺ لا بُدَّ أن نعترف أنّنا لا نستطيع أن نكتشف وجه الحكمة الحقيقية للبكاء، وما تُوصّل إليه إنّما هي ظنون، ولا تمثل اليقين في ذلك؛ فالله تبارك وتعالى إذا أراد أن ينصر أولياءه ينصرهم بطرق عجيبة وغريبة؛ قد لا تمرّ على عقل بشر؛ وهكذا نصرة سيّد الشهداء ﷺ بالبكاء؛ فنحن لا نستطيع أن نكتشف الحكمة والسّرّ الحقيقي له؛ فالنّصر إذا تعلّق بالله تعالى ينصر أولياءه بطرق مختلفة؛ ولأضرب لكم أمثلة نوضّح من خلالها هذه القضيّة:

المثال الأوّل: قصّة النّبي نوح ﷺ

عن أبي جعفر ﷺ قال: مكث نوح ﷺ في قومه يدعوهم [الى الله] سرّاً وعلانية، فلمّا عتوا، وأبوا قال: { ...**أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ** }[1] فأوحى الله تعالى إليه أن اصنع الفلك، وأمره بغرس النّوى، فمرَّ عليه قومه فجعلوا يضحكون، ويسخرون، ويقولون: قد قعد غراساً حتّى إذا طال وصار طوالاً قطعه ونجره، فقالوا قد قعد نجّاراً، ثمّ ألّفه فجعله سفينة، فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون، ويسخرون، ويقولون: ((قد قعد ملّاحاً في أرض فلاة حتّى فرغ منها)) [2].

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: ((صنعها في ثلاثين سنة، ثمَّ أمر أن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين الأزواج الثّمانية الّتي خرج بها آدم ﷺ من الجنّة؛ ليكون معيشة لعقب نوح ﷺ في الأرض، كما عاش عقب آدم ﷺ، فإنّ الأرض تغرق بما فيها إلّا ما كان معه في السّفينة))[3].

وهكذا قصّة موسى الكليم ﷺ.

هذه بعض مظاهر النّصر لله تعالى لأوليائه، وهناك العديد من القصص المتعلّقة بذلك[4]. والغالب فيها

---

(١) القمر: ١٠.

(٢) بحار الانوار: ١١ / ٣٢٣

(٣) م. ن: ١١ / ٣٢٤

(٤) للمزيد راجع كتاب قصص الأنبياء للقطب الراوندي. قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، تصحيح وتعليق غلام رضا عرفانيان، نشر مجمع البحوث: الإسلامية/ ١٤٠٩.

الغرابة في كيفية النّصر حينما يريدُ الله تعالى نُصرة أوليائه.

وهكذا نصرة سيّد الشّهداء أبي عبدالله الحسين ﷺ، حينما نصر بعدّة طرق ومنها البكاء؛ لكنّنا لا نفقه اكتشاف السّرّ الحقيقي لهذا الطَّريق؛ فالأمر كما مرّ إذا أراد الله تعالى أن يسلك بأمّة طرق نجاة الأمم حينها ستكون بطرقٍ غريبة.

ثمَّ إنَّ أغلب الطّرق في نصرة الأولياء قد تُثير سخريّة البعض؛ وقد مرّ علينا ذلك في قصّة نوح ﷺ إلَّا أنَّ الواجب أن نعترف بقصورنا، وجهلنا بطرق النّصر الإلهي، وهكذا القضيّة في نصرة سيّد الشّهداء ﷺ بالبكاء، والزّيارة، وإقامة العزاء؛ قد تثير السّخرية إلَّا أنَّ السَّاخر؛ إنَّما يصدر هذا منه؛ لأنَّه لا يفقه شيئاً في أساليب النّصر إذا تعلَّق بالله تعالى.

عن معاويةَ بن وَهب قال: « استأذنت على أبي عبدالله ﷺ فقيل لي: اُدخل، فدخلت فوجدته في مصلّاه في بيته فجلست حتّى قضى صلاته فسمعته يناجي رَبَّه وهو يقول: « اللهُمَّ يا مَنْ خَصَّنا بالْكَرامَةِ؛ وَوَعَدَنا بالشَّفاعَةِ؛ وَخَصَّنا بالوَصيَّةِ؛ وأعْطانا عِلمَ ما مَضى وعِلْمَ ما بَقيَ؛ وَجَعَلَ أفْئدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْنا، اغْفِرْ لي ولإخْواني وَزُوَّارِ قَبر أبي الحسين، الَّذين أنْفَقُوا أمْوالَهُمْ وَأشخَصُوا أبْدانَهم رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِنْدَكَ في صِلَتِنا، وسُروراً أَدْخَلُوهُ عَلى نَبِيِّكَ، وَإجابَةً مِنهُمْ لأمْرِنا، وَغَيظاً دْخَلُوهُ عَلى عَدُوِّنا، أرادُوا بذلِكَ رِضاكَ، فَكافِئْهُمْ عَنّا بالرِّضْوانِ، واكْلأْهُم باللَّيلِ وَالنَّهارِ، واخْلُفْ عَلىٰ أهالِيهم وأولادِهِمُ الَّذين خُلّفوا بأحْسَنِ الخَلَفِ وأصحبهم، وَأكْفِهِمْ شَرَّ كلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ؛ وَكُلّ ضَعيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَديدٍ، وَشَرَّ شَياطِينِ الإنْس وَالجِنِّ، وَأعْطِهِم أفْضَلَ ما أمَّلُوا مِنْكَ في غُرْبَتِهم عَنْ أوْطانِهِم، وَما آثَرُونا بِهِ عَلى أبْنائهم وأهاليهم وقَراباتِهم، اللهُمَّ إنَّ أعْداءَنا عابُوا عَلَيهم بخُروجهم، فَلم يَنْهِهم ذلِكَ عَنِ الشُّخوصِ إلينا خِلافاً مِنْهم عَلى مَنْ خالَفَنا، فارْحَم تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتي غَيْرتها الشَّمْسُ، وَارْحَم تِلكَ الخدُودَ الَّتي تَتَقَلّبُ علىٰ حُفْرَةِ أبي عَبدِالله الحسينِ عليه السّلام، وَارْحَم تِلكَ الأعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُمُوعُها رَحمةً لَنا، وارْحَم تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتي جَزَعَتْ واحْتَرَقَتْ لَنا، وارْحَم تِلكَ الصَّرْخَةَ الَّتي كانَتْ لَنا، اللهمَّ إني اسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهِمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ (الأكبر)))»[1].

فما زال يدعو ﷺ وهو ساجدٌ بهذا الدُّعاء، فلمّا انصرف قلت: جُعِلتُ فِداك لو أنَّ هذا الَّذي سَمعتُ منك كان لِمن لا يَعرفُ اللهَ عزَّوجَلَّ لَظننتُ أنَّ النّار لا تطعم منه شَيئاً أبداً!! والله لقد تمنَّيتُ أنّي كنتُ زُرْتُه ولم أحُجّ، فقال لي: ما أقربك منه؛ فما الَّذي يمنعك مِن زيارته؟ ثمَّ قال: يا معاويةُ لَم تدع ذلك، قلت: جُعلتُ فِداك لَم أرَ أنَّ

(١) كامل الزيارات: ١١٦-١١٧.

الأمر يبلغ هذا كلّه ؟ فقال: يا معاوية [و] مَن يدعو لزُوَّاره في السَّماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض»[1] .

فنلاحظ الكثير من ظاهر الرّواية كانوا يسخرون بأساليب، وطرق النّصر للقضيّة الحسينيّة؛ وهكذا نعيش اليوم مع كثيرٍ ممن يسخر من هذه الشعائر؛ وبعض هؤلاء يُنعت بالمثقّف، والعالم، ولكن جهلهم بأساليب النّصر إذا فعلها الله تعالى هو ما يدفعهم إلى ذلك؛ وأنا على يقين أنَّ هؤلاء لو كانوا في عصر نبي الله تعالى نوح ﷺ لسخروا من نوح ﷺ، ولو كانوا في عصر الإمام السّجّاد ﷺ لطلبوا من الإمام السّجّاد ﷺ أن ينتهي عن البكاء كما أمروا مولاتنا الزّهراء ﷺ بذلك[2].

إنَّ السّخرية والاستهزاء بالشّعائر الحسينية إنَّما هو ديدن إبليس، وأعوانه؛ وكلّ من يُحاول التّشكيك في هذه الشّعائر إنَّما هو من أعوانهم؛ سواء علم؛ أم لم يعلم.

قال أمير المؤمنين ﷺ: ((**إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ[3] يَطِيرُ فَرَحاً فَيَجُولُ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِشَيَاطِينِهِ وَ عَفَارِيتِهِ فَيَقُولُ يَا مَعَاشِرَ الشَّيَاطِينِ قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ الطَّلِبَةَ وَ بَلَغْنَا فِي هَلَاكِهِمْ الْغَايَةَ وَأَوْرَثْنَاهُمُ النَّارَ إِلَّا مَنِ اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْعِصَابَةِ فَاجْعَلُوا شُغُلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ وَ حَمْلِهِمْ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَإِغْرَائِهِم بِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ حَتَّى تَسْتَحْكِمُوا ضَلَالَةَ الْخَلْقِ وَ كُفْرَهُمْ وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاج**))[4].

وخلاصة الأمر نحن لا نستطيع أن نكتشف وجه الحكمة في الطّرق الوحيوية، ولا نقدر أن نكتشف طرق الدّعم، والإسناد الإلهي؛ وليس مطلوباً منّا لأن نفهم كلّ شيء؛ فبعض القضايا نمتحن بها، وليس أمامنا إلَّا التّسليم لله تبارك وتعالى وللمعصومين ﷺ، ولا يحقّ لنا أن نتدخّل في فلسفة ما لا نفهم؛ فعدم فهم بعض الشّعائر؛ لا يؤثّر على مفعول تلك الشّعيرة؛ سواء توصَّلنا إلى الحكمة أو لا؛ فالذين عاشوا في زمان نوح ﷺ؛ فهموا أم لم يفهموا؛ فالنتيجة السفينة أنجزت، وانطلقت، وركب فيها من نجا، وغرق من تخلَّف عنها، وخسر دنياه وآخرته.

فما لم تفهمه اليوم سوف تفهمه غداً، ولكن هناك فرق بين شخص صدَّق، وسلَّم للأمر، وبين شخص آخر

---

(١) كامل الزيارات: ١٢٥-١٢٦.

(٢) ينظر: منع أبي بكر وعمر فاطمة الزهراء من إقامة مجالس البكاء على أبيها!

قال البخاري: ٥ / ١٤٤: (عن أنس رضى الله عنه قال لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة ﷺ: واكرب أباه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم! فلما مات قالت:
يا أبتاه.. أجاب ربا دعاه يا أبتاه.. من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه.. إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة ﷺ: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. الانتصار، العاملي: ٧/ ١٧٩.

(٣) ذَلِكَ الْيَوْمِ: يوم عاشوراء.

(٤) كامل الزيارات: ٢٦٦.

كذَّب، وسخر من الأمر، وبعد ذلك فهم العلّة، والفلسفة في ذلك؛ ولأجل أن يكون الكلام يتّسم بالصفة العلمية يمكن الرجوع للقرآن الكريم، والتّأمّل في قصّة الخضر ﷺ مع موسى ﷺ؛ ولعلها من أروع القصص التي تبين هذه الحقيقة.

فكثير من الأسرار في هذه القصة لو كنّا مكان موسى ﷺ لاتهمنا الخضر ﷺ باتهامات كثيرة؛ وحتى هذه العلل لو لم يذكرها القرآن الكريم؛ فمن الممكن أن نؤولها ونظن بها ظنّ السّوء؛ فالناس أعداء ما جهلوا.

ممكن أنَّنا من خلال بعض الرّوايات نعرف بعض أسرار البكاء؛ وفوائده؛ وأنّه يوفّق للتوبة، ويغسل أدران القلوب، والأهم من ذلك كلّه أنَّه يربطنا مع الشَّخصيّة التي نبكي عليها ونتأثّر بأخلاقه وسلوكه؛ إلَّا أنَّ القضيّة أكبر من ذلك؛ لأنَّها يمكن أن تعدّ من الألطاف الخفيّة كما حصل في قصّة الخضر وموسى الكليم ﷺ.

وهذا اللطف الخفي المتمثّل بالبكاء؛ وما يرتبط به يؤثّر في الإنسان، ويدفعه للتوفيق؛ ويقرّب الإنسان بالله تعالى؛ وجملة الرّوايات تُبيّن هذه الحقائق:

قَالَ الرِّضَا ﷺ: **((فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ فَإِنَّ الْبُكَاءَ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ ثُمَّ قَالَ ﷺ كَانَ أَبِي ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ لَا يُرَى ضَاحِكاً وَ كَانَتِ الْكِئَابَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْضِيَ مِنْهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ وَيَقُولُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ ﷺ))**[1].

وعنِ الصَّادِقِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثٍ: **((إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ ﷺ لَمَّا قَضَى بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَ مَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ- مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا وَ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى بَكَى عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ ﷺ- إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ قُلْتُ وَ مَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَشْيَاءِ قَالَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ الْبَصْرَةُ وَلَا دِمَشْقُ- وَلَا آلُ عُثْمَانَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ))**[2].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ ﷺ: **((إِنَّ الْبُكَاءَ وَ الْجَزَعَ مَكْرُوهٌ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ مَا جَزِعَ مَا خَلَا الْبُكَاءَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ فَإِنَّهُ فِيهِ مَأْجُورٌ))**[3].

---

(١) الأمالي، للصدوق: ١٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٥٠٦.

(٣) م.ن: ١٤/ ٥٠٧.

إنَّ كلَّ ما نقوله حول تحليل عمليّة البكاء بالنسبة للإمام السجاد على أبيه الحسين ﷺ إنَّما هو تحليل، وظنّ منّا؛ وإلَّا فالقضيّة أعظم ممّا نتصوّر؛ لذلك وأمام تلك الانحرافات العظيمة في الأمَّة وقتل ريحانة الرسول الأعظم ﷺ، وشيوع الجو الإعلامي المضلل، والذي تكتم علىٰ أعظم ثائر، وثورة أرادت أن تعيد الحق إلىٰ نصابه، وتستنهض الضَّمائر الميّتة، كان علىٰ الإمام السّجّاد أن ينتهج أحد خيارين:

الأول: المواجهة العلنية الصّريحة، والتّنديد المباشر بإجراءات السّلطة الحاكمة وفضحها، أي إقدامه ﷺ علىٰ عمليّة استشهادية أُخرىٰ تلحقه بأبيه وإخوته.. وبالتالي إنهاء الدّور الرّسالي المهمّ الذي يسعىٰ الإمام السجاد ﷺ إلىٰ تحقيقه من خلال كشف تلك الغيوم وتبديدها...

الثاني: الصبر علىٰ ذلك الظلم الذي شمله مع عمّته العقيلة زينب ﷺ؛ مع عمل حثيث يراد منه إعادة الأُمّة المضللة إلىٰ وعيها، وذلك من خلال اختيار طريق البكاء أوَّلاً، ثم طريق نشر العلم؛ ثم طريق الدّعاء، ومن خلال هذه الطّرق؛ وخاصّة طريق البكاء استطاع الإمام ﷺ أن يُحقّق مجموعة من الأغراض:" فقد استطاع الإمام ﷺ أن يردّ تلك الشّائعات التي نعتت الإمام الحسين ﷺ بالخارجي، ويقوم بدور إعلامي يشرح من خلاله، ويُبيّن أبعاد نهضة الإمام الحسين ﷺ والمفاهيم التي ثار من أجلها الإمام الشهيد ﷺ، إذ بكى الإمام السّجّاد ﷺ على أبيه الحسين ﷺ، حتى عُدَّ من البكّائين؛ فمن خلال درر دموعه استطاع أن يكشف ﷺ عن الظلامة التي تعرّض لها الإمام الحسين الشهيد ﷺ في صحراء كربلاء، وإنكاره الشديد على القتلة الآثمين الذين اقترفوا أثم تلك الجريمة النّكراء، فالبكاء عموماً يُثير تساؤل الناس عن أسبابه ومسبّباته، ممّا يُشكّل ذلك مناخًا صالحًا لبيان مظلوميّة الإمام الحسين ﷺ. كذلك استطاع أن يُبيّن من خلال حزنه الدَّائم على أبيه الحسين ﷺ المسوّغات الشّرعيّة لرفض سياسة من حكموا الأمّة باسم الخلافة لرسول الله ﷺ.

كما رغب الإمام ﷺ الناس في البكاء لما له من دور في تربية النّفوس، وتربيتها، وتهذيب مشاعرها وأحاسيسها من جهة أُخرىٰ، والأمر الآخر المهم أن البكاء تسبب في استنهاض الضّمير في الأُمّة ومخاطبة الفطرة السّليمة، من خلال تلك الدموع التي ذرفها الإمام ﷺ. ولذلك فإنَّ الإمام ﷺ كان يستثمر جميع المواقف والمناسبات التي تُذكّر الناس بالجريمة الكبرىٰ التي ارتكبت بحقّ سبط النبي ﷺ، وسيّد شباب أهل الجنة.

إنّه باختصار شديد، رسالة صامتة شديدة اللهجة، ودموع ناطقة، وبيان صارخ مشحون بالبكاء أرادت وتريد أن تواجه الظالم بأفصح ما يكون التعبير عن الرّفض والغضب؛ إنّه سلاح ماضٍ لكشف الجرم الكبير، وفضحه، والدعوة للاقتصاص ممّن قام به، ومن سار على خطاه... إنّه بكاء الإمام زين العابدين ﷺ "[1].

(١) ينظر الامام علي بن الحسين عليهما السلام دراسة تحليلية / مختار الأسدي / ص٤٥ – ٤٧.

العلاقة بين بكاء السجاد ونبي الله يعقوب عليهما السلام

حينما نحاول أن نبحث عن سرِّ بكاء الامام السجاد عليه السلام نجد ذلك دائمًا يرتبط بحزن النبي يعقوب عليه السلام؛ ومثال على ذلك هذه الرواية الشريفة:

" ولقد كان بكى على أبيهِ الحُسَين عليه السّلام عِشرينَ سَنة، ومَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إلاّ بكى حتّى قالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ: يا ابْنَ رَسُولِ الله أَمَا آنَ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقَضي؟! فقالَ لَهُ: ((وَيْحَكَ إِنَّ يَعْقُوبَ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْناً فَغَيَّبَ اللهُ عَنْهُ وَاحِداً مِنْهُمْ فَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ عَلَيْهِ وَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ وَاحْدَوْدَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَانَ ابْنُهُ حَيّاً فِي الدُّنْيَا وَأَنَا نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَأَخِي وَعَمِّي وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي ؟"[1].

فما هي دلالات هذا الارتباط؟

الدلالة الأولى: بيان الغطاء الشرعي للبكاء، والجزع، وكلّ الشعائر الحسينية من خلال ذكر قصة يعقوب عليه السلام، وحزنه على ولده يوسف عليه السلام.

الدلالة الثانية: بيان عظم المصيبة التي حلَّت بالإمام الحسين عليه السلام؛ وأن مصيبته لم يحدث مثلها على مرّ التاريخ.

الدلالة الثالث: بيان مكانة الإمام الحسين عليه السلام؛ وأنه في مصاف الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام.

الدلالة الرابعة: بيان العلاقة أن بعد ذلك الحزن والمصيبة سينتصر المظلوم، وستظهر الحقائق التي حاول الطغاة تضييعها.

الطريقة الثانية: نشر علوم آل محمد عليهم السلام من خلال رسالة الحقوق

تعد رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، أوَّل رسالة دونت قبل أن يعرف العالم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فهي بمثابة مقدمة قانونية ودستورية في مجال حقوق الإنسان تحمل هذا الاسم بمفهوم عالمنا المعاصر.

وتضمن كل ما يحتاجه الأفراد من حقوق وواجبات سواء في حياتهم الخاصة أم العامة، وأنّ القوانين المعاصرة ومهما بلغت من دقّة في صياغة الأحكام فإنَّها تظل بحاجة إلى التراث الحضاري القانوني لمدرسة أهل البيت عليهم السلام والسمو الفكري الراقي الذي وصلته إليه رسالة الحقوق لاسيما في تحديدها لفكرة الحق.

وقد شرحها العديد من العلماء، وبيَّنوا بعض أسرارها؛ ولكن السر الأعظم في هذه الرسالة أنَّ الإمام عليه السلام

---

(١) الخصال: ٢/ ٥١٩-٥١٨.

أراد أن يصنع بشراً أعظم من الملائكة، من خلال تعليمه ما له وما عليه، ويعرف حق ربِّه وحق نبيه ﷺ، وكلّ ما يتعلّق به، وبعد المعرفة يؤدي تلك المعرفة على أرض الواقع؛ وأن الكون بأجمعه قائم على نظام الحقوق، والواقع والحقيقة وبدون أي مبالغة لو طبقت رسالة الحقوق بمضامينها لعاش العالم جنَّة الخالق؛ وهم في الدنيا.

إنَّها رسالةٌ جامعة وشاملة لمعالجة شؤون الإنسان في علاقاته الثلاث: مع ربِّه ونفسه ومجتمعه. فهي لم تترك موضوعاً من موضوعات الحياة الإنسانية الهامة، تربوياً وأخلاقياً وفردياً واجتماعياً إلاَّ وتطَّرقت إليه.

وتتألف رسالة الحقوق من خمسين حقاً؛ ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام ملخصةً في مقدمة الرسالة بتعدادها، مبيناً الصلة فيما بين الحقوق، ثم فصَّل كلَّ حقٍّ من الحقوق الخمسين بفقرة مستقلّة، موضِّحاً فيها أبرز معالم الحق المقصود، فنتج عن ذلك دستورٌ في تنظيم العلاقات الاجتماعية على هدي الإسلام، يحفظ حقوق الفرد، ويُرشده إلى كيفية حفظ حقوق الآخرين، بما يحقِّق له إنسانيّته وسعادته في الدنيا، وثوابه في الآخرة.

ويمكن ربط هذه الطّريقة بالطّريقة السّابقة أنَّ الإمام عليه السلام أراد أن يصنع جيلاً حسينيّاً غير مثقل بالحقوق سواء كانت لله تعالى أو للناس أو للنفس.

فالجيل الذي يحمل القضيّة الحسينيّة حتى يكون مؤثراً بقوّة لا بُدَّ أن يحملوا القضية الحسينية لكن وفق الضَّوابط الشَّرعية، وهذا مهمّ للغاية؛ لأنَّ كلّ حركة وسكنة تحتاج لمعرفة وقد بيّن الإمام ذلك في بداية رسالة الحقوق؛ فقال عليه السلام: ((**اعْلَمْ رَحِمَكَ الله أَنَّ لله عَلَيْكَ حُقُوقاً مُحِيطَةً بِكَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكْتَهَا أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنْتَهَا أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزَلْتَهَا أَوْ جَارِحَةٍ قَلَبْتَهَا وَآلَةٍ تَصَرَّفْتَ بِهَا بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْض...**))[1].

وجعل الإمام عليه السلام علاقة الإنسان بربّه تعالى، وأداء حقّه هو أصل الحقوق؛ فقال عليه السلام:((**وَأَكْبَرُ حُقُوقِ اللهِ عَلَيْكَ مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْحُقُوقِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَ ثُمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ عَلَى اخْتِلَافِ جَوَارِحِكَ...**))[2].

إنَّ من أعظم حقوق الله تعالى على عباده، أن يعبدوه بإخلاص، ولا يشركوا بعبادته أحدًا، فإنَّ في ذلك تطهيرًا لقلوبهم من الزيغ، وتحريرًا لأفكارهم من الرق والتبعية، أما عبادة غير الله تعالى من الأصنام والأوثان فإنَّها ذلّ وعبوديّة، وقضاء على كرامة الإنسان، وقد ضمن الله تعالى لمن عبده بحقّ أن يكفيه أمور آخرته ودنياه.

وقال عليه السلام في حقِّ الأم: ((**وَأَمَّا حَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْتَمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَعْطَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُعْطِي أَحَدٌ أَحَداً وَوَقَتْكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهَا وَلَنْ تُبَالِ أَنْ تَجُوعَ وَ تُطْعِمَكَ وَتَعْطَشَ وَتَسْقِيَكَ وَتَعْرَى**

(١) تحف العقول: ٢٥٥.

(٢) م. ن: ٢٥٥.

وَتَكْسُوَكَ وَ تُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتَهْجُرَ النَّوْمَ لِأَجْلِكَ وَوَقَتْكَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِتَكُونَ لَهَا وَ أَنَّكَ لَا تُطِيقُ شُكْرَهَا إِلَّا بِعَوْنِ الله وَتَوْفِيقِه))[1].

وقال في حقِّ الأب: **((وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ وَأَنَّكَ فَرْعُهُ وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ الله وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ {وَلا قُوَّةَ إِلَّا بالله}**[2]**))**.[3]

وأما حق ملتك: **((وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ فَإِضْمَارُ السَّلَامَةِ وَنَشْرُ جَنَاحِ الرَّحْمَةِ وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُمْ وَاسْتِصْلَاحُهُمْ وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَيْكَ فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ إِذَا كَفَّ عَنْكَ أَذَاهُ وَكَفَاكَ مَئُونَتَهُ وَحَبَسَ عَنْكَ نَفْسَهُ فَعُمَّهُمْ جَمِيعاً بِدَعْوَتِكَ وَانْصُرْهُمْ جَمِيعاً بِنُصْرَتِكَ وَأَنْزِلْهُمْ جَمِيعاً مِنْكَ مَنَازِلَهُمْ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَأَوْسَطَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ فَمَنْ أَتَاكَ تَعَاهَدْتَهُ بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ وَصِلْ أَخَاكَ بِمَا يَجِبُ لِلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ))**[4].

ويستمرّ الإمام ﷺ في ذكر الحقوق التي تنظّم حياة الإنسان في الدّنيا وسعادته في الآخرة.

وهنا يظهر تساؤل مهم؛ نحاول البحث عن إجابته؛ ألا هو:

إذا كان للبطن حقّ، وللأذن حقّ، وللرجل حقّ، وللذّمّيّ حق فأين حقّ الإمام الحسين ﷺ؟

نعم يمكن من حيث الظّاهر أن يلحق بحقّ الله تعالى إذا أوغلنا في البحث والتّأمّل والتّدبّر في حقِّ الله تعالى، فحقّ سيد الشّهداء ﷺ مرتبط بالله تعالى.

فهناك نصوص عديدة تذكر إضافة أبي عبدالله الحسين ﷺ لله تبارك وتعالى؛ وتأمل في هذه الزيارة لتجد أنَّ هذه الحقيقة أوضح من نور الشّمس وأجلى: **((...السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ الله وَ ابْنَ وَلِيِّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللهِّ وَ ابْنَ صَفِيِّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِّ وَ ابْنَ حُجَّتِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ الله وَ ابْنَ حَبِيبِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِيرَ الله وَابْنَ سَفِيرِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ الرَّحْمَنِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَرِيكَ الْقُرْآنِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَمُودَ الدِّينِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ حِكْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْبَةَ عِلْمِ اللهِّ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْضِعَ سِرِّ الله السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ الله وَ ابْنَ**

---

(١) الأمالي، للصدوق: ٣٧١.

(٢) الكهف: ٣٩.

(٣) الأمالي، للصدوق: ٣٧١.

(٤) تحف العقول: ٢٧١.

ثَارِهِ وَ الْوِتْرَ الْمَوْتُور....))[1].

فإذا كان هنالك حقّ للعين، وحقّ لليد؟ وحقّ لإمام الصلاة، أيعقل ألَّا يوجد حقّ للإمام الحسين ﷺ ؟

والظّاهر أنَّ الإمام السّجّاد ﷺ أراد أن يلفت النّظر إلى هذه الحقيقة أنّنا بعد أن عرفنا الحقوق نسأل أنفسنا ما هو حقّ الإمام الحسين ﷺ ؟

وهل سددنا هذا الدَّين؟ أو جزءًا من ذلك الدَّين الذي في أعناقنا؟

وحينما نرجع إلى النّصوص القرآنية والرّوايات الشريفة نجد أنَّ حقَّ الإمام الحسين ﷺ واجب على الخالق والمخلوق بلا استثناء؛ فله حقّ على الله تعالى، وعلى رسول الله ﷺ، وعلى جميع الأوصياء ﷺ؛ بل على كل الخليقة؛ وهذه حقيقة يمكن لنا أن نستنتجها من الروايات الشريفة؛ فلولا الإمام الحسين ﷺ لما بقي للدين من أثر؛ ولولا الحسين ﷺ لضاعت وتلاشت جهود جميع الأنبياء والأوصياء من آدم الى مهدي آل محمد صلوات الله عليهم؛ ولولا الحسين ﷺ لكان أغلب الخلق أولياء للشيطان؛ لذلك أصبحت نصرة الإمام الحسين ﷺ واجبة على الجميع؛ قال الله تبارك وتعالى: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }**[2].

وهناك زيارة مرويّةٌ عن إمامنا الصادقِ ﷺ نزورُ بها سيِّد الشهداء ﷺ؛ نقرأ في هذهِ الزيارة، وتفاصيلها: **"ضَمِنتِ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا دَمَكَ وَثَارَكَ يَا ابْنَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ- أَشْهَدُ أَنَّ لَكَ مِنَ الله مَا وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَأَنَّ لَكَ مِنَ الله الْوَعْدَ الصَّادِقَ فِي هَلَاكِ أَعْدَائِكَ وَتَمَامَ مَوْعِدِ الله إِيَّاكَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَبِعَكَ الصَّادِقُون"** [3].

وزيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ تُبيّن العديد من هذه الحقائق؛ **((السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ الله وَحَبِيبِهِ السَّلَامُ عَلَى خَلِيلِ الله وَنَجِيبِهِ السَّلَامُ عَلَى صَفِيِّ الله وَابْنِ صَفِيِّهِ السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَ صَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةِ وَاجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الْوِلَادَةِ وَ جَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السَّادَةِ وَقَائِداً مِنَ الْقَادَةِ وَ ذَائِداً مِنَ الذَّادَةِ وَ أَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ وَ بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَ حَيْرَةِ الضَّلَالَةِ وَ قَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الْأَدْنَى وَ شَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ وَ تَغَطْرَسَ وَ تَرَدَّى فِي هَوَاهُ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ وَ أَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَ النِّفَاقِ**

---

(١) إقبال الأعمال: ٢/ ٧١٢.

(٢) الروم: ٤٧.

(٣) كامل الزيارات: ١٩٦.

وَ حَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِراً مُحْتَسِباً حَتَّى سُفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهُ وَ اسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ اللَّهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبِيلًا وَ عَذِّبْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً السَّلَامُ...))[1]

عن ابن أبي يَعْفور قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: دعاني الشَّوقُ إليك إن تجشّمت إليك على مَشقّة، فقال لي: لا تَشكُ ربَّك؛ فهلّا أتيتَ مَن كان أعظم حَقّاً عليك منّي؟! فكان من قوله : « فهلّا أتيت مَن كان أعظم حقّاً عليك منّي » أشدّ عليَّ مِن قوله : « لا تَشكُ رَبَّك»، قلت: ومَن أعظم عليَّ حَقّاً منك؟ قال: الحسين بن عليٍّ عليهما السلام ، ألا أتيت الحسين ﷺ فدعوت الله عنده وشكوتَ إليه حوائجك؟!»[2].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله ﷺ: **((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَجَّ دَهْرَهُ ثُمَّ لَمْ يَزُرِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ لَكَانَ تَارِكاً حَقّاً مِنْ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ رَسُولِ الله ﷺ لِأَنَّ حَقَّ الْحُسَيْنِ ﷺ فَرِيضَةٌ مِنَ الله وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِم))**[3]. وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: **((مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ﷺ ، فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيَمُدُّ فِي الْعُمُرِ وَيَدْفَعُ مَدَافِعَ السُّوءِ، وَإِتْيَانَهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ لَهُ بِالإِمَامَةِ مِنَ الله))**[4].

وعنْ أُمِّ سَعِيدٍ الأَحْمَسِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله ﷺ :**((يَاأُمَّ سَعِيدٍ تَزُورِينَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (سلام الله عليه)؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: يَا أُمَّ سَعِيدٍ زُورِيهِ، فَإِنَّ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ (سلام الله عليه) وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ»**[5].

وردَ في عدّةِ أسئلةٍ وجّهَها الشيخُ الجليلُ الثقةُ المُحدّثُ أبو حمزةَ الثماليّ للإمامِ الباقرِ ﷺ، منها: **((قلتُ: فلمَ سُمّيَ القائمُ قائماً؟**

قالَ ﷺ: لمّا قُتلَ جدّي الحسينُ ﷺ ضجَّت الملائكةُ إلى اللهِ عزّ وجلّ بالبكاءِ والنحيبِ وقالوا: إلهنا وسيّدَنا أتغفلُ عمَّن قتلَ صفوتَك وابنَ صفوتِك وخيرتَك مِن خلقِك؟ فأوحى اللهُ عزَّ وجلّ إليهم: قُرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنَّ منهم ولو بعدَ حين، ثمَّ كشفَ اللهُ عزّ وجلّ عن الأئمّةِ مِن ولدِ الحُسينِ ﷺ للملائكةِ، فسُرَّت الملائكةُ بذلك، فإذا أحدُهم قائمٌ يصلّي، فقالَ اللهُ عزّ وجلّ بذلكَ القائمِ أنتقمُ منهم))[6].

فإذا كانت هذه بعض حقوق الإمام الحسين ﷺ؛ فهل راعينا حقوق الإمام ﷺ؟

وهل سددنا جزءًا من هذا الدين؟

(١) تهذيب الأحكام: ٦/ ١١٣.

(٢) كامل الزيارات: ١/ ١٨٥.

(٣) م. ن: ١٢٢.

(٤) م. ن: ١٢١.

(٥) كامل الزيارات: ١٢٢.

(٦) عللُ الشرائع:١/ ١٦٠.

هل حملنا همَّ قضية الإمام الحسين ﷺ؟

هل بكينا وجزعنا على سيد الشهداء ﷺ، وهذا جزء من الحق؟

إنَّ في المرويات ما يشير إلى أنّ بعض الحيوانات جزعت على المعصوم ﷺ؛ وإليك بعض الأمثلة على هذا الكلام:

يقول ابن اعثم في كتاب الفتوح ((بعد أن ذبحوا الحسين ﷺ وقطعوا رأسه:((... و أقبل بعد ذلك فرس الحسين، وكان قبل ذلك غار من بين أيديهم، أن لا يؤخذ، فوضع رأسه في دم الحسين رضي الله عنه، وأقبل يركض الى خيمة النساء، وهو يصهل. قال: فلما نظر أخوات الحسين إليه وبناته، وأهل بيته (رضوان الله عليهم) إلى الفرس، وليس عليه أحد، رفعوا أصواتهم بالصراخ و العويل)).[1]

((وأقبل فرس الحسين، وقد عدا من بين أيديهم، أن لا يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين، وذهب يركض إلى خيمة النساء، وهو يصهل، ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة فلمّا نظرت أخوات الحسين وبناته وأهله الى الفرس، ليس عليه أحد رفعن أصواتهنّ بالصّراخ والعويل، ووضعت أم كلثوم يدها على أم رأسها، و نادت:

وا محمداه! وا جداه! وا نبياه! و أباالقاسماه! وا علياه! وا جعفراه! وا حمزتاه! وا حسناه! هذا حسين بالعرا، صريع بكربلا، محزوز الرأس من القفاء، مسلوب العمامة و الرداء. ثم غشي عليها))[2] .

هذا حيوان عنده رتبة من الشعور والأسف؛ فكيف بالإنسان الذي يمتلك إحساساً أرقى وأعلى؟.

الدّور الثّالث: الدُّعاء

تُمثّل الصّحيفة السّجّادية خطابًا دينيًّا؛ ممزوجًا بالخشوع والتّضرع؛ سلكه الإمام السجاد ﷺ حتى تكون الركن الثالث في نصرة الإمام الحسين ﷺ، من خلال الأدعية التي تعرّف العبد كيف يُخاطب ربّه تبارك وتعالى؛ وقد ضمَّنها العديد من الدروس والعبر في شتَّى مجالات الحياة؛ فمن خلال الدّاء استطاع الإمام ﷺ أن يولد شعوراً جديداً في الأمّة؛ لم يكن معهوداً فيها.

إنَّ الارتباط بأدعية الإمام السّجاد ﷺ والتفاعل معها تخلق شخصاً قريباً من روح الإمام الحسين ﷺ؛ وكأنَّ الإمام السجاد أراد من صحيفته أن يُبيّن أنّ إظهار الفقر لله تعالى هو ما يولد الحسيني الرّافض لكلّ أشكال الباطل؛ فالحسين ﷺ قبل أن يكون ثائراً ومصلحاً كان قطعة من الفقر والدمع والخشوع لله تعالى؛ فها هو في دعاء عرفة يخاطب ربَّه تبارك وتعالى:((**ثُمَّ أَخْرَجْتَنِي إِلَى الدُّنْيَا تَامّاً سَوِيّاً وَحَفِظْتَنِي فِي الْمَهْدِ طِفْلًا**

---

(١) كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ٥/ ١١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/ ٦٠.

صَبِيّاً وَرَزَقْتَنِي مِنَ الْغِذَاءِ لَبَناً مَرِيّاً [طَرِيّاً] وَ عَطَفْتَ عَلَيَّ قُلُوبَ الْحَوَاضِنِ وَ كَفَّلْتَنِي الْأُمَّهَاتِ الرَّحَائِمِ وَكَلَأْتَنِي مِنْ طَوَارِقِ الْجَانِّ وَسَلَّمْتَنِي مِنَ الزِّيَادَةِ وَ النُّقْصَانِ فَتَعَالَيْتَ يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَانُ حَتَّى إِذَا اسْتَهْلَلْتُ نَاطِقاً بِالْكَلَامِ أَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوَابِغَ الْإِنْعَامِ فَرَبَّيْتَنِي زَائِداً فِي كُلِّ عَامٍ حَتَّى إِذَا كَمَلَتْ فِطْرَتِي وَاعْتَدَلَتْ سَرِيرَتِي أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ بِأَنْ أَلْهَمْتَنِي مَعْرِفَتَكَ وَرَوَّعْتَنِي بِعَجَائِبِ فِطْرَتِكَ وَ أَنْطَقْتَنِي لِمَا ذَرَأْتَ فِي سَمَائِكَ وَأَرْضِكَ مِنْ بَدَائِعِ خَلْقِكَ وَ نَبَّهْتَنِي لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَاجِبِ طَاعَتِكَ وَ عِبَادَتِكَ وَفَهَّمْتَنِي مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُكَ وَ يَسَّرْتَ لِي تَقَبُّلَ مَرْضَاتِكَ وَمَنَنْتَ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ بِعَوْنِكَ وَ لُطْفِكَ ثُمَّ إِذْ خَلَقْتَنِي مِنْ حُرِّ الثَّرَى لَمْ تَرْضَ لِي يَا إِلَهِي بِنِعْمَةٍ دُونَ أُخْرَى وَ رَزَقْتَنِي مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاشِ وَصُنُوفِ الرِّيَاشِ بِمَنِّكَ الْعَظِيمِ عَلَيَّ وَإِحْسَانِكَ الْقَدِيمِ إِلَيَّ حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتَ عَلَيَّ جَمِيعَ النِّعَمِ وَصَرَفْتَ عَنِّي كُلَّ النِّقَمِ لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلِي وَ جُرْأَتِي عَلَيْكَ أَنْ دَلَلْتَنِي عَلَى مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ وَوَفَّقْتَنِي لِمَا يُزْلِفُنِي لَدَيْكَ فَإِنْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي وَإِنْ سَأَلْتُكَ أَعْطَيْتَنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ شَكَرْتَنِي وَإِنْ شَكَرْتُكَ زِدْتَنِي كُلُّ ذَلِكَ إِكْمَالًا لِأَنْعُمِكَ عَلَيَّ وَ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُبْدِئٍ مُعِيدٍ حَمِيدٍ مَجِيدٍ وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَعَظُمَتْ آلَاؤُكَ فَأَيَّ أَنْعُمِكَ [فَأَيَّ نِعَمِكَ] يَا إِلَهِي أُحْصِي عَدَداً أَوْ ذِكْراً أَمْ أَيَّ [أَيُّ] عَطَايَاكَ أَقُومُ بِهَا شُكْراً وَهِيَ يَا رَبِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعَادُّونَ أَوْ يَبْلُغَ عِلْماً بِهَا الْحَافِظُونَ ....))[1].

فيُبيّن الإمام الحسين عليه السلام في هذا الدعاء نفسه أنَّ الافتقار لله تبارك وتعالى يصنع الانتصار؛ فيقول عليه السلام: ((... أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تُعْيِينِي الْمَذَاهِبُ فِي سَعَتِهَا وَتَضِيقُ بِيَ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا وَلَوْلا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الهالِكِينَ، وَأَنْتَ مُقِيلُ عَثْرَتِي وَلَوْلا سَتْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ وَأَنْتَ مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ عَلى أَعْدائِي وَلْولا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ)).[2]

وهكذا علّمنا الإمام السجاد عليه السلام وأكَّد هذه الحقيقة أنّ الفقر لله تعالى يولد النّصر، من خلال ما نقرأه في الصّحيفة السّجّاديّة؛ فيقول عليه السلام: ((أَللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ لِي بِالجَهْدِ، وَلاَ صَبْرَ لِي عَلَى البَلاَءِ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَى الْفَقْرِ، فَلاَ تَخْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلاَ تَكِلْنِيْ إِلَى خَلْقِكَ بَلْ تَفَرَّدْ بِحَاجَتِي، وَتَوَلَّ كِفَايَتِي، وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيْعِ أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِيْ إِلَى قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيْلاً نَكِداً، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً وَذَمُّوا كَثِيراً. فَبِفَضْلِكَ أَللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي، وَبِعَظَمَتِكَ فَانْعَشْنِي، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدِي، وَبِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي)) [3].

---

(١) إقبال الأعمال: ١/ ٣٤٠.

(٢) إقبال الأعمال: ١/ ٣٤٣.

(٣) الصحيفة السجادية: ١٠٨.

أليس هذه الصّورة هي دعاء الإمام الحسين ﷺ الذي رواه الإمام السجاد ﷺ: ((**لَمَّا صَبَّحَتِ الْخَيْلُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ:**

اللَهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ؛ وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ ؛ وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ .

كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ؛ أَنْزَلْتُهُ بِكَ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ؛ فَفَرَّجْتَهُ عَنِّي، وَكَشَفْتَهُ ، وَكَفَيْتَهُ .

فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ))[1].

وغيرها من الأدعية التي هي باب لمعرفة سيّد الشّهداء ﷺ؛ هذه هي ثلاث طرق وأركان مارسها الإمام السجاد ﷺ؛ لنصرة سيّد الشّهداء ﷺ؛ وما أحوجنا لها اليوم أن نفهمها ونطبّقها على أرض الواقع؛ فلغة الفعال أقوى من لغة المقال.

مراتب ودرجات نصرة سيد الشهداء ﷺ

١. التّضحية بالنّفس:

ينقل عن صادق أهل البيت ﷺ قوله:" عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهﷺ،قَالَ: «**إِنَّ حَوَارِيِّي عِيسَىﷺكَانُوا شِيعَتَهُ،وَ إِنَّ شِيعَتَنَا حَوَارِيُّونَا وَ مَا كَانَ حَوَارِيُّو عِيسَى بِأَطْوَعَ لَهُ مِنْ حَوَارِيِّينَا لَنَا،وَ إِنَّمَا قَالَ عِيسَى(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لِلْحَوَارِيِّينَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ،فَلاَ وَ اللهِ مَا نَصَرُوهُ مِنَ الْيَهُودِ وَلاَ قَاتَلُوهُمْ دُونَهُ،وَ شِيعَتُنَا وَ اللهِ لاَ يَزَالُونَ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ رَسُولَهُ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)يَنْصُرُونَنَا،وَ يُقَاتِلُونَ دُونَنَا،وَ يُحْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ،وَ يُشَرَّدُونَ مِنَ الْبُلْدَانِ،جَزَاهُمُ اللهُ عَنَّا خَيْراً.وَ قَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَﷺ:وَاللهِ لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ مُحِبِّينَا بِالسَّيْفِ مَا أَبْغَضُونَا،وَ اللهِ لَوْ أَدْنَيْتُ مُبْغِضِينَا وَحَثَوْتُ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ مَا أَحَبُّونَا**»[2].

٢. النصرة باللّسان:

ومنها إنشاد الشعر، ونشر فضلهم، والمحاججة فيهم.

عن أبي هارونَ المكفوف قال: قال أبو عبدالله ﷺ: ((**يَا أَبَا هَارُونَ أَنْشِدْنِي فِي الْحُسَيْنِ ﷺ قَالَ فَأَنْشَدْتُهُ فَبَكَى فَقَالَ أَنْشِدْنِي كَمَا تُنْشِدُونَ يَعْنِي بِالرَّقَّةِ قَالَ فَأَنْشَدْتُهُ**

امْرُرْ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةِ

– قَالَ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ زِدْنِي قَالَ فَأَنْشَدْتُهُ الْقَصِيدَةَ الْأُخْرَى قَالَ فَبَكَى وَسَمِعْتُ الْبُكَاءَ مِنْ خَلْفِ السِّتْرِ– قَالَ

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ج : ٥ ص : ٣٦٩.

فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ لِي يَا بَا هَارُونَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام) شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى عَشْراً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى خَمْسَةً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَى وَأَبْكَى وَاحِداً كُتِبَتْ لَهُمَا الْجَنَّةُ وَمَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ (عليه السلام) عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ [عَيْنَيْهِ] مِنَ الدُّمُوعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللهِ وَ لَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ))[1].

٣. النصرة بالمال والبذل:

عن ابن سنان قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): **((إِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقُولُ فِي الْحَجِّ يُحْسَبُ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ فَمَا لِمَنْ يُنْفِقُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَبِيكَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَقَالَ يَا ابْنَ سِنَانٍ يُحْسَبُ لَهُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفٌ وَأَلْفٌ حَتَّى عَدَّ عَشَرَةً وَ يُرْفَعُ لَهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ مِثْلُهَا وَ رِضَا اللهِ خَيْرٌ لَهُ وَ دُعَاءُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) وَدُعَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْأَئِمَّةِ خَيْرٌ لَهُ..))**.[2] ولقد كان بذل المال في حبّ آل البيت (عليهم السلام) من أهمّ الأمور التي شيّدت صروحه ونشرت علومه وحفظت المنتمين إليه. وما هذه المجالس إلّا شاهد على ذلك.

وفي مناجاة مع الله عزّ وجلّ سأل مُوسَى الكليم على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام: **((قَالَ مُوسَى (عليه السلام) يَا رَبِّ وَ مَا الْعَاشُورَاءُ قَالَ الْبُكَاءُ وَ التَّبَاكِي عَلَى سِبْطِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) وَ الْمَرْثِيَةُ وَالْعَزَاءُ عَلَى مُصِيبَةِ وُلْدِ الْمُصْطَفَى يَا مُوسَى مَا مِنْ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بَكَى أَوْ تَبَاكَى وَتَعَزَّى عَلَى وُلْدِ الْمُصْطَفَى (صلى الله عليه وآله) إِلَّا وَكَانَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ثَابِتاً فِيهَا وَ مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ فِي مَحَبَّةِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ طَعَاماً وَغَيْرَ ذَلِكَ دِرْهَماً إِلَّا وَبَارَكْتُ لَهُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا الدِّرْهَمَ بِسَبْعِينَ دِرْهَماً وَكَانَ مُعَافاً فِي الْجَنَّةِ وَغَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي مَا مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ سَالَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَغَيْرِهِ قَطْرَةً وَاحِدَةً إِلَّا وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ))**[3].

٤. النصرة بالقلب:

عن مِسْمَع بن عبدالملك كِرْدين البصريّ « قال : قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : **((يَا مِسْمَعُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمَا تَأْتِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) قُلْتُ لَا أَنَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَعِنْدَنَا مَنْ يَتَّبِعُ هَوَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَعَدُوُّنَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ القَبَائِلِ مِنَ النُّصَّابِ وَغَيْرِهِمْ وَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا حَالِي عِنْدَ وُلْدِ سُلَيْمَانَ فَيُمَثِّلُونَ بِي قَالَ لِي أَفَمَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ بِهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَتَجْزَعُ قُلْتُ إِي وَ اللهِ وَأَسْتَعْبِرُ لِذَلِكَ حَتَّى يَرَى أَهْلِي أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يَسْتَبِينَ ذَلِكَ فِي وَجْهِي قَالَ رَحِمَ اللهُ دَمْعَتَكَ- أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ لَنَا وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَخَافُونَ لِخَوْفِنَا وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ حُضُورَ آبَائِي لَكَ-**

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٤.

(٢) م. ن: ١٢٨.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١٠/ ٣١٩.

وَوَصِيَّتَهُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ بِكَ وَمَا يَلْقَوْنَكَ بِهِ مِنَ الْبِشَارَةِ أَفْضَلُ وَ لَمَلَكُ الْمَوْتِ أَرَقُّ عَلَيْكَ وَأَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ مِنَ الْأُمِّ الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِهَا قَالَ ثُمَّ اسْتَعْبَرَ وَاسْتَعْبَرْتُ مَعَهُ- فَقَالَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ وَخَصَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِالرَّحْمَةِ يَا مِسْمَعُ إِنَّ الْأَرْض وَ السَّمَاءَ لَتَبْكِي مُنْذُ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع رَحْمَةً لَنَا وَ مَا بَكَى لَنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَكْثَرُ- وَمَا رَقَأَتْ دُمُوعُ الْمَلَائِكَةِ مُنْذُ قُتِلْنَا وَمَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا وَ لِمَا لَقِينَا إِلَّا رَحِمَهُ اللهُ- قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ الدَّمْعَةُ مِنْ عَيْنِهِ فَإِذَا سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ سَقَطَتْ فِي جَهَنَّمَ لَأَطْفَأَتْ حَرَّهَا حَتَّى لَا يُوجَدَ لَهَا حَرٌّ وَ إِنَّ الْمُوجَعَ لَنَا قَلْبُهُ لَيَفْرَحُ يَوْمَ يَرَانَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَرْحَةً لَا تَزَالُ تِلْكَ الْفَرْحَةُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْنَا الْحَوْضَ وَ إِنَّ الْكَوْثَرَ لَيَفْرَحُ بِمُحِبِّنَا إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُذِيقُهُ مِنْ ضُرُوبِ الطَّعَامِ مَا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَصْدُرَ عَنْه .....))[1].

الخاتمة:

لقد قدّم الإمام السجاد ﷺ أدوارًا لأجل نصرة الإمام الحسين ﷺ، واختلفت أساليب النصرة بين البكاء تارة، ونشر المعارف تارة أخرى، ومرة ثالثة كانت بالدّعاء؛ كما نصر الإمام ﷺ بتوطين النّفس على الموت؛ وتارة بالبراءة من أعداء الإمام الحسين ﷺ، وتارة بإعلان مظلومية الإمام الحسين ﷺ ودفع الشبهات عن نهضته المقدّسة؛ وتارة ببذل الأموال في سبيل إحياء القضية الحسينية، وتارة بنشر المعارف التي لها علاقة بالإمام الحسين ﷺ؛ وأخلاقه وسلوكه وحث الناس على التأسي بأبي عبدالله الحسين ﷺ.

المصادر والمراجع

١. الأمالي، للصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، طهران ١٤١٨هـ، السادسة.

٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم ١٤١٣هـ، الأولى.

٣. إقبال الأعمال، ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٩هـ، الثانية.

٤. الانتصار، العاملي (ت: معاصر)، ١٤٢٢هـ، الأولى.

٥. الإمام علي بن الحسين عليهما السلام دراسة تحليلية، مختار الأسدي، مركز الرسالة.

٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣هـ، الثانية.

(١) كامل الزيارات: ١٠١.

٧. بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، الصفار، محمد بن حسن (ت: ٢٩٠هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران؛ قم ١٤٠٤هـ، الثانية.

٨. تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلاميه، طهران ١٤٠٧هـ، الرابعة.

٩. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي (ت: القرن ٤)، جماعة المدرسين، قم ١٤٠٤هـ، الثانية.

١٠. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن (ت: ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم ١٤٠٩هـ، الأولى.

١١. الخصال، ابن بابويه، محمد بن علي- جعفري، يعقوب (ت: ٣٨١هـ)، نسيم كوثر، قم ١٤٢٤هـ، الأولى.

١٢. علل الشرائع، ابن بابويه، محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ)، مكتبة داوري، قم ١٤٢٧هـ، الأولى.

١٣. قصص الأنبياء ﷺ، قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ)، مركز الدراسات الإسلامية، مشهد ١٤٠٩هـ، الأولى.

١٤. الصحيفة السجادية، علي بن الحسين ﷺ، الإمام الرابع (ت: ٩٤ أو ٩٥هـ)، نشر الهادي، قم ١٤١٨هـ، الأولى.

١٥. اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى- الفهري الزنجاني، أحمد (ت: ٦٦٤هـ)، جهان، طهران ١٣٨٩هـ، الأولى.

١٦. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ)، علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)،١٤١١هـ، الأولى.

١٧. كامل الزيارات، ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٧هـ)، دار المرتضوية، النجف ١٣٩٧هـ، الأولى.

١٨.كشف المحجة لثمرة المهجة، ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ)، بستان الكتاب، قم ١٤١٧هـ، الثانية.

١٩.مناقب آل أبي طالب ﷺ، ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، علامة، قم ١٤٢١هـ، الأولى.

٢٠.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النورى، حسين بن محمد تقي (ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم ١٤٠٨هـ، الأولى.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام
أسباب ونتائج

آيات رضا مجيد

تعدّ نوعيّة القيادة من أهمّ العوامل التي تؤثّر في مجرى حياة الأمم، فالقيادة الصَّحيحة قطعاً نسبيًّا تربّي أمّة صحيحة، وكذا القيادة المنحرفة نسبيًّا تربّي أمّة منحرفة؛ لذلك يعدّ تصحيح القيادة من أهم الأسباب التي تشحن أو تؤجج حركات المعارضة، والإصلاح ضدّ القيادة المنحرفة عن الثّوابت الشرعية، أو العرفية لأمّةٍ ما.

وبقدر تعلّق الأمر بالقيادة الأمويّة للدولة الإسلامية سنة ٤١ هـ فقد تسلّم معاوية بن أبي سفيان الحكم بعد اغتيال الإمام علي عليه السلام وهادن الإمام الحسن عليه السلام معاوية، وأبرم معه الصّلح.(١)

ومن أجل إيضاح أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام على الحكم الأموي لابُدَّ من توضيح التّطوّرات الدِّينيّة، والسّياسيّة، والاقتصادية.

فقد كانت للإمام الحسين عليه السلام أرضيّة دينيّة، وغيبيّة أودعها الرسول صلى الله عليه وآله فيه، وأخبره بها، فلذلك كان يمتلك معرفة تامّة بما يجب القيام عليه.

وقد بدأ النّظام الأموي بملاحقة الإمام الحسين عليه السلام حيث كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة كتاباً يطلب فيه أخذ البيعة على أهل المدينة، ثمَّ أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها: " خذ الحسين، وعبدالله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير، بالبيعة أخذاً شديداً، ومن أبى فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه " .(٢)

---

(١) عقد الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية في منتصف جمادى الأولى سنة ٤١هـ، وكانت بنود الصلح أربعة عشر بندًا، هما تسلم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وأن يكون الأمر للإمام الحسن عليه السلام من بعده، فإذا حدث شيأ فلأخيه الامام الحسين عليه السلام من بعده وليس لمعاوية، وأن يترك سب الإمام علي عليه السلام والقنوت عليه في الصلاة، وأن لا يذكر علياً عليه السلام إلَّا بخير ونص الصلح على استثناء ما في مال الكوفة للإمام الحسن عليه السلام، فالهدف منه الصلح بالنسبة لمعاوية (السلطة) وبالنسبة للامام الحسن عليه السلام حفظ نفسه، وأهل بيته، وشيعته من الإبادة، والحفاظ على وحدة المسلمين، ومن ثمَّ وحدة استقرار الدولة الإسلامية. ينظر في ذلك: عبد الحسين شرف العاملي، صلح الحسن عليه السلام، ص ٢٥٩ .

(٢)-الأميني، الشيخ محمد أمين، مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة، ط٢، قم، مركز الدراسات الإسلامية، ج٦،: ٥٥.

لكنه ﷺ بعد أن وصل إلى العراق لاحقوه، و حاصروه حتَّى وصل إلى كربلاء فحاربوه، ثم قتلوه، ومثّلوا به ﷺ وبأصحابه، وأهل بيته ﷺ.

إنَّ حقيقة السّياسة الأمويّة تنطوي على الآتي:

- تحريف مبادئ الإسلام، وإيجاد البدع؛ بغية القضاء على الإسلام.
- إشاعة ثقافة الجبر، والخنوع، والاستسلام.
- نهب بيت المال، وإنفاقه في الأهواء والمصالح الذَّاتية.
- فساد الأخلاق، وإشاعة الخمر، والقمار.
- إحياء العصبية القبلية، والقومية، والقيم الجاهلية .
- تعيين العناصر الفاسدة، وغير المؤهّلة لمجرد انتمائهم للأمويين .
- اعتقال، وسجن، وقتل الشخصيات الإسلامية البارزة، والثورية التي تناصر أهل البيت ﷺ.
- أخذ البيعة، والإكراه ليزيد من الناس، ومن رؤساء القبائل.

ونتيجة لكلِّ ذلك نجد أنَّ الإمام الحسن ﷺ كان يشعر بضرورة الخروج، والثورة على معاوية، والحكم الأموي المنحرف عن خط الإسلام. (١)

كما أنَّه كان يجب على معاوية من النَّاحية الإسلامية والسّياسية عند كلِّ المسلمين، أن يخضع للإمام ويبايعه، إلَّا أنّه خرج من الحكم الإسلامي، فدارت الحرب؛ ولكي يوقف الاقتتال بين المسلمين وافق الإمام الحسن ﷺ على الهدنة، واشترط بأن تكون الخلافة في أخيه الإمام الحسين ﷺ بعد معاوية، وقد وقَّع الطَّرفان على ذلك وشهد بذلك شهود فنقض معاوية العهد.

ثمَّ إنَّ الإمام الحسين ﷺ وجد الأمَّة في سُبات، وأنَّ الحاكم ظالم، وأنَّ الذي سيأتي لا تتوفّر فيه شروط الخلافة، بل على العكس من ذلك فكان الواجب عليه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقد صرّح هو بذلك في خطابه السِّياسي: (**إِنّى لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا وَلا بَطَرًا، وَلا مُفْسِدًا وَلا ظالِمًا، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ فِي أُمَّةِ جَدّي، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيّ بْنِ أَبي طالِب**) (٢).

كما أنَّ الأمة طالبته بذلك عبر الرّسائل والكتب؛ ليقدّم إليها، وليقيم فيهم العدل، ويُطبّق العدالة، وهو ما أشار إليه أبو عبد الله الحسين ﷺ في خطابه لهم " **أَلَمْ تكتُبُوا إِلَيَّ: أَنْ قَدْ أينعتِ الثِمارُ، واخضَرَّ الجَنَابُ، وإِنَّما تُقدِمُ**

---

(١) الذهبي، عباس الذهبي، ابعاد النهضة الحسينية، ط١،: ٨١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط١، طهران، النشر دار الاحياء والوفاء، ج ٤٤،: ٣٢٩.

على جُندٍ لكَ مُجَنَّدَةٍ؟ "[1].

مشروعية نهضة الامام الحسين عليه السلام

إنَّ مشروعية نهضة الإمام الحسين عليه السلام تكمن في الآتي:-

أوّلاً:- إنَّ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام من الوجهه الشرعية هو إمام معصوم دون خلاف في ذلك، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقّه وحقّ شقيقه الحسن بن علي عليهما السلام: " إمامان قاما أو قعدا "[2] . وهناك أحاديث متواترة في هذا المجال، والإمام المعصوم عنده الصلاحية الكاملة من قبل الله تعالى لتطبيق أحكام الله على أرض الواقع.

ثانياً:- إنَّ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام بمقتضى انتخاب أهل الحلِّ والعقد هو المرشح الواقعي للخلافة في منظار المسلمين جميعاً، حيث كان الإمام الحسين عليه السلام هو خامس الرّاشدين كما يعبّر البعض، وقد أوصى إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام كما ورد ذلك في الرّوايات، وأقوال المؤرّخين .

ثالثًا:- سياسيًّا، وتاريخيًّا فإنَّ الحرب التي شنَّها معاوية بن أبي سفيان الأموي كانت من دون حقّ، حيث انتخب الإمام الحسن عليه السلام للخلافة، فخرج معاوية على إمام زمانه، فكانت سلطته غير شرعيّة.[3].

إنَّ سبب تبنّي معاوية للجبرية هو تأييد وتأليه ملكه السّياسي و(إنَّ الله أتاه الملك)، وهذا النّوع من الخطاب تصريح بأنَّ هدف معاوية الحقيقي من الخروج على الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام ومحاربتهما كخلفاء شرعيين للدولة الإسلامية، إنَّما لأجل التّسلّط والتآمر على رقاب المسلمين، وليس كما أعلن بمطالبته بدم الخليفة الثّالث، كما أعلن أنَّ القضية من جانبه صراع على السّلطة وأعلن عن نفسه بأنَّه لا دين له. وهذه الجبرية في الواقع هي تشريع لقانون التّغلّب السّياسي والدّيني؛ وهي إسقاط لحقوق الأمّة بالكامل، فلا معنى للحقوق بعد أن أعطى الله حقّ التّآمر على عباده لمعاوية، وبني أمية (وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون)، وكما سمّى معاوية نفسه، ولأوّل مرّة (خليفة الله) وافتخر بهذا.

فكان يقول الأرض لله وأنا خليفة الله، مما أخذت من مال فهو لي، وما تركت من كان جائراً لي...)[4].

---

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين بن علي (دراسة وتحليل)، تحقيق مهدي باقر القرشي، ط٢،(١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ج٣،: ١٩٣ .

(٢) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن بابوية، ت ٣٨١ هـ، علل الشرائع، ج،: ٢١١.

(٣) الكرباسي، محمد صادق بن محمد، دائرة المعارف الحسينية، ج١، من كتاب شبهات ورود (مخطوط) من دائرة المعارف، لندن .

(٤) العلوي، محمد بن عقيل، النصائح الكافيه لمن تولى معاوية، ط١، قم، دار الثقافة للنشر، ١٤١٢ هـ،: ١٣١.

واقع الأوضاع السياسية:-

من المؤسف، ومن سوء حظّ العالم البشري أن تولّى هذا المنصب الخطير رجال لم يعدوا له عدّة، ولم يتلقوا تربية دينية، وخلقية عميقة متينة كما تلقّى الأوّلون، وكثيرون في عصرهم وجيلهم، ولم يكن عندهم من روح الجهاد في سبيل الإسلام، ومن قوّة الاجتهاد في المسائل الدّينيّة والدّنيويّة ما يجعلهم يضطلعون بأعباء الخلافة الإسلامية، وهذا الحكم عام يتمثّل في خلفاء بني أميّة وبني العباس[1].

فقد تسلّم الإمام الحسن ﷺ الخلافة الإسلامية، بعد بيعة المسلمين له ٢١ رمضان سنة ٤١ هجرة باستثناء من أطلق عليهم العقاد، الذين لم يبايعوا الإمام عليًا ﷺ وابنه الحسن ﷺ وكان منهم معاوية، وهنا خرج معاوية عن البيعة، وأصرّ على الحرب والخلاف، وجهّز الجيش الشّامي ضدّ الخليفة الجديد، وقد اضطرّ الإمام الحسن ﷺ إلى عقد الصّلح بدل الحرب لاعتبارات عسكريّة وسياسيّة .

وبهذا سنتناول بإيجاز الأوضاع السّياسيّة التي سادت الدّولة الإسلاميّة إبان تلك الحقبة التاريخية المتمثّلة بصلح الإمام الحسن ﷺ، وتولّي معاوية الخلافة (السلطة) من حيث إبطال مبدأ الشورى، و توريث الخلافة والحكم لمن ليس له؛ وأهم تلك الأوضاع:

أوّلاً:- إبطال قاعدة الشورى والبيعة الحرة في الحكم .

فقد روى ابن الجوزي باسناد عن الحسن البصري، أنَّه قال: (أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم تكن فيه إلَّا واحدة لكانت موبقة وهي: أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصّحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكّيرًا خميرًا يلبس الحرير، ويضرب بالطّنابير. وادّعاؤه زيادًا أخا، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهرة الحجر. وقتْله حجر بن عدي وأصحابه فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر)[2].

ثانياً:- ولاية العهد وتوريث الحكم.

إنَّ الأمويين اغتصبوا الحكم الإسلامي في كيفية استلام الخلافة بعد اضطرار الإمام الحسن ﷺ الصلح مع معاوية، ومن الغريب أن يستولي الأمويون على خلافة رسول الله ﷺ ويستأثرون بها دون سائر المسلمين، والأغرب أنَّهم تلقّفوها كالكرة واحدًا بعد الآخر.

---

(١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت، ١٩٨٨م،: ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل واميل ربيع، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ج٦،: ٥١، نقلا عن ابن الجوزي .

وما كان معاوية يجهل حقيقة يزيد؛ وهو يراه عاكفاً على الشّهوات بعيدًا عن هموم الدولة، وقيادة الأمّة، فهو الموصوف بالصّبر الذي يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب؛ إلّا أنَّ معاوية يُكابر في ابنه أمام الملأ، فيصف ابنه باصراد أخلاقه. (١)

لقد كانت صفات يزيد الشخصية مفتقدة الحدّ الأدنى من المقوّمات المؤهّلة لأي منصب سياسي، فكيف الحال، ومنصب خلافة رسول الله ﷺ وإمامة الأئمّة عليهم السلام.

إنَّ إتمام عملية تثبيت ولاية العهد ليزيد إضافة الى مسألة إبطال الشورى والبيعة الحرّة؛ أدّى إلى عمليّة جبر الأمّة على موالاة الخليفة كيفما كانت تصرّفاته، وهذا أدَّى أيضًا إلى انتكاس الحرّيّة السياسية في عهد معاوية ويزيد.

أما الأوضاع الاقتصاديّة:-

إنَّ زيادة الاعتماد على الجند، وإصباغ الدّولة بالطّابع العسكري اضطرّ النّظام الأموي بقيادة معاوية، والذين خلفوه كيزيد إلى تسخير موارد الدّولة، وبالمقابل هذا التّسخير طبيعيًّا يؤدّي إلى حرمات غيرهم، يؤدّي الى انتهاج سياسة ماليّة قاسية الجباية، تبعد عن روح الإسلام ومراميه العليا، أدَّى ذلك إلى سياسة عدم تشجيع شعوب الأمم المفتوحة على الدّخول في الإسلام.(٢)

كان من رأي معاوية أنَّ المال مال الله، وهو خليفة الله تعالى، ومن حقّه أن يصنع في مال الله ما يشاء من دون حساب وكتاب، وهو موضوع الخلاف التاريخي المعروف بينه وبين أبي ذر الغفاري؛ فقد كان أبا ذر يرى في إسراف معاوية في بيت المال ما يخالف سنّة الله ورسوله ﷺ، لقد كان معاوية يمنح لنفسه حقًّا أن يستصفي ما يشاء من أموال الناس؛ إذ جاء في تاريخ اليعقوبي: " واستصفى – أي معاوية – أموال الناس فأخذها لنفسه" (٣).

إذن تبيَّن لنا كيف غيّرت سياسة معاوية، الأوضاع الاقتصادية، وانحرافها عن الشّريعة الإسلامية بهذا الشّكل، فغياب عنصر التّوازن الاقتصادي أدَّى إلى اختلال العنصر الاجتماعي، وخلق طبقيّة ناتجة من توظيف المال سياسيًّا، وهدر المال العام لأجل ذلك ممّا أثار الأحقاد، والضّغائن بين أفراد الأمّة على مستوى الفرد والقبيلة، نتيجة لهذا التّفاوت الاقتصادي، وهذا ما يتقاطع مع ما يريده الإسلام. ولقد أثرت حكومة معاوية ويزيد على الأوضاع الاقتصادية العامَّة للمنطقة الإسلامية، واضطر الخليفة على الضّغط على الولاة والعمّال،

---

(١) ابن أثير، عز الدين بن ابي الكرم، (٦٣٠)، الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق: أبو الفواء عبد الله القاضي، ج٣،:٥٠٥.

(٢) رياض عيسى، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الاموية، ط١،: ١١٢.

(٣) اليعقوبي، أبو العباس احمد بن إسحاق، (ت ٢٩٢)، طبع في مدينة ليدن، علق عليه خليل المنصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢،: ٢٣٢.

والأخير أن يضغطون على المسلمين في جباية الأموال والضّرائب، وهكذا تدهورت الحالة الاقتصادية إلى حالة سيّئة، والحالة السّياسية أسوأ مشكلة بذلك دافعًا وحافزًا مهمًّا لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

وأخيرًا نذكر خلاصة الأسباب المهمّة التي دعت الإمام الحسين عليه السلام للنهضة على الأمويين ممتثلًا عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله " أيّها النَّاس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغير عليه بفعل، ولا قول كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وأعطوا الحدود، واستأثروا بالغي، وأحلّوا حرام الله، وحرموا حلاله"[1].

وكانت من الأسباب التي دعت الإمام الحسين عليه السلام لنهضته هي:-

أوّلاً:- رفض البيعة ليزيد والاعتراف بسلطاته

ويعدّ رفض البيعة ليزيد من أبرز دوافع النّهضة على الأمويين، وإن كانت أسبابها أعمق من ذلك بكثير.

ومن كلّ هذا نخلص إلى القول أنَّ شخصيّة يزيد بن معاوية وأبعاده ممارساته المخالفة للشريعة الإسلامية تؤدّي إلى إسقاط الشّروط المطلوبة وعدم توفّرها فيه، وهذا يعني أنَّه لا يصلح للإمامة؛ وعلى المسلمين خلعه بالقوَّة، واستبداله بشخصٍ آخر تتوفّر فيه الشّروط.

ثانياً:- طلب الإصلاح والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر .

شكَّل مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر قاعدة عامَّة لدى المسلمين لم يتخلّف عنها أحد، وهم يتباينون في تحقيق هذا السلوك، ويختلفون في طريقة تحقيقه ما بين القلب واللسان؛ وآخرها السيف، فلم يجد الإمام الحسين عليه السلام سبيلًا سوى إعلان الجهاد بعد عجز القلب، واللسان، فقرر الإمام الحسين عليه السلام المواجهة مع الدولة الأموية، ولم تكن دعوة أهل الكوفة، ولا مطالبة الحكم الأموي بالبيعة، ورفضه لها هو الذي دفعه إلى المواجهة؛

بل تفشّي الفساد، وانحراف السّلطة عن نهج الشريعة هو الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام لاتخاذ هذا الموقف؛ أي حفظ وحدة المسلمين، وأنَّ الواجب الدِّيني أوجب على الإمام الحسين عليه السلام الخروج على الحاكم الجائر دفاعًا عن الإسلام فالقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) يذهب إلى القول: " فالأحداث التي يخرج بها من كونه إمامًا فظهور الفسق بلغ حدَّ الكفر، أو لم يبلغ؛ لأنَّ ذلك يقدح في عدالته ".[2]

(١) الازوي، أبو مخنف، (ت ١٥٧)، مقتل الحسين، ط مطبعة العلمية، قم، تحقيق: حسين الغفاري،: ٥٨، الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠، تاريخ الرسل والملوك، ط٤، ج٥،: ٣٠٤.

(٢) القاضي، عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد، (الدار المصرية، بلا، ت)، ص ١٧٠ .

ويرى عبد القاهر البغدادي (ت ٤٠٩ هـ) أنَّه "متى زاغ عن الشّرية كانت الأمة عيارًا (مختارًا) عليه العدول به من خطأه الى الصواب أو في العدول إلى غيره " [١]

ويذهب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) إلى القول " إنَّ الإمام ينعزل إذا تغيَّر حاله، والذي يغيّر به حاله فيخرج به عن الإمامة شيئان: أحدهما جرح في عدالته "[٢]

ثالثاً:- الاستجابة لجماهير الأمة

عجَّلت العلاقة السّيّئة بين دمشق، والأقاليم التابعة لها في التّهيئة، والإعداد للخروج على الدّولة الأمويّة، خاصّة مناطق العراق التي خسرت كلَّ شيء بانتقال العاصمة إلى دمشق، وغدت بقرة حلوب لصالح أهل الشام، وكان أهل الكوفة أكثر من أصابهم البلاء بفعل موقف الأمويين منهم؛ حتَّى أصبحت الكوفة المسرح الكبير لأحداث دولة بني أميّة ومشاكلها، ومن هنا كان تعلّق الكوفيين بكلِّ ما من شأنه منازلة الأمويين، وإعلان الحرب عليهم في محاولة للاحتفاظ باستقلالهم عن دمشق؛ وإلى هذا يرجع سبب مكاتبتهم للحسين ﷺ في القدوم عليهم، ويظهر من رواية أبي مخنف إنَّهم لم يكتفوا برسالة واحدة بل اتبعوها بأخرى "بسم الله الرحمن الرحيم: للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين أمّا بعد فحي هلا، فإنَّ الناس ينتظرونك ولا رأى لهم في غيرك، فالعجل العجل والسلام عليك "[٣]

خلاصة الكلام إنَّ هذه العوامل التي قد أعطيت لنهضة الإمام الحسين ﷺ أهمّيّتها، خاصّة عامل الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، فلو لم يطلب من الحسين مبايعة يزيد، ولم يطالب أهل الكوفة بالقدوم عليهم، فإنَّ الإمام الحسين كان من واجبه النّهوض؛ لأنَّ الفساد كاد يعمّ، وعلى هذا نجد أنَّه لم يعملن شورته لأجل إقامة حكومة، ولا لأجل أن يستشهد، وأنَّ الذي يتصوّر ذلك فقد خلط بين الهدف، والنّتيجة، فالهدف هو تأدية واجب عظيم هو إعادة مجتمع إسلامي إلى الخطّ الصَّحيح، أو النّهوض على الانحراف الذي بدأ ظاهرًا، وهذا لا يأتي إلَّا عن طريق النَّهضة، وعن طريق الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، قد تكون نتيجتها إقامة حكومة ترتقيها الأمّة، وقد تكون الشّهادة، وكان الإمام الحسين ﷺ مستعدًّا لكلتا النَّتيجتين.

المطلب الرَّابع:- نتائج نهضة الإمام الحسين ﷺ

شكَّلت نهضة الإمام الحسين ﷺ التي بدأت في أواخر سنة ٦٠ هجرية، وانتهت بمعركة كربلاء في سنة

---

(١) البغدادي، عبد القاهر، أصول الدين (استابنول مطبعة الدولة، ١٩٢٨ م)،: ٢٧٨ .

(٢) الماروردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية،: ١٩.

(٣) الازوي، أبو مخنف، (ت ١٥٧)، مقتل الحسين، ط مطبعة العلمية، قم، تحقيق: حسين الغفاري،:١٥، الدينوري، ابن قتيبة، (ت ٢٧٦)، الامامه والسياسة، تحقيق الزيني، ج٢،:٧ .

٦١هـ [1]، مفصلاً مهمًا في التاريخ الإسلامي كونها جاءت رفضًا واضحًا للتحول الذي أصاب نمط استلام السّلطة السّياسيّة، وممارستها، وخالف ماكان معمولًا به في مدَّة حكم الخلفاء غير المعصومين، ومبتعدًا عن قيم الإسلام و مبادئه، مما استوجب ضرورة العمل لإصلاح هذا الخلل لإعادة الأمور إلى نِصابها، فكانت النّهضة الحسينية فاضحة لذلك التحوّل السلبي، ومحاولة لإعادة الأوضاع العامَّة على ما كانت عليه ضمن سياقاتها الصَّحيحة.

لقد تناولت بعض كتابات الفكر السّياسي الإسلامي، والتاريخ الإسلامي نهضة الإمام الحسين ﷺ على أنَّها لم تحقّق نصرًا سياسيًّا عسكريًّا آنيًا يطوّر الواقع الإسلامي إلى حال أفضل من الحال الذي كان عليها قبل النّهضة، فكانت نتائج النّهضة الحسينية تتقاطع مع الاتجاهات التي صوّرتها على أنَّها خروج على السّلطة من أجل السّلطة، أو هي إقدام على الإنتحار.

غير أنَّ أتباع متطلّبات البحث العلمي الموضوعي في نهضة الإمام الحسين ﷺ، أفرزت لنا، وبشكلٍ واضحٍ أنَّ النّهضة لها نتائج فكريّة خاصّة على الصّعيد السّياسي العام، مما يجعلنا نعتقد أنَّ هذه النّهضة إنَّما كانت تهدف إلى بناء الإنسان المثالي، وهذا ما يدفعنا إلى تحديد أهمّ نتائج نهضة الإمام الحسين ﷺ الفكريّة في الإصلاح السّياسي العام الآني والمستقبلي لها؛ والتي تمحورت في الجوانب السّياسيّة، والاجتماعية، والإنسانية، والعقدية، وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب الذي يبحث في النّتائج المتعلّقة بالأسس الفكريّة للإصلاح السّياسي في نهضة الإمام الحسين ﷺ.

فالنتائج المتعلّقة في قضيّة الإصلاح السّياسي لمسيرية الحكم الأموي من الأمور المركزية التي عمل الإمام الحسين ﷺ من أجلها بنهوضه بوجه حكم يزيد ومعاوية، وصلاح المنهج السّياسي عند الأمّة الإسلاميّة، وإعادة القيم الإسلامية الخاصّة بالحكم، التي تؤكِّد أنَّ الحاكم في الإسلام أمين الأمّة، ووكيل في إجراء متطلّبات الدّستور الإسلامي المتمثّل بالقرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، وإقامة العدل بين الناس، وهو الذي يحفظ هوية الأمّة التي رضيت به حاكماً فلا يخالف قيم الرِّسالة ولا مصالح الأمَّة؛ كلُّها من أهم المقاصد للإمام ﷺ في نهضته على الحكم الأموي، وهذه الأمور تتعلّق جوهريّاً بقضيّة الإصلاح السّياسي عمومًا لذلك فإنَّ النَّتائج الفكريّة للنهضة في جانبها السّياسي يمكن تناولها:

أوَّلاً:- صيانة الخلافة الإسلاميّة

إنَّ انحراف الحكم الأموي عن الإسلام بصورة كلّيّة، ومنها قيمه السّياسيّة دفع إلى خروج الإمام الحسين

(١) ابن الاثير، عز الدين علي ابي الكرم، الكامل في التاريخ، مصدر السابق، ج ٢،: ٢٠.

ﷺ، وإعلانه رفض مبايعة يزيد بالطّريقة التي مرَّت بنا، وهذا الخروج كان من أولوياته هدم جميع الأسس، والقواعد التي أقامها معاوية؛ لتوطيد الملك، وتوريث السلطة، بحيث صار تاريخيًّا مسألة وراثة الحكم من الأمور غير المقبولة من الأمّة؛ وإن قامت.

لقد أظهرت نهضة الإمام الحسين ﷺ أنَّ الانحراف الحاصل في النّظام السّياسي الإسلامي ينحدر من موقع الخليفة، فالخلافة كانت تمتلك قدسيّة كبيرة في نفوس المسلمين، غير أنَّ الأمويين رغم محاولتها الاعتماد بشكلٍ كبير على إخفاء صفة الشَّرعيّة على موقعهم السّياسي والاجتماعي؛ لكنهم أوحوا إلى الأمّة بطريقة أو أخرى أنَّ موقع الخلافة لديهم أقوى من موقع الرّسالة الإسلامية، لذلك قال قائلهم "إنَّ الخليفة أحدهم أفضل من رسوله" (١).

لذلك كان خروج الإمام ﷺ بوجه السّلطة الأمويّة قد حدّد القيم الجوهريّة لمفهوم الخلافة الإسلامية، وأكَّد أنَّ معاوية، ويزيد استوليا على الخلافة، وحرّفا مقاصدها، ووظائفها، وشروطها. وبذلك بغضّ النّظر عن عدم سقوط خلافة الأمويين بعد النّهضة إلَّا أنَّ الواقع المعاصر لهم يعرف تمامًا أنَّهم ليسوا على حقّ، وإنَّ ثوابت الخلافة الإسلامية الصّحيحة راسخة في أذهان الأمّة آنذاك، ولا تزال، وبذلك فإنَّ نهضة الإمام الحسين ﷺ صانت الخلافة الإسلامية فكريًّا، وهذا أهم مطلب له على صعيد الإصلاح السّياسي للخلافة الإسلامية في الفكر السّياسي الإسلامي.

ثانيًّا:- إسقاط الشّرعيّة عن النّظام السّياسي الأموي

حرص معاوية، ومن بعده يزيد على محاولة الاستناد في حكمها على عنصر الشّرعيّة، ولهذا دأب كلّ منهما إلى إيجاد من يُبرّر ذلك الحكم، ويمنحه الطّابع الشّرعي، وكانت من أكبر، وأعمق الأخطار التي لحقت بالإسلام في خلافتهما، كون الانحراف في الحكم أخذ ينحدر من الخلافة إلى الأمّة مكتسبًا طابعًا شرعيًّا، وكان هذا الانحراف ينعكس، وينحسب على الإسلام، ويفقده أصالته، ونقاءه على أوسع صعيد في أوساط الأمة(٢).

ولهذا لم يكن خروج الإمام الحسين ﷺ عسكريًّا وسياسيًّا بمعنى طلب الحصول على السّلطة بعد إسقاطها، بقدر ما كان خروجه تحريك ضمائر، ونفوس، وعقول الأمّة لتغير وجهة نظرها حول خلافة بني أميّة، ونجح ﷺ بذلك، ونال من شرعيّة جهاز الخلافة الأمويّة، وعزلهم سياسيًّا، واجتماعيًّا في أوساط العالم الإسلامي، وتجريدهم من الشّرعيّة، والهالة القدسيّة على الصّعيد السّياسي(٣).

(١) ابن الاشير، عز الدين علي ابي الكرم، الكامل في التاريخ، مصدر السابق،ج ٥،: ٢٨٠.

(٢) الاصفي، لمحمد مهدي، وارث الأنبياء دراسة تاريخية لثورة الحسين، ط١، دار الكرام،: ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق، الاصفي، وارث الأنبياء،: ٢٢٦ – ٢٢٧.

ثالثًا:- تجريد النّظام الأموي من الطابع الديني والإسلامي

من النتائج لنهضة الامام الحسين ﷺ في الجانب السياسي والتي تحققت بفعل هذه النهضة تجريد النظام الأموي من الطابع الديني المزيف، اذ تكشفت للأمة حقيقة النزعة السياسية للأمويين المتسلطة على الحكم.

ونلتمس هذا الزيف الديني مثلًا في قول مسلم بن عمرو الباهلي؛ أحد موالي النظام الأموي مؤبنا مسلم بن عقيل مبعوث الامام الحسين ﷺ الى الكوفة يستطلع واقع أهلها ومدى مصداقية الكتب التي أرسلوا بها الإمام ﷺ ويفتخر بموقفة قائلًا:- " أنا من عرف الحق إذ تركته، ونصح الأمة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته[1] ".

مثال آخر في هذا الاتجاه الاعتقادي الخاطئ لدى جزء كبير من الأمة جسده عمر بن الحجاج الزبيدي؛ أحد قادة جيش يزيد، إذ حفز الناس لمواجهة وقتال الإمام الحسين ﷺ حين وجد منهم ترددًا وتباطؤًا عن الأوامر قائلاً: « يا أهل الكوفة الزموا طاعتهم، وجماعتهم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الامام" [2].

رابعاً:- تفعيل رقابة الأمة على السلطة، وتحرير إرادتها.

إنَّ من الآراء الهادفة في تفسير معطيات نهضة الإمام الحسين ﷺ مفاده أنَّ الإمام ﷺ نهض، وخرج على الحكم الأموي، وهو يقصد الشهادة، ويطلبها وهي غايته النّهائية، وكان وراء هذه الغاية إحداث هزَّة عنيفة في نفوس، وضمائر المسلمين الذين كانوا مبتلين بمرض ضعف الإرادة؛ فالأمة آنذاك تعرف الحقّ، وأهله، وتعرف الباطل وأهله، وتعرف انحراف يزيد، ونظامه وعدم شرعيّته، وتعرف استقامة الإمام الحسين ﷺ وشرعيّته، لكنها ضعيفة الإرادة، خائفة، ولا تقدر أن تترجم أحاسيسها، ووعيها إلى عمل مواقف، ولهذا وجد ﷺ أنَّ أيّ عمل سيصبح عديم الجدوى مع أمة تعاني من وطأة هذا المرض، ولن يكون بمقدور أيّة حركة تصحيحيّة أن تجني ثمارها الواقعية بسبب ركود القاعدة.... كما أنَّ استمرار هذا المرض، وتفشّيه في الأمّة سوف تؤدِّي إلى موتها، ومن ثمَّ انهيار كيانها، وانعدام أيّة فرصة ضئيلة ممكنة لاستنهاضها في المستقبل.[3]

ولهذا فإنَّ شهادة الإمام ﷺ كانت تُمثّل انتصارًا حقيقيًّا للإسلام وللأمّة من حيث تحرير إرادتها آنيًّا، ومستقبلًا ... إنَّ الإمام الحسين ﷺ حينما كان هدفه من الشهادة هو تحريك ضمير الأمّة، وشحذ إرادتها، فلا فائدة عندئذ من عنونه عمله بالشهادة فقط؛ لأنَّ عنوان الشهادة لا يكفي بمفرده تحقيق ذلك الهدف، وكان ممكنًا أن يقال بأنَّه ذهب لكي ينتحر؛ أمَّا لو رأت الأمّة إنسانًا مخلصًا كالإمام ﷺ، وقد تحرَّك نحو هدف إقامة النّظام

(١) ابن الاشير، عز الدين علي ابي الكرم، الكامل في التاريخ، مصدر السابق،ج ٤،: ٣٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك،مصدر السابق، ج٤،: ٣٣١.

(٣) الحائري، كاظم الحائري، الامامة وقيادة المجتمع، ط١، قم، مكتب اية الله كاظم الحائري ١٩٩٥،: ١٧٦

الإسلامي الأصلح، ومن أجل كلمة الله، وقد ضحّى بنفسه من أجل هذا الهدف عندئذ تدرك الأمّة أنَّ السّعي للهدف الذي ضحّى الإمام ﷺ بنفسه من أجله؛ يُعدّ من أقوى الواجبات، ويستحق التّضحية كما ضحّى له ﷺ، ولهذا فالإمام ﷺ عندما خرج مُعلنًا نهضته ومعارضته ليزيد، أعلن عن هدفه، ومبرّرات خروجه أنّه كان يُريد تصحيح الأوضاع المنحرفة، وتشييد نظام حكم صالح تقام فيه الشّرعيّة، وتُصان فيه الحقوق، ويحكمه الأخيار من الأمّة الإسلاميّة.[1]

أمَّا النّتائج لنهضة الإمام الحسين ﷺ في الجانب الاجتماعي .

الدِّين الإسلامي هو المنهج الصّحيح، والمطلوب للحياة الإجتماعية بحيث يشمل جميع أبعاد، ووجوه الحياة للفرد، والمجتمع فضلًا عن الأخلاق، والحقوق والواجبات التي حدّدها الإسلام؛ فهو يعزم تحت مظلّته جميع الرَّكائز الاجتماعية، ويهيمن، ويشرف عليها ويُسيّرها.[2] وقد أوضحت نهضة الإمام الحسين ﷺ نتائج مهمّة في الجانب الاجتماعي؛ كونها ركَّزت على قضيّة مركزيّة مهمّة؛ وهي تصحيح الأوضاع الدّينيّة، والرَّكائز الاجتماعية، فكان هدف الإمام الحسين ﷺ النّهائي هو إحياء معالم الدّين التي انطمست إبّان حكم معاوية ويزيد، كما هدف الإصلاح السياسي لمسيرة الحكم؛ ليتجسّد التّكامل بين الإصلاح السّياسي، والإصلاح الاجتماعي (السّياسة والدّين) ومن هنا لابدَّ أن نستقرأ نتائج نهضة الإمام الحسينﷺ في الجانب الاجتماعي المتمثّل بانتصار القضيّة الإسلامية بشكلٍ عام، وتثبيت وإصلاح الرَّكائز الاجتماعية المرتبطة بالدِّين التي حرفت أو غابت في حكم معاوية، ويزيد؛ كالشّهادة، والأخلاق، ومكانة المرأة في الإسلام، ودورها، والوفاء بالعهد.

أمَّا النّتائج لنهضة الإمام الحسين ﷺ في الجانب الإنساني

أفرزت نهضة الإمام الحسين ﷺ حتَّى قبل انطلاقها، وفي مرحلة تبلورها مواقف إنسانية متميّزة سجّلت في التاريخ الإنساني؛ كونها أبعاد إنسانيّة؛ وظّفت في المنتظم السّياسي للنهضة. وهذه الأبعاد في هذا السّياق قد يتبادر الذّهن أنَّها ترتبط بالقيم الأخلاقية، وأنَّ المواقف جسّدها الإمام الحسين ﷺ، مع خصومه؛ وبشكلٍ مؤثّر عكست إنسانية قائد هذه النّهضة، ويمكن توضيحها:-

- **العفو والتَّسامح:-**

مثَّل الإمام الحسين ﷺ سمة العفو، والتَّسامح في مواضع متعدّدة حتَّى مع خصومه؛ إنطلاقًا من الآية

---

(١) الحائري، كاظم الحائري، الامامة وقيادة المجتمع، ط١، قم، مكتب اية الله كاظم الحائري:- ١٧٩ – ١٨٠.

(٢) ابن خلكان، احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر، وفيات الاعيان وأبناء الزمان، لبنان، دار الثقافة للنشر، تحقيق: احسان عباس، ج٥،: ٤٠٦ – ٤٠٧.

الكريمة (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**) [١]

والإمام ﷺ هو القائل " إنَّ أعفى الناس من عفا عند قدرته " [٢]

وكمثال على مواقف الإمام الحسين ﷺ التي تدل على العفو، والتّسامح؛ ومنها موقفه مع الحر بن يزيد الرّياحي، حينما قطع مسيرة الإمام ﷺ إلى الكوفة جعجع به إلى كربلاء، ومنعه من الماء، وبعد أن عدل الحر عن موقفه متحوّلًا إلى معسكر الإمام الحسين ﷺ نادمًا طالبًا التّوبة، قال له ﷺ "نعم يتوب الله عليك " [٣]

فقد أوضح الإمام ﷺ بقبول ندم، وتوبة الحر بن يزيد الرياحي على الرغم من موقفه السّلبي السّابق والمؤثّر على حركة ومسير الإمام ﷺ. إنَّ التواصل ضرورة أخلاقية بين المسلمين، وإنَّ الحقد لا محلَّ له في قلب الإنسان المؤمن، وأنَّه لا يحقد حتى على أعدائه، وخصومه السّياسيين .

- **عدم الإكراه على المناصرة:-**

من المواقف الإنسانية الفريدة التي التزم الإمام الحسين ﷺ بها في نهضته؛ عدم الإكراه على المناصرة من قبل أصحابه وأتباعه، وفي ليلة المواجهة العسكرية في العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية، خطب الإمام الحسين ﷺ في أصحابه آذنًا لهم بالتّفرّق، والانصراف عنه، في وقت يتطلّب النَّاصر والمعين، قائلًا لهم " أمّا بَعْدُ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أوْفَى وَلا خَيْراً مِنْ أصْحابي، وَلا أهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ ولا أوْصَلَ مِنْ أهْلِ بَيْتِي، فَجَزاكُمْ اللهُ عَنِّي خَيْراً، ألا وَإنِّي لأظُنُّ أنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنا مِنْ هَؤُلاءِ، ألا وَإنِّي قَدْ أذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَميعاً في حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذمامٌ، هذا الليل قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوه جَمَلاً"، و" وليأخُذ كلُّ رجلٍ منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سَوادِكم ومدائنكم حتّى يُفرجَ الله، فإنَّ القومَ إنَّما يطلبونني ولو قد أصابوني لَهوا عن طلب غيري " [٤].

إنَّ هذا الموقف أرسى جانبًا مهمًّا في قضيّة الإصلاح السياسي في مجال الحرب، فيجب أن تستند الحملة العسكرية، وتعبئتها في الإسلام للصراع ضدّ الباطل، على مبدأ عدم الإكراه على المناصرة، والقتال مع من عبّأ هذه الحملة العسكرية، وعليه ضمن الالتزامات الأخلاقية أن يشاور جنده وأنصاره، كما أنَّ هذا الموقف الإنساني رفع من قدر الإمام الحسين ﷺ .

- **تجسيد الجانب الإنساني في الحرب:-**

لقد أراد الإمام الحسين ﷺ أن يرسّخ قاعدة: أنَّ الحرب والعنف ليس أصلًا في الإسلام؛ بل إنَّ خروجه كان من أجل السّلم.

---

(١) سورة الأعراف – اية: ١٩٩

(٢) جواد القيمومي، صحفية الحسين (ع)، ط١، لسنة الطبع ١٣٧٤،: ٧٧٧

(٣) ابن الاشير، عز الدين علي ابي الكرم، الكامل في التاريخ، مصدر السابق، ج ٤،: ٦٤.

(٤) جواد القيمومي، صحفية الحسين (ع)، المصدر السابق: ٢٩٧ – ٢٨٠.

ومثال على الموقف الإنساني للإمام الحسين ﷺ في الحرب وهو سقي جيش العدو، وخيولهم بالماء، وهو بأشدّ الحاجة إليه في وسط الصّحراء اللاهبة، مع علمه بصدور الأوامر المركزيّة بمنعة من الماء، فقد كتب ابن زياد لقائد الجيش الأموي: " أمّا بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة..."[1]، وهنا كما يبدو إنَّ الهدف الأساس من هذه المواجهة في كربلاء هو إظهار الإسلام، وإبرازه بأبعاد وجوانبه الإنسانية كافة .[2]

(١) ابن شهر اشوب، أبو عبد محمد بن عي (ت ٥٨٨)، مذاقب ال ابي طالب، ط١، ج٣،: ٢٤٧.

(٢) مرتضى المطهري، الملحمة الحسينية، المصدر السابق، ص ٣١٤–٣١٦ .

صوت الكرامة الإنسانيّة:-

لقد شرَّف الله تعالى الإنسان بصنوف التّوقير، والاعتزاز، وألوان الدَّعم والتَّأييد، فحفظ كرامته، وصان عرضه، وحرّم ماله ودمه، فقال تعالى (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**)[1].

ومن هذا المنطلق الإسلامي ركَّز الإمام الحسين عليه السلام في نهضته على الإنسان، وكرامته، واتجاهاته السّياسيّة، والدّينيّة؛ فالحرّيّة تعبير أصيل عن الكرامة الإنسانية[2] ولقد ركَّز الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء قبل استشهاده على مفهوم الحرّيّة الإنسانيّة، مصرّحًا للجيش الأموي في أحد خطاباته قائلاً لهم: " وَيْحَكُمْ يَا شِيْعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَان. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِيْنٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُوْنَ يَوْمَ المَعَادِ فَكُوْنُوا أَحْرَارَاً فِيْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عُرُبَاً كَمَا تَزْعُمُوْنَ" [3].

فعلاقة صيانة حقّ الكرامة الإنسانية، بكفالة النّظام السّياسي له تبرز لنا أهمّ نتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح السّياسي، ذلك لافتقار المجتمع الإنساني حقّ رعاية الكرامة الإنسانية بل امتهانها من قبل هذا النّظام السياسي كما فعل النّظام السّياسي الأموي.

---

(١) سورة الاسراء: اية: ٧٠.

(٢) محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ط٢، قم، مؤسسة بوستان للنشر ١٤٢٥ هـ: ٢٢٦ .

(٣) العاملي، محسن بن عبد الكريم الأمين، مقتل الحسين (ع)، ط١، صيدا دار النشر، لبنان، الناشر، دار الأمير: ١٨٥ .

العبّاس عليه السلام رجل القوّة والوفاء

الشّيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

رجل العلم، والقوَّة، والوفاء، والنَّصيحة، والمؤازرة، والنّصرة؛ أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام؛ الشَّخصيّة التي التقت أجواء الإمامة، وعاشتها فكرًا، وسلوكاً، وموقفاً، كما أورد ابن الأثير: (أنَّ العباس زقّ العلم زقّا)[1].

ولا غرابة في ذلك وهو ابن علي أمير المؤمنين عليه السلام القائل: (علَّمني رسول الله ألف باب من العلم؛ ينفتح لي من كلِّ باب ألف باب)[2] كما كان يُمثّل عنصر القوّة، والقيادة العسكرية في خطى، ومواقف الثّورة الحسينيّة العملاقة؛ لذا يقع الحديث في ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: مقامه عند المعصومين عليهم السلام

فلقد نالت هذه الشّخصيّة الفذّة جزءًا كبيرًا من الثّناء والإطراء على ألسن الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين ينظرون الإنسان فيعرفونه بحقيقة الإيمان أو النّفاق، وقد ورد عنهم في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)[3].

ففي روايات عدة عنهم عليهم السلام كما عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: (هم الأئمّة)[4]، أي: الذين هم يتوسّمون بذكائهم، وفراستهم في الشّخص صفته، وموقعه، وهويّته الحقيقيّة.

فإذا كان الحديث الشّريف – أيّها الأحبّة – يقول: (اتقوا فراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله، ويسمع بسمع آخر)[5]؛ فما بالك بالإمام المعصوم عليه السلام الذي يعتبر قوله، وفعله، وتقريره حجّة على الناس؟.

لذا فإنَّهم لمعرفتهم بهذه الشَّخصيّة اللامعة في سماء الرّسالة والتأريخ الإسلامي المشرّف كانت أحاديثهم تصبّ

(١) ثمرات الأعواد .ج١ ص١٠٥.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٦ – ص ٢٩ .

(٣) الحجر: ٧٥.

(٤) الأمثل – للشيخ مكارم الشيرازي –: ٨ / ٩٨.

(٥) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧ / ٣٢٣.

على عمق المنزلة، والقدر، وسموّ الحقيقة فيها.

فقد قال فيه الإمام زين العابدين ﷺ: (رحم الله عمّي العبّاس فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتَّى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشّهداء يوم القيامة)[1].

علاوة على ذلك، وعلى مستوى التّعامل نجد الإمام السّجّاد ﷺ لمعرفته بهذه المنزلة، لم يسمح لبني أسد أن يحملوا جثمانه الطّاهر بأنفسهم؛ بل انفرد الإمام ﷺ بحمله ودفنه، كما صنع مع جثمان أبيه الحسين ﷺ.

وقال فيه الإمام الصّادق ﷺ: (كان عمّنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله ﷺ وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا)[2].

وقد أشار الإمام الصّادق ﷺ، إلى عمق بصيرة أبي الفضل العباس ﷺ وصدق يقينه، وثباته في موقفه الذي تحدّى كلّ الظّروف والأحوال، وازدرى بكلِّ المحن، والأهوال، ومما يدلّ على ذلك من مواقف:

أ- رفضه الأمان الذي عُرض عليه من قبل القيادة اليزيديّة، حينما خاطبه الشّمر بقوله: أين بنو أختنا؟ أين العبّاس وأخوته؟ فلم يجبه أحد منهم، حتَّى قال لهم الإمام الحسين ﷺ: (أجيبوه وإن كان فاسقًا)، ولولا علم الإمام الحسين ﷺ وثقته بما سيكون الجواب، لما أوعز إليهم بالجواب، فقال له العباس ﷺ: ماذا تريد؟ قال له الشّمر: لكم الأمان.

فقال له العبّاس ﷺ: (لعنك الله ولعن أمانك؛ أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟!) ليؤكِّد له: أنَّ المسألة ليست مسألة أمان، أو بحث عن الحياة، أو صراع من أجل البقاء، وإنَّما هي رسالة تجذّرت حركتها في أعماق قلبه وروحه، وطاعة واجبة عليه لإمامة قائمة بالهدى والحق؛ لذلك تقرأ في زيارته " اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ الْمُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلاَمِيرِالْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ ..."[3].

ب - تقديمه إخوته، وأشقّائه إلى حلبة القتال، قبل أن يبرز إلى ميدان المنازلة؛ لغرض أن يطمئن أنَّهم قد شاركوه الموقف والنّصرة للحسين ﷺ فقال لهم: "تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، وحتى أرزأ بكم)[4] وهو يتحدّى بذلك تيّار العواطف الأخوية، في سبيل المؤازرة والنّصرة لإمام الحق، الذي يتصاغر أمامه البذل والتّضحيات، وتهون في سبيل نصرته المصاعب والعقبات.

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتأريخ – محمد الريشهري -: ١ / ٩٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٩٩ .

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٩٨ – الصفحة ٢٧٧

(٤) العبّاس ﷺ للسيّد عبد الرزّاق المقرّم / ص ١٨٢.

ج – في أحرج المواقف، وأقساها عليه، عندما قطعت يمينه، كانت له أرجوزته التي حفظها لنا التأريخ، والتي قالها غير مكترث، ولا متردّد:

والله إن قطعتمو يميني إنّي أُحامي أبدًا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النّبي الطّاهر الأمين

هذه الأرجوزة التي يوضّح بها للأجيال؛ أنَّ الدِّين، والمعتقد، والرّسالة في وعيه، وفي فكره، ووجدانه؛ فوق الدّم، والنّفس، والجاه، والمال؛ وأنَّ هذه الحركة التي يقودها الإمام الحسين ﷺ إنَّما هي حركة إصلاح لواقع الأمّة، ينبغي أن تذوب فيها كلّ المصالح، والذّوات، وتبقى الغاية وهي: حماية الدّين، والرّسالة، وإمام الصّدق واليقين، ولم يقل: إنِّي أُحامي عن أخي؛ لأنَّ القضيّة في وجدانه، ووعيه ليست قضيّة أخوّة يدافع عنها من منطلق العاطفة؛ بل هي قضيّة قيادة يدافع عن حركتها الإصلاحية، ورسالتها التي أعلنها الإمام الحسين ﷺ: " إِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي" ضد حركة كلّ التحديات المنحرفة.

المحور الثاني: في كونه باب الحوائج

فإنَّ العادة الجارية لله عزّ وجل في أوليائه، أن يظهر لهم المنازل الرّفيعة، بإظهار كراماتهم تقديرًا لعملهم، وتثمينًا لجهودهم في طاعة الله تعالى، وحثًّا للملأ على اقتفاء أثرهم، والاقتداء بهم في الطّاعة، والتّقوى.

ومن خاصّة أولياء الله عزّ وجل؛ هو أبو الفضل العبَّاس ﷺ الذي بذل مهجته، وكلّ ما يملك في سبيل نصرة الحقّ، والرّسالة، ومؤازرة الموقف الثّوري الخالد لأخيه الحسين ﷺ لذلك استحقّ أن يكون واسطة في مجرى الفيض، والعناية الرّبَّانية على النّاس.

يقول السيد عبد الرّزّاق المقرّم في معرض حديثه عن العبّاس ﷺ: إنَّ الحسين ﷺ كان على علم، وقصد عندما ترك العباس ﷺ إلى جانب المشرعة، ولم يحمله إلى المخيّم؛ لأجل أن يبقى في مكانه هناك، ويكون باباً من أبواب الرّحمة، يتوسّل به المحبون لقضاء حوائجهم، وكما قال الشاعر:

باب الحوائج ما دعته مروعة في حاجة إلا ويقضى حاجها

وعلى غرار ذلك أقول:

واسى حسينًا وافتداه بنفسه فحباه من أسنى المكارم ربّه

باب الحوائج ما دعاه مروّع في كربه إلَّا ويكشف كربه

كما يجدّر أن يكون الباب الذي من خلاله يتوصّل الزّائر إلى حضرة الإمام الحسين ﷺ، فتكون زيارة العباس ﷺ

خطوة أولى للدخول إلى حضرة الإمامة في ضريح الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك قصّة ذكرت في أحد المجالس عن الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣هـ؛ وهو من تلامذة الشيخ الأنصاري (قدس) قال: زرت الإمام الشهيد الحسين عليه السلام ثم قصدت أبا الفضل العباس عليه السلام.

وبينما أنا في الحرم المقدّس؛ إذ رأيت زائرًا من الأعراب معه غلام مشلول، فربطه بالشّبّاك، وتوسّل، وتضرّع إلى الله عزّ وجل بلغته البسيطة، وهو يندب صاحب القبر، وإذا بالغلام ينهض وليس به علّة، وهو يصرخ: (شافاني العباس).

فاجتمع عليه الناس، وخرقوا ثيابه للتبرّك بها، فلمّا أبصرت هذا بعيني، تقدّمت إلى الشّبّاك بنفسي، وعاتبته عتابًا شديدًا؛ وقلت: يغتنم منك (المعيدي)، وينقلب مسرورًا؛ وأنا مع ما أحمله من العلم، والمعرفة فيك، والتأدب أمامك، أرجع خائبًا؟! لا أزورك بعد هذا أبدًا.

ثم راجعت نفسي، وتنبّهت لجفائي، وسوء أدبي، فاستغفرت الله ممّا أسأت، ولما عدت إلى النّجف الأشرف، التقيت الشيخ الأنصاري، وأخرج لي صرّتين، وقال: خذ هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس عليه السلام (إشتر داراً، وحجّ بيت الله الحرام)؛ وهي عين الحاجة التي في نفسي، ومن أجلها توسّلت بأبي الفضل العبّاس عليه السلام.

هذه من علاه إجدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها[1].

المحور الثّالث: مواقفه قبل الطَّفّ

فقد كان عليه السلام كالجبل الأشم، وقلبه كالطّود العظيم، فكانت مواقفه قبل الطّف مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام لامعة مشهودة.

فممّا يروى في بعض أيّام صفين: خرج مع جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر على شمائله الشّجاعة، كان يطلب المبارزة فيهابه الناس، فندب معاوية إليه أبا الشّعثاء.

فقال: إنَّ أهل الشام يعدّونني بألف فارس؛ فكيف أبرز إلى هذا الشّاب؟ ولكن أرسل إليه أحد أولادي.

وكان له سبعة أولاد، فكلّما خرج إليه أحد منهم قتله، حتى قضى عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، فبرز إليه بنفسه فألحقه بهم، فهابه الجميع، وأدهش أصحاب الإمام علي عليه السلام من هذه البسالة التي لا تعدو الهاشميين، ولم يكونوا يعرفونه، حتى كشف النقاب فإذا به قمر بني هاشم.

وكان له موقف آخر يوم شهادة أخيه الحسن المجتبى عليه السلام، عندما رأى جنازة أخيه الحسن عليه السلام تُرشق بالسّهام، لمنعها عن الدّفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فعظم عليه ذلك، ولم يطق الصّبر؛ حتَّى جرّد سيفه من غمده، وأراد

(١) العباس للشيخ عبد الرزاق المقرّم، منشورات الشريف الرضي، ط١، ص ٢٣٩.

البطش بهم، لولا أن ذكّره الحسين ﷺ بكراهية أخيه الحسن ﷺ لذلك، بقوله له في بعض وصيّته: (لا تهرق في أمري محجمة من دم)؛ فصبر أبو الفضل ﷺ وادّخر نفسه ليوم عاشوراء الطّف.

ومن هنا كان (اليوم السابع من المحرّم) يومًا لامعاً في تأريخ عاشوراء، وهو اليوم الذي استبسل فيه أبو الفضل العباس ﷺ، واندفع من بين مخالب الجموع المتوحشة، ليستسقي الماء لمخيم الحسين ﷺ، لإرواء عائلته وأطفاله، ولنعم ما قيل فيه:

بطل تورّث من أبيه شجاعة فيها أنوف بني الضّلالة تُرغم
ما كرّ ذو بأس له متقدِّمًا إلَّا وفر ورأسه المتقدم
صبغ الخيول برمحه حتَّى غدى سيان أشقر لونه والأدهم

إنَّ هذا الرّمز الخالد يوحي إلينا أنَّ أيّة حركة إصلاحية، وأيّ نشاطٍ تغييريّ هو محتاج إلى قاعدة عسكرية مسلّحة، يتسنّم هرمها، ويحمل لواءها رجل مؤمن بالله تعالى، قويّ في ذاته، صالح، كفوء، أمين، وواعٍ لكلّ تفاصيل هذه الحركة، لا تُغريه المطامع، ولا تستهويه المصالح.

وهل هناك رجل أكفأ وأوفى لهذه الحركة من أبي الفضل العباس ﷺ؟ الذي شهد له المعصومون ﷺ بأنَّه كان نافذ البصيرة، صلب الإيمان، لم يهتزّ أمام تحدّيات التّرغيب والتّرهيب، ولم تُغير من موقفه كافة العروض التي طرحت عليه؛ فبقي هذا الموقف خالدًا لكلّ الأجيال؛ يؤكِّد فيه العبّاس ﷺ أنَّ القضية ليست قضية أمان، ونجاة من حدّ السيف؛ بل هي الرّسالة التي تتحرّك في دم الحسين ﷺ الذي عزم على ملاقاة الحتوف؛ فلابُدَّ من الطّاعة، والدّفاع، والوفاء، والصّبر في خطّ هذه الرّسالة التي علمها ورائدها الإمام الحسين ﷺ.

لذا ورد في زيارة هذا البطل الشهيد: (أشهد لك بالتّسليم، والتّصديق، والوفاء، والنّصيحة، لخلف النّبي المُرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ، والمظلوم المهتضم..) وفي فقرات أخرى: (السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله، ولأمير المؤمنين، والحسن، والحسين....).

حيث تؤكِّد هذه الفقرات أنَّ العنوان الذي كان يحمل هذا القائد العسكري اللامع، ويشدّه للإمام الحسين ﷺ هو الطّاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين من بعده؛ وأمّا العاطفة الأخوية – وإن كانت تحتلّ مساحة مهمّة في نفس أبي الفضل العباس ﷺ – فهي تصبّ في قناة خدمة الرّسالة التي حملها الحسين ﷺ وجاد بدفقات الدّم الزّكي من أجلها.

شهر صفر

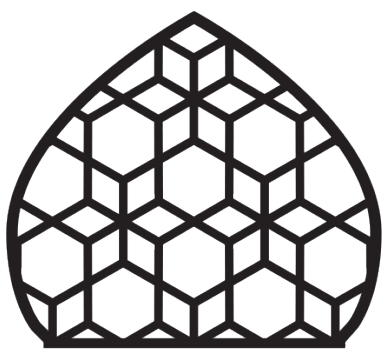

- الإمام الحسن عليه السلام مدرسة الفكر والعقيدة
- من آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام
- الخطاب التربوي النبوي وتجلياته في السنّة النبويّة الشريفة
- من مناقب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الإمام الحسن عليه السلام
مدرسة الفكر والعقيدة

أ.م.د علي عبد المطلب علي خان المدني

المقدمة

عاش الإمام الحسن بن علي عليه السلام حياته المباركة مع القرآن الكريم فكراً، ومنهجاً، وعرف بإمكانياته الواسعة وإدراكه الواعي أثرًا في بلوغ معالي المعرفة، ودرجات الفكر في التاريخ الإسلامي، فضلاً عن المنزلة الرفيعة المميزة عند جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ففي تلك الأجواء القدسية نشأ الإمام الذي تغذّى من صافي معينه، وعظيم خلقه، وحظي بوافر حنانه ورعايته، وطالما رأى المسلمون تلك المكانة من خلال حمله على عاتقه؛ وهو يقول: ((... اللهم إنّي أحبه فأحبّه وأحبّ من يحبّه))[1] ونشأ في أحضان والده أمير المؤمنين عليه السلام كنفاً من الزّمن، بلغ مجموع تلك السنين حوالي سبعة وثلاثون عاماً، نهل منه أنوار الفكر وعبق القداسة المتجسّدة في شخصيّته؛ لذلك أضحى الإمام الثّائر بالكلمة في سبيل الله تعالى وإعلاء لكلمة الدِّين ومنهجه، عاملاً على إنقاذ الأمّة من المفسدين المغتصبين للخلافة، المتاجرين بالحقِّ، وانتصارًا للباطل والانحراف الأموي البغيض.

أنتجت مدرسة الإمام الحسن عليه السلام الفكرية مسارًا فكريًّا ثوريًّا تجسّد بثورة أخيه الإمام الحسين(عليهم الصلاة والسلام) التي أخذت صداها المشعّ وأنوارها المستمرّة طوال التاريخ، والباعثة للأجيال سمة التّحدّي لكلّ ظالم مستبد، ويكون الإمام الحسين عليه السلام مصداقًا للآية الشّريفة: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)[2]، وقد بيَّنت الأحاديث النّبويّة الشّريفة والإشارات الواضحة لمقام الإمامين المباركين المنزلة الكبيرة، والرّعاية الخاصّة كون عباراته تكون إيحائية ربّانيّة انطلاقًا من الآية الشّريفة: ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى))[3] .

إنَّ شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام شخصيّة إسلاميّة مباركة انصهرت في أجواء الفكر النّبويّ الشّريف اتسمت بالفضائل والقداسة المتمثّلة بالأصالة النّسبيّة والعائلية، جعلت منه علمًا إسلاميًّا ومفكّرًا أخذ على عاتقه التّضحية بالخلافة حفاظًا على بيرق الإسلام، وفكره وأصحابه الذين كان الإسلام بحاجة إليهم للمحافظة على تعاليم الإسلام المحمّديّة الأصيلة التي أرادها الله في كتابه الكريم وتعاليم النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

تكوّن البحث من محورين حمل الأوّل عنوان(طروحات الإمام الحسن عليه السلام) وأثرها في بناء فلسفة الأخلاق

التي بيّن فيها المحور عمق الكلمات الكريمة والطّروحات العلميّة الهادئة التي انطلقت من الإمام في أشدّ الظّروف وأحنكها مقدمًا مصلحة الأمّة هادفًا إلى نشر الفضيلة في ذهن الأجيال، وكان المحور الثاني تحت عنوان(الأخلاق السّياسية في مدرسة فكر الإمام الحسن عليه السلام، والذي بيّن عبر سياساته المميزة وإدراكه الكبير ابان فترة حكمه حجم المخاطر المحيطة بالأمّة والتّخاذل الكبير من قبل كبار الصّحابة والمحسوبين على الإسلام واتباعه سياسة المهادنة، والتّخطيط العلمي، والتّهيئة الذّهنية لثورة دقيقة بعد حين، والتي نتجت ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي هزّت دول الظّلم والجور طوال التاريخ، إضافة إلى أهم الاستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع .

أوّلاً: طروحات الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في بناء فلسفة الأخلاق

تعدّ الأخلاق الفاضلة أساس المعاني الإنسانية الرّفيعة، وتحيط بهالة وضّاءة من الجمال والكمال، وشرف النّفس والضّمير، وسموّ العزّة والكرامة للأمم التي تتمتّع بها، إذ لم تكن تلك الآثار مقصورة على الأمم فحسب؛ وإنَّما تشمل تلك السّمة العطرة الشعوب والأشخاص لما لها من آثار اجتماعية كبيرة، ومن ذلك اعتنى نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بتلك السّمة التي تعكس رُقيّه أمام الحضارات المختلفة[٤] حتى خصّه الخالق عزّ وجلّ بالآية الشّريفة (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[٥]، وبيَّن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ذلك الاتجاه من أجل إبراز القرآن الكريم ومنهجه أمام الشعوب المختلفة قائلًا ((إنَّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)) .

إنَّ التَّعاطي العملي والجدّي مع فلسفة الأخلاق وتفعيلها على الصّعيد العملي يُمثّل انطلاقة كبيرة ومميّزة في عالمنا الإنساني، وتمتد تلك الفلسفة لتشمل الجوانب الاجتماعية والفلسفية والسّياسيّة، ولا تنحصر آثارها المميزة على فئة دون أخرى؛ وإنَّما يكون أثرها على الجميع لتصل إلى هدفها الأصيل المتمثّل بنشر الإصلاح، وبناء الفكر الإنساني الثر .

وفق هذا المنهج القرآني العظيم سار خليفة النّبي الأعظم ووصيّة أمير المؤمنين علي عليه السلام خريج بيت النّبوّة المقتفي أثره والحافظ لسرّه، وحفظ لنا التاريخ الحكم العلويّة المباركة[٦] العاكسة للفكر الإصلاحي والتّربوي لبناء الأجيال وتنشئتها وتقويمها أمام الحضارات المختلفة من خلال التّعريف بفلسفة الأخلاق، ودورها في بناء الفكر والتّربية السّلوكيّة، ومن أحاديثه المباركة: ((الخلق المحمود من ثمار العقل)) وقوله أيضًا ((أطهرُ الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً))[٧].

وعلى تلك الخطى سار الإمام الحسن عليه السلام في بناء فلسفة الأخلاق وإظهارها أمام الأمّة خلال مسيرته الكاملة؛ ليرسم منهجاً فريدًا مؤطّراً بالمثل العليا، يستطيع أن يسمو بالإنسان نحو بنائه فكريًّا، وعقائديًّا، ويرسم طريق

المجد والشّرف، إذ تجلّت صورة المصلح الاجتماعي فيه بصورة عملية عاكساً العقيدة المحمّدية الهادفة للتربية والعطاء الفاعل في جميع الظروف والأزمنة؛ متحدّيًا الأفكار الدّنيئة التي تُحاول العبث بالإسلام وتعاليمه الباغية للوصول للمصالح الخاصّة.

امتلك الإمام الحسن﵇ مدرسة متكاملة تجلّت فيها فلسفة الأخلاق، احتوت في طيّاتها أصول الأدب الاجتماعي «الإرشاد والوعظ» الخالد التي ترصّعت بجمال اللفظ وسموّ المعنى، قائمة على التّصدّي للانحراف الإداري والاجتماعي القائم في فكر الدّولة الأمويّة[٨]، إذ عرض الإمام ﵇ نظريّة العلم وأهمّيّته مطالبًا ضرورة الاهتمام به، والمحافظة على رموزه، والأخذ منهم، بوصفه الأساس في إبراز الوعي العقلي، وإضهار المعرفة، وهما عاملان رئيسان يجعلان السّلوك الإنساني وتفكيره ضمن أطر الأعمال المنظّمة الدّقيقة، والابتعاد عنهم يكون ضمن العشوائيّة التي تقود إلى الدّمار والتراجع في جميع الجوانب الإنسانيّة، قائلًا حول العلم ما نصه: ((علم الناس، وتعلم، علم غيرك فتكن قد أتقنت علمك وعلمت مالم تعلم))[٩] وقال ﵇ أيضًا ((تعلّم العلم فإنّكم صغار القوم، وكبارهم غدًا، ومن لم يحفظ منكم فليكتب))[١٠].

كان لباب فكره الاهتمام بالعلم، والأخذ منه، والعمل الحثيث في طلبه؛ طالبًا من الجميع التّوجّه إليه بكلّ السّبل، والإتيان بمفاخره وهي أساليب مباركة أوجدها الإمام في مدرسته الفكريّة لبناء العقيدة وفق الأصول العلمية، والأطر المعرفية لبناء مجتمع قادر على مواكبة الأحداث المختلفة والمتغيّرات؛ منطلقًا من تأطير المجتمع علميًّا وفكريًّا من دسائس الدّولة الأمويّة، والمستبدّين خلال التاريخ .

أكَّد الإمام ﵇ مفردة «العقل» ودوره على سلوك أولي الثقافة، والفكر، وأصحاب القلم، بوصف العقل هبة من الله جلّ شأنه، ومنحة رحمانية أتحف الإنسانية بها، كاشفًا ذلك كرؤية فلسفيّة، وعقيدة لمن يحمله انطلاقًا من القرآن الكريم الذي أفرد للعقل، وأثره الآيات الشّريفة؛ ومنها قال عزَّ مِن قائل: ((كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لكم آيَاته لعلكم تعقلون))[١١]، وتشير الآية الشَّريفة إلى وجود هذه المفردة «العقل» ودلالتها الرّوحانية وآثارها النّفسية على السّلوك البشري المتمثّلة بالقدرة الغامضة التي تردع الإنسان من عمل السّلوك المشين، وتمنعه من القيام به، وهذه من عجائب القرآن وبركاته[١٢]، ومن تلك الأهمّيّة وخطورتها على تصرّفات الفرد أفرد الإمام الحسن﵇ في مدرسته الفكرية مساحة من الاهتمام؛ لكونها تُمثّل أعزّ جزءٍ، وأكرم جوهر في بقاء الإنسان ووجوده يتمثّل بالعقل، وقول ﵇ ما نصّه: ((لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة النّاس بالجميل، وبالعقل تُدرك سعادة الدّارين، ومن حرم العقل حرم جميعًا))[١٣].

إنَّ العقل، وآلية عمله ترسم للإنسان طريق الصّواب، وسُبُل النّجاة، ويرسم الفكر الإنساني من خلاله

الإدراك العميق، ومعرفة حقائق الأمور، إذ بالعقل وفضيلته الإلهية يستطيع الإنسان تثبيت الحقائق الصّائبة، والابتعاد عن الضّلالة، وبه يبني مجتمعًا له مقوّمات النّهوض المؤسّس لثقافة الحياة المتكاملة؛ وبذلك يثبت الإمام حقيقة عقائديّة قرآنيّة دقيقة مهمّة في مسير الحفظ على هيكليّة التّركيبة البشرية .

وفي اتجاه مكمّل للمسارات الاجتماعية الأخرى، وانطلاقًا من الواقع العام للفرد، وأثر مفهوم ضرورة «التآخي» الهادف إلى أهمّيّة اختيار الرّفيق في الحياة، ودوره في تعزيز التّآخي الاجتماعي، وضرورة التّأنّي في عمليّة الاختيار داخل المجتمع بمثابة قانونٍ نفسيّ يحكم النّظام الاجتماعي بنمط تنظيمي مستندًا لقانون ذاتيّ يسمح تنظيم العلاقات بين الأفراد نابعة من احترام الطّرفين، وينتج من تلك السّياسة تأطير المجتمع الإسلامي بالأمانة، وتأمين أفضل مردود من التّبادلات الأخلاقية قائلًا ﷺ: ((كانَ لِي فيما مَضَى أَخٌ فِي الله، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلاَ يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ وَلاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً!

فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ لاَ يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً، وَكَانَ لاَ يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لاَ يَشْكُووَجَعاً إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكَانَ يقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلاَمِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَيُخَالِفَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلاَئِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.))[١٤] .

عالج الإمام ﷺ مسألة عقائدية لها أثر فعّال في تزكية النّفس البشرية مستلهمًا منها جميع المفاهيم العلمية المتمثّلة بأهمّيّة «القرآن الكريم» وفضله على العقول الإنسانية التي تصبو إلى من يرغب تنزيه أفكاره، والوصول إلى ساحة النّجاة، وتحقيق التّفكير السليم، وتثبيت الاتجاهات العقائدية القرآنية في نفوس الأمّة التي من خلال تلك المسارات يمكن ترك أثر طيّب في نفوس الدِّيانات الأخرى، إذ عمل الإمام الحسن ﷺ على تعليم تلك المفاهيم، والتّأكيد عليها كمرتكزات ضروريّة تربويّة شاملة لا يمكن إغفالها في جميع الظّروف والأزمان؛ لبناء فكر الأجيال بناءً عقائديًّا علميًّا مدروسًا يمكن من خلاله تحقيق الهدف المطلوب من ذلك الاهتمام ذاكرًا: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ، وَلْيُلْحِمِ الصِّفَةَ قَلْبُهُ، فَإِنَّ التَّفْكِيرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ، كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ))[١٥] .

إنَّ التّوجّه الواضح حول أهمّيّة التّأكيد على الجوانب العقائدية ودورها الفعّال في نشأة الأجيال خلال العصور المختلفة نشأة قرآنيّة لا يمكن التّأثير عليها من قبل أصحاب الأغراض المنحرفة خلال التاريخ .

وهدف الإمام الحسن ﷺ في تثبيت الفكر التّربوي[١٦] من خلال تأكيده جوانب اجتماعية مختلفة منها؛ تعريف «السخاء» وجعله واجبًا إنسانيًّا ضمن الروابط الاجتماعية، وصولاً إلى تحقيق تربية اجتماعيّة متقدِّمة محقّقة بذلك مصلحة عامة تضامنيّة، لذلك حظيت بالاهتمام الإمامي، والإشارة الدّقيقة في هذا المجال، وأخذ العبرة والاتعاظ منها معتمدًا المعايير الخطابيّة والتّذكيريّة، ومن كلماته: ((كان ﷺ يطوف في بيت الحرام فسأله رجل عن معنى الجواد فقال له: أَخْبِرْنِي عَنِ اَلْجَوَادِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ لِكَلاَمِكَ وَجْهَيْنِ فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ اَلْمَخْلُوقِ فَإِنَّ اَلْجَوَادَ اَلَّذِي يُؤَدِّي مَا اِفْتَرَضَ اَللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِ وَاَلْبَخِيلَ مَنْ بَخِلَ بِمَا اِفْتَرَضَ اَللهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْنِي اَلْخَالِقَ فَهُوَ اَلْجَوَادُ إِنْ أَعْطَى وَهُوَ اَلْجَوَادُ إِنْ مَنَعَ لِأَنَّهُ إِنْ أَعْطَى عَبْداً أَعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ مَا لَيْسَ لَهُ وقال ﷺ: المعروف ما لم يتقدّمه مطل ولا يتبعه منّ، والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد))[١٧] .

اتخذ الإمام ﷺ جانب «الوعظ والإرشاد» وسيلة مستمرّة في عملية بثّ فكره وتقويم الأمم[١٨]، انطلاقًا من أهمّيّة ذلك السّلوك على الواقع النّفسي للأمّة وتأثيره المباشر على المتلقّي لتلك الكلمات النّادرة لكونها معتمد القرآن والسّنّة الشّريفة أساسًا ومعنى[١٩]، إذ لابُدَّ من فهم المنهج الإرشادي والخطابي المتّبع من قبل الإمام الحسن ﷺ وجعل ذلك الأسلوب منهجًا ثابتًا للخطاب والطّرح، خاصّة أمام الفئات الشّبابيّة التي تميل للعنف والتّمرّد باستخدام العنف والشّدّة اتجاهها، لذلك انتزع نهج الإمام الإرشادي الهادئ موقعه في نفوس الجميع من أجل حماية شؤون المسلمين، وإصلاحهم بالعقيدة الإسلامية المحمدية الأصيلة قائلًا ﷺ: ((يا ابن آدم: عفّ عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحبّ أن يصاحبوك به تكن عادلاً. إنّه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزود، والكافر يتمتّع))[٢٠]. واعتمد القرآن الكريم وآياته المباركة في عملية الوعظ والإرشاد لما لها من آثار نفسيّة على المتلقي، ومن تلك الآيات المباركة قال عَزَّ مِن قائل ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ))[٢١].

تصدّى الإمام ﷺ في سلوكه الفكري المتمثّل بالوعظ والإرشاد إلى دور الفرد في أهمّيّة تهذيب النّفس وجهوده في تحقيق ذلك، وضرورة مراقبة سلوكه في عملية بناء المسار الاجتماعي للأمّة، مذكّرًا بعدم إغفال المسلمين انتماءهم لمدرسة القرآن والسّنّة ثانيًا، وفكر أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ثالثًا، تلك العودة لذلك المسار المقدّس يؤدّي إلى تكامل الفكر والمجتمع المستدام خدمة للإنسانية: ((اتقوا الله عباد الله وجدّوا في الطلب وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطعات النّقمات، وهادم اللذّات، فإنَّ الدّنيا لا يدوم نعيمها،

ولا تؤمن فجيعها، ولا تتوقّى مساويها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنّعيم، وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصمًا ونصيرًا، وكفى بالكتاب حجيجًا وخصيمًا، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقابًا ووبالاً))[٢٢]

إنَّ تلك الكلمات الوعظية الإرشادية مبنيّة بدون شكّ على واقع قرآنيّ كريم هادف من خلال ذلك تربية وتهذيب سلوك وتذكير غافل، مصححًا الانحراف لتجاوز الاختلال السّلوكي، سلوكًا علميًّا تربويًّا في المحافظة على العقيدة المحمّديّة السّمحاء .

ويتبيّن من خلال ما ذكر أعلاه من نماذج فلسفيّة تتعلّق بالأخلاق وأثرها على الواقع الإنساني ضرورة الاهتمام والرجوع الدّوري إلى أطروحات البيت العلوي، ونهجهم السّوي الهادف، للحفاظ على القيم، والتربية السلوكية القويمة، إذ لابُدّ من اتباع سياسة نشر تلك الأفكار والكلمات المباركة من قبل الكوادر العلمية، وطرحها على مختلف المراحل العلميّة؛ لتكن دروسًا ثابتة تنهل الأفكار من مجالاتها الواسعة، ودروسها المختلفة، لتكن تجربة من حياة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، لا يمكن فصلها عن الواقع التّربوي الذي يؤدّي إلى المحافظة على الأخلاق والقيم الأصيلة لمختلف الأجيال في مختلف الأزمان .

ثانيًا: الأخلاق السّياسة في مدرسة فكر الإمام الحسنعليه السلام

تُعدّ المحطّة السّياسيّة من الأمور المهمّة في مسيرة الإمام الحسن عليه السلام لما أحاط بتلك المسيرة من غموض كبير في أغلب المصادر التاريخية نتيجة تضليل الأمور في العهد الأموي، والحقد العباسي الذي تلاه بهدف التّعتيم المبرمج حول شخصيّة الإمام، والتقليل من جهوده العلمية التي تعدُّ في حقيقتها أسوة لكلّ الأحرار والقادة العاملين لخدمة الأمّة بأسلوب هادئ وهادف، متّبعًا سياسة المهادنة والتّخطيط وفق السياق الزّمني خلال عهده، وصولاً؛ للحفاظ على بيرق الإسلام، وكشف المتآمرين على الدِّين والأمّة.

اتخذ الإمام وفق معايير فكره «القرآن» منهجًا ينهل من أنواره المباركة مفردات فكره؛ لتطبيقها على الواقع العملي؛ لتصبح تلك المفاهيم نمطًا بنائيًّا في عالم السياسة والإدارة تنهل منها العقول وأصحاب الإرادات الحرّة، وقال جلّ وعلا في كتابه: ((ذلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودّة فِي الْقُرْبى))[٢٣] .

اتخذ الإمام عليه السلام سيرة جدّه الأعظم صلى الله عليه وآله مثالاً في قيادة الأمّة وتيسير أمرها بعد أن قضى في كنفه ثمان سنين ينهل من عظيم قدسه[٢٤]، واستند من فكر والده الذي عاش معه سبعة وثلاثين عامًا في قيادة الأمّة والإدارة بعد أن اطلع على حال الدّولة، ودسائس معاوية (لع) وبالرغم من أساليبه الانقلابية المنحطّة، وإعلامه للتشويش

على خلافة الإمام علي ﷺ [٢٥]، إلّا أنَّ الإمام ﷺ قابل الإساءة بالإحسان، وبذلك الفكر الرّحماني الخلّاق الناجز في أحنك الظّروف، إذ اتسمت سياسته بالذّكاء والفطنة رغم مؤامرات عدوّه، وسياسات الانحرافة؛ طرح وصاياه مبنيّة على خدمة الأمّة والعمل الجاد للمصلحة العليا إلى أبنائها، إذ نرى أحد كلماته المباركة الإصلاحية، واستمراره على طرح وصاياه التّربويّة رغم جراح الإصابة التي أدّت لشهادته الأليمة فنراه قائلًا: ((أوصيكم بتقوى الله، ولا تبغيا الدّنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، واغنيا الضّائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وارحما اليتيم، واغنيا الضّائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم))[٢٦] .

نهل الإمام الحسن بن علي عليهما الصلاة والسلام من والده؛ سائرًا على المنهج بخطى ثابتة؛ مؤكّدًا بعدم فكّ التّرابط الأخلاقي عن الجانب السّياسي القائم على مرضاة الله سبحانه وتعالى[٢٧] وخدمة الإنسان، والعمل الجادّ المنظّم المستمر حتى بعد رحيل الإنسان عن الحياة؛ راسمًا بكلماته المنحى الإلهي في الإدارة والعمل قائلاً ما نصه: ((سأله شخص عن رأيه في السياسة، فقال ﷺ: هي أن ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات، فأمّا حقوق الأموات فأداء ما طلب عمّا نهى، وأمّا حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخّر عن خدمة أمّتك، وأن تخلص لولي الأمر ما اخلص لأمّته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطّريق السّوي، وأمّا حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاض عن مساوئهم فإنَّ لهم ربًّا يُحاسبهم))[٢٨] .

عمل بتلك الأفكار المقدسة التي نشأ عليها، فنراه يُقدّم النّصح والإرشاد إلى مغتصب الخلافة والعدو للرسالة المحمّدية معاوية بن أبي سفيان(لع) عندما طلب منه النّصح والعبرة، معتقدًا بأنَّ الإمام يبخل بفكره، إذ أعلن نصيحته له وتعاليمه في إدارة شؤون العباد والأمّة؛ تحقيقًا للمصلحة العامّة، متناسيًا الخلافات، طارحاً رأياً ثاقبًا منبثقًا من ثقل جذوره الأسريّة، وأخلاقه المحمّديّة؛ مؤكّدًا بأنَّ القرآن الطّريق القويم في بناء الأفكار التّربويّة، ومصدر التّشريع الإسلامي الذي نشأ عليه، قائلًا ((قال له معاوية يوما [أي للحسن ﷺ]: ما يجب لنا في سلطاننا؟ قال: ما قال سليمان بن داود. قال معاوية: وما قال سليمان بن داود؟ قال: قال لبعض أصحابه: أتدري ما يجب على الملك في ملكه، وما لا يضرّه؟ إذا أدّى الذي عليه منه، وإذا خاف الله في السّرّ والعلانية، وعدل في الغضب والرّضى، وقصد في الفقر والغنى، ولم يأخذ الأموال غصبا، ولم يأكلها إسرافًا وبذارًا لم يضرّه ما تمتّع به من دنياه، إذا كان ذلك من خلته))[٢٩] .

في خضم عدوانية الدّولة الأموية الكاسحة إلى أهل البيت ﷺ، فإنَّ الإمام الحسن ﷺ حقّق من خلال مواقفه

المبدئية، وتربيته القرآنية مواقف ميدانيّة؛ لتصبح الأكثر بروزًا في التاريخ؛ ولتعكس مدى الفارق الأخلاقي بين الطّرفين؛ لتظهر لمن تآمر، وانقلاب الفارق والأخلاق؛ ولتشكّل تلك المواقف مفاهيم مبدئية علمية يصعب فهمها إلَّا من قبل من أمن وحفظ وصايا الرَّسول الأعظم في أهل بيته الكرام، ليُثبت الإمام مسارًا تربويًّا «ممنهج الجانب السياسي» يعمل على خدمة الإسلام .

بيَّن في خطبته الأولى سنـة أربعين للهجرة بثباته على نهج القرآن الكريم والنّبوة الشريفة، واستكمالًا لسيرة والده ﷺ في تثبيت العدالة، وإقامة الحق، ومحاربة الباطل، ونبذه، مذاكرًا بأنَّ الإدارة التي يعمل بها قائمة ضمن السّياقات العلمية التي تحمل في ثناياها الرّغبة الأكيدة في بناء فكر التّحضّر والحداثة، قادر على معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بصورة معمّقة. ومن خطبته ﷺ: ((لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله ﷺ يوجّهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه . ولقد توفّي ﷺ في الليلة التي عُرِج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون وصيّ موسى ﷺ وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم، فَضُلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله" .

ثم خنقته العَبرة فبكى وبكى الناس معه، ثم قال : " أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السّراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا، أنا من أهل بيت فرض الله مودّتهم في كتابه فقال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)، فالحسنة مودّتنا أهل البيت))[٣٠] .

توّج الإمام الحسن ﷺ بمفخرة إرث آبائه الكرام المتمثّلة في اتباع إعادة الحقّ، عاملًا على رسم الخطط لتعريف الأجيال، وتدريبها على العادات الطّيّبة، مؤكّدًا ضرورة تعليمهم بأسلوب علميّ، وتوجيه أفكارهم على نحوٍ نافعٍ ومفيدٍ؛ للوصول إلى الهدف الأسمى المتمثّل بأعراس القيـــم الإصلاحيّة النّافعة؛ لدعم سعادة الأمم، فإنَّ تلك السعادة لا تُتاح إلّا من خلال بناء القيم والفكر العقائدي الأصيل .

اتخذ الإمام الحسن ﷺ أسلوب المناظرة تارة، والخطابة السّياسيّة المباشرة تارة أخرى؛ للتعريف بفكره ومنهجه، معتمداً البلاغة لتحقيق سمة العدالة، وتحقيقها على الواقع، ومحاربة الظّلم، والجور، بالكلمة والإرشاد الذي ورثه من عمقه الأسري الكبير، ونشأته النّبويّة الكريمة، إذ أوكل له والده بالخطابة أثناء مؤامرات التّحكيم، وفتنته التي وقعت على الأمّة بعد حرب صفّين، وامتحان المسلمين بتلك المصيبة بعد أن عمل أبو موسى الأشعري على نبذ التّعاليم القرآنية، والتوصيات النبوية وتجاوزها تحقيقًا لمصالح دنيويّة ضيّقة،

ممّا دعت لخطابة إرشاديّة تعمل للتعريف بالشّخصيات التاريخية التي ابتلى بها الإسلام أولًا، والتّعريف بالأمور والتذكير بالمكانة التي يحظى بها والده عند النبي الأكرم صل الله عليه واله، وهو الذي قال فيه عزّ مِن قائل: ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى))[٣١]، لذلك كان الأسلوب الإرشاديّ الهادئ سمة اتخذها أسلوبًا لنصرة الحقّ، مما دعا والده إلى اختياره لإلقاء الخطبة التاريخية في تلك الظّروف التي جرت على الأمّة قائلاً في خطبته: ((أيّها الناس إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنّما بُعثا ليحكما بالكتاب على الهوى ، فحكما بالهوى على الكتاب، ومن كان هذا لم يُسمّ حكما ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبدالله بن قيس إذ جعلها لعبدالله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه إذ لم يرضه له ولم يجعله من أهل الشورى ، وأخرى أنه لم يستأمره في نفسه، وثالثة أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يقعدون الإمارة ويحكمون بها على النفس))[٣٢].

ويتبين للباحثين بصورة واضحة بأنّ كلمات الإمام الحسن ﷺ نابعة من أصل العقيدة التي ينهل منها، إذ تعدّ خطبه السياسية ناتجة من قراءة دقيقة لواقعه العام، وتوجّهات الشخصيات التي ابتلى بها الإسلام المحاولة المنفعة الخاصة على حساب الأمة ومصالحها، لذلك تناول المسألة باستخدام الوسائل السلمية تارة، والعسكرية تارة أخرى بعد تسلّمه للإدارة، ولكن الخيانات والتقاعس كان من أهمّ الأسباب التي أجبرته على المهادنة للدولة الأموية المغتصبة .

لم تكن مسألة تولّي الإمام الحسن ﷺ بنفس الأسلوب الذي تم تعيين خصومه باستخدام القوّة والجور وإنّما بايعه أكثر من أربعين ألف مسلم بعد أن أعلن رغبته بإقامة دولة العدل والعقيدة، حيث روي((بأنّه عندما قتل والده بايعه أكثر من أربعين ألفًا، كلهم قد كانوا بايعوا أباه عليًّا قبل موته على المـوت، وكانوا أطوع للحسن وأحبّ فيه فبقي نحوا من أربعة أشهر خليفة بالـعراق وما وراءها من خرسان))[٣٣] .

ومن الخصائص التي عرفت بها مدرسة الإمام الحسن ﷺ الفكرية سمة الوضوح وعدم المهادنة في الطّرح والنّقاش، صريح في كلامه، مقنع في نقاش حتى أعدائه، يفلج بالحقائق دون تستّر، ومنها خطبته بعد مهادنته لمعاوية (لع) التي بيّن فيها الخطوط الرّئيسة لسياسته بأسلوب مليء بالشّجاعة والقوّة، ومن كلماته المباركة: ((وأَنَّ مُعاوية زعمَ لكُم أَنِّي رأَيتهُ للخِلافةِ أَهلاً ولم أَرَ نفسي لها أَهلاً، فكذبَ مُعاوية، نحنُ أَولى النَّاس بالنَّاس في كتابِ الله وعلى لسانِ نبيِّهِ ﷺ ولم نزَلْ أَهل البَيت مظلُومينَ منذُ قَبضَ الله نبيه (ﷺ) فالله بينَنا وبينَ مَن ظلمَنا حقَّنا وتوثَّبَ على رِقابِنا وحملَ النَّاس علينا ومنعَنا سهمَنا مِن الفَيءِ ومنع أُمَّنا ما جعلَ لها رسولُ الله (ﷺ).
وأُقسِمُ بالله لو أَنَّ النَّاسَ بايعُوا أَبي حينَ فارقهُم رسولُ الله (ﷺ) لأَعطتهُم السَّماء قطرَها، والأَرض بركتَها،

وما طمعتَ فيها يا مُعاوية، فلمَّا خرجَت من معدنِها تنازعَتها قُريش بينها، فطمعَت فيها الطُّلقاء وأَبناء الطُّلقاء أَنتَ وأَصحابُكَ))[٣٤] .

ويشير الإمام في خطبة أخرى إلى جرم الدّولة الأمويّة، وظلمها بوجود معاوية، مستعملاً عبارات شجاعة ناقدة، ومنذرًا من اختيار الأمّة لجبّار مستبدٍّ في حكمها قائلاً ((وايم الله لا ترى أمّة محمد حفظًا ما كانت سيادته وقادتهم في بني أمية، ولقد وجّه الله إليكم فتنته لن تصدّوا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانطوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى))[٣٥] .

فلا غرو أن نجد أنَّ الإمام الحسن بن علي عليهم الصلاة والسلام كان نِدًّا واضحًا إلى زعيم الدولة الأموية، وبحضوره، وأمام الأمّة، ومن الواجب القول إنَّ شجاعة الإمام وفصاحته أعجزت أعداءه ومخالفيه، معلّم الأمم والأجيال بأنَّ الخطاب القائم على المسار العلمي وبصورة ممنهجة يضع في اتجاه الحقّ، ونبذ الجهل والاستبداد يكن محور الحراك والثّورات الإصلاحية خلال التاريخ .

الخاتمة والاستنتاجات

- إنَّ شخصيّة الإمام الحسن ﷺ متكاملة تميّزت بالعصمة الكاملة وفق الأحاديث النّبويّة التي ذكرت في ثنايا البحث، إذ التقت فيها روافد النّبوّة والإمامة، والذي انعكس ذلك الموروث الأسري من تلك المنابع المقدسة على منهجه العملي في حياته الكريمة .
- تكوَّنت في شخصيّة الإمام الحسن ﷺ مجموعة من الخِصال منها؛ النبل، والعطاء، والأصالة الأسرية التي رسمت في منهجه الأخلاقي المتمثل في قوّة البلاغة، والشجاعة، والعفو عن المسيء، والتواضع، والعمل على خدمة الآخرين، والإحسان إليهم .
- يُعدّ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة من أهمّ روافد فكره التي جعلته رمزًا إنسانيًّا، وعلماً فكريًّا ترك آثارًا مميّزة في التاريخ الإسلامي .
- رغم الظّروف السّياسيّة، والاجتماعية، والاقتصادية العسيرة التي مرّت بحياة الإمام ولكنه استطاع بحنكة وتدبّر بأن يصبح وسامًا إسلاميًّا، ومصلحًا لجميع الأمّة بدون استثناء، مقدمًا الشورى والنّصيحة حتى لأعدائه .
- لم يستغنِ عن التّوسّل بالقوّة لمحاربة الكفر والفجور وزعمائه، وإنَّه لم يترك ذلك النهج إلَّا بعد خذلان الأمّة وبعض أصحابه للنهج المحمّديّ القويم مقابل المصالح الدّنيويّة القصيرة .
- استخدم سياسة المهادنة مع عدوّه؛ لتكن عاملاً مساعدًا في استنهاض الهمم، وإعداد الفكر والرجال إلى

أبناء الأمّة بعد أن تقاعسوا خلال فترة من الزمن لنصرة الحق ومحاربة الباطل، فعمل على الإعداد للثورة الإصلاحية التي قادها زعيم الأحرار وقائد الإصلاح الإمام الحسين ﷺ فيما بعد .

الهوامش

١-أحمد عدنان، الأسس الفكرية للإصلاح السياسي في نهضة الإمام الحسين ﷺ،أطروحة دكتوراه،جامعة بغداد العلوم السياسية، ٢٠١١،ص ٤٧.

٢- البقرة/ ١٥٤ .

٣- النجم/ ٣-٤.

٤- تعد شخصية الرسول الأعظم صل الله عليه واله وسلم من أعظم المخلوقين الذي خصه الجبار السموات والأرض بعنايته، فأيّ أثر يمكن ان تترك كشخصيته على الفكر الإنساني والوجدان البشري .للتفاصيل ينظر: محمد باقر الحكيم، الرسول الأعظم صل الله عليه واله،إعداد حسن المياحي، مؤسسة شهيد المحراب، النجف الاشرف، ٢٠٠٣.

٥- القلم/ ٤.

٦- مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت ﷺ،بيروت،منشورات الفجر للطباعة والنشر، ٢٠١٢،ص٧.

٧- انتصار عدنان عبد الواحد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين ﷺ،البصرة، الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥،ص٣١-٣٣ .

٨- جعفر السبحاني، الأمة الاثنا عشر ﷺ، كربلاء، مؤسسة الثقلين الثقافية،د.ت، ص٤٥-٥٦.

٩- للتفاصيل عن تلك الأحاديث ينظر: محسن النوري، ألف حكمة للإمام علي بن ابي طالب ﷺ،بيروت، دار المتقين ، ٢٠١١ .

١٠- المصدر نفسه،ص٢٣١.

١١- البقرة/ ٢٤٢ .

١٢-للتفاصيل عن الخطب بصورة أكثر ينظر:علي محمد الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ شخصية وعصره، القاهرة،د.ت، ص١٥٥ – ١٦٤ .

١٣- محسن الأمين ألعاملي، أعيان الشيعة، بيروت، مطبعة الإنصاف،١٩٥١،ج٤، ص٨٨ .

١٤- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ،بيروت، دار البلاغة للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص٣١٧ .

١٥- المصدر نفسه، ص٣١٥ .

١٦- للتفاصيل حول السلوك التربوي وأثره على الواقع الفكـــري والاجتماعي ينظر: حسين سليمان، الأصول التربوية في بناء المناهج، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢ .

١٧- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص٣١٨ .

١٨- الخطابة تعد علم معرفة طرق أداء الكلام، ونقل الأفكار إلى عقول السامعين وأحاسيسهم بصورة مخصوصة وصفات معينة وذلك للتأثير وإقناعهم اي حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك .ينظر: أحمد عطا إسماعيل، الخطابة فن التأثير والإقناع، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٣، ص٢٧ .

١٩- ينظر للتفاصيل عن الموضوع: احمد حسن، فلسفة والتربية والحياة، النجف الاشرف، مطبعة الآداب ،١٩٧٧ .

٢٠- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص٣٢١ .

٢١- البقرة / ١٩٧ .

٢٢- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص٣٢٢ .

٢٣- الشورى / ٢٣ .

٢٤- جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص١٢ – ١٩ .

٢٥- محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، النجف الأشرف، د.ت، ص٤٢-٥٦ .

٢٦- حسين كامل الملطاوي، خامس الخلفاء الراشدين الإمام الحسن بن علي، القاهرة، لجنة التعريف بالإسلام، د.ت، ص١٠١ .

٢٧- مجموعة الإمام علي ﷺ القدوة الحسنة، الأخلاق السياسية عند الإمام علي ﷺ، بيروت، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر،٢٠٠١،ص٣٦ .

٢٨- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص٣١٦ .

٢٩- المصدر نفسه،ص٣١٦ .

٣٠- حسين كامل الملطاوي، المصدر السابق، ص١٠١-١٠٢ .

٣١- النجم / ٣-٤ .

٣٢- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ٤٧١-٤٧٢ .

٣٣-إبراهيم حسن،الإمام الحسن بن علي ﷺ،شجاعة،قيادة وحكمة سياسية،بيروت، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١٢،ص٤٣ .

٣٤- المصدر نفسه، ص٦٣ .

٣٥- المصدر نفسه،ص٦٣ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إبراهيم حسن،الإمام الحسن بن علي ﷺ،شجاعة، قيادة وحكمة سياسية، بيروت، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

٢- احمد حسن، فلسفة والتربية والحياة، النجف الأشرف، مطبعة الآداب ،١٩٧٧

٣- أحمد عطا إسماعيل، الخطابة فن التأثير والإقناع، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٣ .

٤- احمد عدنان، الأسس الفكرية للإصلاح السياسي في نهضة الإمام الحسين ﷺ ،أطروحة دكتوراه،جامعة بغداد العلوم السياسية، ٢٠١١ .

٥- انتصار عدنان عبد الواحد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين ﷺ،البصرة، الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥ .

٦- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ،بيروت، دار البلاغة للطباعة والنشر، ١٩٩٣ .

٧- حسين كامل الملطاوي، خامس الخلفاء الراشدين الإمام الحسن بن علي، القاهرة، لجنة التعريف بالإسلام، د.ت .

٨- حسين سليمان، الأصول التربوية في بناء المناهج، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢ .

٩- جعفر السبحاني، الأئمة الاثنا عشر ﷺ، كربلاء، مؤسسة الثقلين الثقافية، د.ت .

١٠- علي محمد الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ شخصية وعصره، القاهرة، د.ت .

١١- محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، النجف الاشرف، د.ت .

١٢- محسن النوري، ألف حكمة للإمام علي بن ابي طالب ﷺ،بيروت، دار المتقين ، ٢٠١١ .

١٣- محمد باقر الحكيم، الرسول الأعظم صل الله عليه واله،إعداد حسن المياحي، مؤسسة شهيد المحراب، النجف الاشرف، ٢٠٠٣ .

١٤- محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، بيروت، مطبعة الإنصاف،١٩٥١،ج٤ .

١٥- مجموعة الإمام علي ﷺ القدوة الحسنة، الأخلاق السياسية عند الإمام علي ﷺ ، بيروت، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر،٢٠٠١ .

من آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام

علي الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة، والسّلام على أشرف الأنبياء، والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدَّائمة على أعدائهم أجمعين.

لم يجعلِ الله عزَّ وجلَّ لنبي من الأنبياء، ولا لوليّ من الأولياء من الكرامات ما جعل للإمام الحسين عليه السلام، ولا يوجد زائر من زوار أحدٍ من الأنبياء، والأولياء له من المحبوبية والشّرف، والكرامة عند الله؛ كزائر الإمام الحسين عليه السلام؛ فالله تبارك وتعالى أعطى للإمام الحسين عليه السلام وجاهة ليس فقط لنفسه عليه السلام؛ بل لكلّ ما يتعلّق به؛ لأنَّ سيّد الشّهداء عليه السلام أعطى كلَّ شيءٍ لأجل وجاهة الله عزَّ وجلَّ في قلوب الناس، وفي نفوسهم، وأرواحهم؛ والله تعالى يجزي على الأعمال بالخير الكثير، والحسنات المضاعفة، والدرجات العالية؛ من هنا ينبغي للمؤمن الذي يتوجّه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف قدره أوّلاً، وقدر النّعمة التي هو فيها، ويشكر الله تعالى على هذه النّعمة، ويسعى أن لا ينحرم منها.

إنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام باب نجاة من مختلف الاتجاهات والجوانب المادّيّة، والمعنويّة، ولذلك وردت في الرّوايات الشّريفة آثار كثيرة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن هناك آثار خاصّة لقسم من زوّار الإمام الحسين عليه السلام؛ وهم من يحضرون عند القبر الشّريف، وفي الوقت نفسه توجد هناك آثار عامّة للزيارة لكلّ زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وما سوف نذكره من آثار خاصّة بمن يحضر عند القبر الشريف؛ لأنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن تكون من أيّ بقعة من الأرض، ولكن إتيان قبر الإمام الحسين عليه السلام، والحضور عنده له قيمة عظيمة جداً عند الله عزَّ وجل من الناحية المادّيّة، ومن الناحية المعنوية؛ وهذه بعض الآثار:

الأثر الأوّل: إنَّ قدوم المؤمن والمؤمنة إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام يندرج تحت ظل من يدخل السرور على قلب الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وقلب سيدتنا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، وفي هذا وردت روايات شريفة؛

أذكر بعض هذه الآثار؛ وهذا لا ينبغي أن يعرض من جهة الاستحباب فقط؛ وأنَّ الإنسان يستحب له الزيارة، وأنّه يحصل على الثّواب؛ فهذا كلّه مضمون للزائر، وأنّه سينال الثواب والأجر؛ وإنَّما ينبغي أن يعرض هذا أن في زيارة الإمام الحسين عليه السلام تجسيد للولاية لأولياء الله تعالى، والبراءة من أعداء الله سبحانه، ومن أعداء أوليائه، وأنَّ الحضور عند قبر الإمام الحسين هو تجسيد لهذا المعنى؛ وأنَّه إعلان للتضامن التام في العقيدة، وفي الموقف مع سيّد الشّهداء عليه السلام في الولاية؛ ولذا نجد بعض الفقهاء يوجب على كلِّ مكلف زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العمر مرّة كالحج الواجب، وبعض الفقهاء أوجبوا أكثر من مرَّة.

إنَّ الإنسان في حياته اليومية يعمل الكثير من الطاعات، ويجتنب الكثير من المعاصي؛ لتحصيل رضا رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضا الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام، وفي زيارة الحسين عليه السلام يضمن كلّ هذا؛ لأنَّه يُدخل السّرور، والسعادة على قلب النّبي صلى الله عليه وآله، وعلى قلب فاطمة عليها السلام، وهذا من الناحية المعنوية أثره عظيم جدًّا.

عن أَمِّ سَعيدٍ الأَحْمَسيَّة، عَن إِمَامِنا الصَّادِقِ صلواتُ الله وسَلامهُ عليه، قَالَت – أُمُّ سعيدٍ الأحمسية – قالت، قَالَ لِي – الإمامُ الصَّادق عليه السلام – : "يَا أُمَّ سَعِيد تَزُورِينَ قَبرَ الحُسَين؟ قَالَت، قُلتُ: نَعَم، فَقَالَ لِي: زُوْرِيه فَإِنَّ زِيارَة قَبرِ الحُسَينِ وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاء"[1].

وعَن مُحَمَّدِ بن مُسلِم عَن أَبِي جَعفَرٍ البَاقِر صَلواتُ الله عليه : « مُرُوا شِيعَتَنا بِزيارَةِ قَبرِ الحُسَين فَإِنَّ اِتْيَانهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ للحُسَينِ بِالإِمَامةِ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ»[2].

الأثر الثَّاني: إنَّ الذي يأتي قبر الحسين عليه السلام ينال دعاء الأئمّة عليهم السلام؛ فالأئمة عليهم السلام يدعون لمن يأتي قبر الحسين عليه السلام، وقد عرفنا سابقاً أنَّ الإنسان؛ تارة يزور الإمام الحسين عليه السلام، وتارة يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ ودعاء الأئمّة عليهم السلام، وهذا المقام العالي متوجّه لينال من يحضر عند قبره عليه السلام، وليس كلّ زائر؛ وإن كان من يزور عن بعد سينال الثواب والأجر؛ ولكن هذا الثواب وهذا الأجر خاصّ لمن أتى قبر الإمام الحسين عليه السلام.

عن حَسّان البَصري، عن مُعاوية بن وَهْب، عن أبي عبدالله عليه السلام «قال: قال لي: يا معاويةُ لا تَدَع زيارةَ قبر الحسين عليه السلام لخوف، فإنَّ مَن ترك زيارَته رأى من الحَسْرَة ما يتمنّى أنَّ قبره كان عِنده، أما تُحبُّ أن يرى اللهُ شخصَك وسوادَك فيمن يدعو له رَسولُ الله صلى الله عليه وآله وعليٌّ وفاطمَةُ والأئمّة عليهم السلام»[3].

---

(١) كامل الزيارات / ص ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٥.

وعن معاويةَ بن وَهْب «قال: استأذنت على أبي عبدالله ﷺ فقيل لي: اُدخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه في بيته فجلست حتّى قضى صلاته فسمعته يناجي رَبَّه وهو يقول: "اللهُمَّ يا مَنْ خَصَّنا بالْكَرامَةِ؛ وَوَعَدَنا بالشَّفاعَةِ؛ وَخَصَّنا بالوَصيَّةِ؛ وأعْطانا عِلمَ ما مَضى وعِلْمَ ما بَقيَ؛ وَجَعَلَ أفْئدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْنا، اغْفِرْ لي ولإخْواني وَزُوَّارِ قَبر أبي الحسين، الَّذين أنْفَقُوا أمْوالَهُمْ وَأشخَصُوا أبْدانَهم رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِنْدَكَ في صِلَتِنا، وسُروراً أَدْخَلُوهُ عَلى نَبِيِّكَ، وَإجابَةً مِنهُمْ لأمْرِنا، وَغَيظاً أدْخَلُوهُ عَلى عَدُوِّنا، أرادُوا بذلِكَ رِضاكَ، فَكافِئْهُمْ عَنّا بالرِّضْوانِ، واكْلأْهُم باللَّيلِ وَالنَّهارِ، واخْلُفْ عَلىٰ أهالِيهم وأولادِهِمُ الَّذين خُلّفوا بأحْسَنِ الخَلَفِ وأصحبهم، وَأكْفِهِمْ شَرَّ كلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ؛ وَكُلّ ضَعيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَديدٍ، وَشَرَّ شَياطِينِ الإنْس وَالجِنِّ، وَأعْطِهِم أفْضَلَ ما أمَّلُوا مِنْكَ في غُرْبَتِهم عَنْ أوْطانِهِم، وَما آثَرُونابِهِ عَلى أبْنائهم وأهاليهم وقَراباتِهم، اللهُمَّ إنَّ أعْداءَنا عابُوا عَلَيهم بخُروجهم، فَلم يَنْهِهم ذلِكَ عَنِ الشُّخوصِ إلينا خِلافاً مِنْهم عَلى مَنْ خالَفَنا، فارْحَم تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتي غَيْرتها الشَّمْسُ، وَارْحَم تِلكَ الخدُودَ الَّتي تَتَقَلّبُ علىٰ حُفْرَةِ أبي عَبدِالله الحسينِ عليه السّلام، وَارْحَم تِلكَ الأعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُمُوعُها رَحمةً لَنا، وارْحَم تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتي جَزَعَتْ واحْتَرَقَتْ لَنا، وارْحَم تِلكَ الصَّرْخَةَ الَّتي كانَتْ لَنا، اللهمَّ إني اسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهِمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ (الأكبر):

فما زال يدعو ﷺ وهو ساجدٌ بهذا الدُّعاء، فلمّا انصرف قلت: جُعِلتُ فِداك لو أنَّ هذا الَّذي سَمعتُ منك كان لِمن لا يَعرفُ اللهَ عزَّوجَلَّ لَظننتُ أنَّ النّار لا تطعم منه شَيئاً أبداً!! والله لقد تمنَّيتُ أنّي كنتُ زُرْتُه ولم أحُجّ، فقال لي: ما أقربك منه؛ فما الَّذي يمنعك مِن زيارته؟ ثمَّ قال: يا معاويةُ لَم تدع ذلك، قلت: جُعلتُ فِداك لَم أرَ أنَّ الأمر يبلغ هذا كلّه ؟ فقال: يا معاوية [و] مَن يدعو لزُوَّاره في السَّماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض "[1].

وعن عبدالله بن حماد البصري، عن أبي عبدالله ﷺ، قال: قال لي: إنَّ عندكم ـ أو قال: في قربكم ـ لفضيلة ما أوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وإنَّ لها لأهلاً خاصّة قد سمّوا لها، وأعطوها بلا حول منهم ولا قوّة، إلاَّ ما كان من صنع الله لهم وسعادة حباهم الله بها ورحمة ورأفة وتقدم .

قلت: جعلت فداك، وما هذا الذي وصفت ولم تسمِّه؟ قال: زيارة جدّي الحسين بن علي ﷺ فإنّه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله، في أرض فلاة، لا حميم قربه ولا قريب، ثم منع الحق، وتوازر عليه أهل الرّدّة، حتى قتلوه وضيَّعوه وعرَّضوه للسباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيَّعوا حقّ رسول الله ﷺ ووصيته به وبأهل بيته،

(١) كامل الزيارات/ ص١٢٦.

فأمسى مجفواً في حفرته، صريعًا بين قرابته وشيعته، بين أطباق التّراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جدّه، والمنزل الذي لا يأتيه إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرَّفه حقَّنا، فقلت له: جعلت فداك، قد كنت آتيه حتى بليت بالسّلطان وفي حفظ أموالهم، وأنا عندهم مشهور، فتركت للتقية إتياته، وأنا أعرف ما في إتيانه من الخير، فقال: هل دري ما فضل من أتاه وما له عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا، فقال: أمّا الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأمّا ما له عندنا فالترحُّم عليه كلّ صباح ومساء، ولقد حدَّثني أبي أنّه لم يخل مكانه منذ قتل من مصلّ يصلّي عليه من الملائكة، أو من الجنّ، أو من الإنس، أو من الوحش، وما من شيء إلاَّ وهو يغبط زائره، ويتمسَّح به، ويرجو في النّظر إليه الخير لنظره إلى قبره .

ثمَّ قال: بلغني أنَّ قومًا يأتونه من نواحي الكوفة وناسًا من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النّصف من شعبان، فمن بين قارىء يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت له: نعم جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوَّنا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهدرونهم ويقبِّحون ما يصنعون»[1].

وفي هاتين الرّوايتين فوائد؛ منها:

- في زيارة الإمام الحسين ﷺ، الإمام ﷺ يشير الى المقام والفضل، ويشير إلى الجزاء وهو الخير؛ فيوجد أمران يحصل عليهما من أتى قبر الحسين ﷺ : الفضل، والجزاء بالخير؛ أمّا الفضل فإنّه يصل إلى درجة من السّموّ والعلوّ، حتى أنَّ الملائكة تتباهى به على سكان السّماوات، وأمّا الجزاء فالتّرحّم عليه كلّ صباح ومساء، وكل صباح، ومساء يقصد بها التي يقضيها في مدّة الزّيارة؛ فما دام المؤمن في كربلاء عند قبر الإمام الحسين ﷺ فإنَّ الأئمّة يدعون له بالرّحمة صباحًا ومساءً؛ ودعاء الأئمّة ﷺ مستجاب قطعًا؛ مضمون الاستجابة.
- الظاهر من بعض النّصوص اللغوية أنَّ المناجاة أبلغ من الدّعاء، وهنا الإمام ﷺ ناجى الله تعالى؛ لذا سيكون الأثر أبلغ من الدّعاء من الناحية المعنويّة والماديّة.
- توجّهت المناجاة إلى مجموعة من الأعضاء، وبعد ذلك ذكر الأبدان للتركيز على مسألة الحضور عند قبر الإمام الحسين ﷺ، فذكر ﷺ: (الْوُجُوهَ) و (الخدُودَ) و(الأعْيُنَ) و (الْقُلُوبَ) و(الصَّرْخَةً) وبعد ذلك ذكر (الأبْدانَ وَالأنفُس)؛ كما أشار الإمام ﷺ إلى بيان كرامة الدّمعة على الإمام الحسين ﷺ، وأنّها عظيمة، وأشار كذلك إلى محبوبيّة تعفير الوجه على قبر الحسين ﷺ، وعلى الأرض المحيطة بالقبر الشريف؛ وهذا أثر معنوي كبير يناله الزّائر الذي يحضر قبر الإمام الحسين ﷺ؛ لأنَّ الحضور له علاقة قويّة بالعقيدة والتّضامن

(١) كامل الزيارات / ص ٥٣٩.

مع قضية نهضة الإمام الحسين ﷺ؛ ولذا ورد أنَّ قبر الإمام الحسين ﷺ لا يخلو من الزّائرين له، والمصلين عليه؛ عن بكر بن محمّد الأزديِّ، عن أبي عبدالله ﷺ « قال: وكّل الله تعالى بقبر الحسين ﷺ سبعين ألف ملكٍ شُعثاً غُبراً يبكونه إلى يوم القيامة، يصلّون عنده، الصّلاة الواحدة من صلاة أحدهم تَعدِل ألف صلاة من صلاة الآدميّين، يكون ثوابُ صلاتهم وأجرُ ذلك لمن زارَ قبرَه ﷺ»[1].

ولا يقتصر الزَّائر على دعاء الأئمّة فقط؛ وإنَّما حتى الملائكة تدعو له؛ عن أبان بن تَغلِب « قال: قال أبو عبدالله ﷺ: « أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين ﷺ شُعْثٌ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم مَلَكٌ يقال له: منصور، ولا يَزوُرُه زائِر إلاّ استقبلوه، ولا يودّعه مُوَدّع إلاّ شَيّعوه، ولا يمرض إلاّ عادوه، ولا يموت إلاّ صلّوا عليه [و] على جنازته، واستغفروا له بعد مَوته»[2].

إنَّ النَّظر إلى قبر الإمام الحسين ﷺ له آثار ملكوتيّة على الإنسان، ولذلك كلّ شيء يغبط زائر الإمام الحسين ﷺ على هذه النّعمة، فتتمسّح بزائر الحسين لذلك ليعرف الزّائر قدره، ومكانته، ومحبوبيّته عند الله عزّ وجل كم هي عظيمة، وأن يبذل كلّ ما يملك في أجل الحضور عند القبر الشّريف.

زائر قبر الحسين ﷺ مستودع عند الله تعالى؛ وهذا واضح في نصّ الإمام الصّادق ﷺ: " اللهمَّ إنّي اسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهِمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ (الأكبر).

ومعنى استودعك؛ اجعله في حفظك، وفي صيانتك؛ وهنا الإمام الصّادق ﷺ على علوّ مقامه يدعو من الله عز وجل لزوّار قبر الحسين ﷺ أن يستودع أبدانهم وأنفسهم، والله عزّ وجلّ حاشاه أن يضيع الأمانة؛ ولذا من يزور قبر الحسين ﷺ يكون في حفظ الله في الدّنيا، ويكون في حفظ الله تعالى في برزخه، ومحشره؛ ويكون لهذا الحفظ صور عديدة؛ فتارة يكون من تلفات الأبدان ومن عذاب الأرواح، وهذه غاية المؤمنين والمؤمنات.

الأثر الثّالث: هناك آثار دنيوية تظهر في حياة الناس لمن يأتون إلى قبر الحسين ﷺ؛ وهذه مجموعة من الآثار الدّنيويّة؛ في رواية عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْحُسَيْنَ صَاحِبَ كَرْبَلَاءَ قُتِلَ مَظْلُوماً مَكْرُوباً عَطْشَاناً لَهْفَاناً [فَالَى اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ] وَ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ لَهْفَانٌ وَ لَا مَكْرُوبٌ وَ لَا مُذْنِبٌ وَ لَا مَغْمُومٌ وَ لَا عَطْشَانٌ وَ لَا ذُو عَاهَةٍ ثُمَّ دَعَا عِنْدَهُ وَ تَقَرَّبَ بِالْحُسَيْنِ ﷺ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا نَفَّسَ اللهُ كُرْبَتَهُ وَ أَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ وَ غَفَرَ ذُنُوبَهُ [ذَنْبَهُ] وَ مَدَّ فِي عُمُرِهِ وَ بَسَطَ فِي رِزْقِهِ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ»[3].

---

(١) كامل الزيارات/ ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه/ ص١٢٨.

(٣) المصدر نفسه/ ص١٦٨.

هذه الرواية تضمّنت دلائل عديدة؛ من هذه الدّلائل:

الدّلالة الأولى: أنَّ الإمام الحسين صلوات الله عليه تحمَّل عن محبيه كلَّ ما يلاقونه؛ فقد تحمّل الظلم، واللهفة، والعطش، والكربة؛ كلّ هذا تحمّلها حتَّى يكون باباً لنجاتهم؛ وهذه نعمة لا تقوى الألسن على شكرها.

الدّلالة الثَّانية: أنَّ اللهفة، والعطش ليست منحصرة في اللهفة والعطش للماء؛ وإنَّما يمكن أن يكون على صور؛ فهناك عطش للصّحّة، وهناك عطش لشريك الحياة الصّالح، وهناك عطش للرزق، وهناك عطش للذّرّيّة الطّيّبة، وهناك عطش للحصول على عمل؛ ... مختلف الحاجات؛ كلّ لهفان وكلّ عطشان إذا جاء إلى قبر الحسين ﷺ فإنَّ دعوته تُستجاب.

الدّلالة الثَّالثة: إنَّ إجابة دعوات الزّائرين، وتحصيل غايات الزّيارة تتوقّف على ثلاثة شروط بها يتميّز الزَّائر الذي يجاب دعاؤه، والزّائر الذي لا يُجاب دعاؤه:

الشّرط الأوَّل: أن يأتي قبر الحسين ﷺ ويتعنّى للقبر الطاهر أينما يكون في العالم، بلهفة المكروب والعطشان والمهموم.

الشّرط الثّاني: أن يدعو الله تعالى عند الإمام الحسين ﷺ؛ فيقف عند قبره ﷺ، ويدعو الله تعالى.

الشرط الثالث: أن يجعل الإمام الحسين ﷺ شفيعاً وواسطة بينه، وبين الله عزّ وجل؛ فيسأل الله بكرامة الحسين ﷺ، وبوجاهته ﷺ عنده فيكون الدّعاء مضمون الإجابة.

وهنا تتّضح حقيقة أنَّ بعض الزّائرين لا تظهر الآثار على زيارته، وبعضهم الآخر تظهر.

الدّلالة الرَّابعة: زيادة الرِّزق في كلِّ مجالات الحياة مرتبط ومقترن بسيّد الشّهداء ﷺ؛ فمن يريد العمر المديد، والرّزق والواسع؛ ما عليه إلَّا أن يأتي إلى قبر الإمام الحسين ﷺ.

عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ ع دَعَانِي الشَّوْقُ إِلَيْكَ- أَنْ تَجَشَّمْتُ إِلَيْكَ عَلَى مَشَقَّةٍ فَقَالَ لِي لَا تَشْكُ رَبَّكَ فَهَلَّا أَتَيْتَ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ حَقّاً عَلَيْكَ مِنِّي فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ فَهَلَّا أَتَيْتَ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ حَقّاً عَلَيْكَ مِنِّي أَشَدَّ عَلَيَ مِنْ قَوْلِهِ لَا تَشْكُ رَبَّكَ قُلْتُ وَ مَنْ أَعْظَمُ عَلَيَّ حَقّاً مِنْكَ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ع أَ لَا [أَلَّا] أَتَيْتَ الْحُسَيْنَ ع فَدَعَوْتَ اللهَ عِنْدَهُ وَ شَكَوْتَ إِلَيْهِ حَوَائِجَكَ»[1].

(١) كامل الزيارات/ ص: ١٦٩

هذه غايات المؤمنين والمؤمنات في الدّنيا، والآخرة مضمونة حينما ترتبط بالحضور عند سيّد الشّهداء عليه السلام؛ لذا لا بُدّ من بذل الجهود، والتّضحيات في هذا الطّريق المقدّس، وأن لا يقتصر على العبادات المعروفة؛ فعلوّ الدَّرجات، والمقامات، وسموّ كرامة الإنسان المؤمن عند الله تعالى، وعند رسوله صلى الله عليه وآله مقترن بالإتيان إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام.

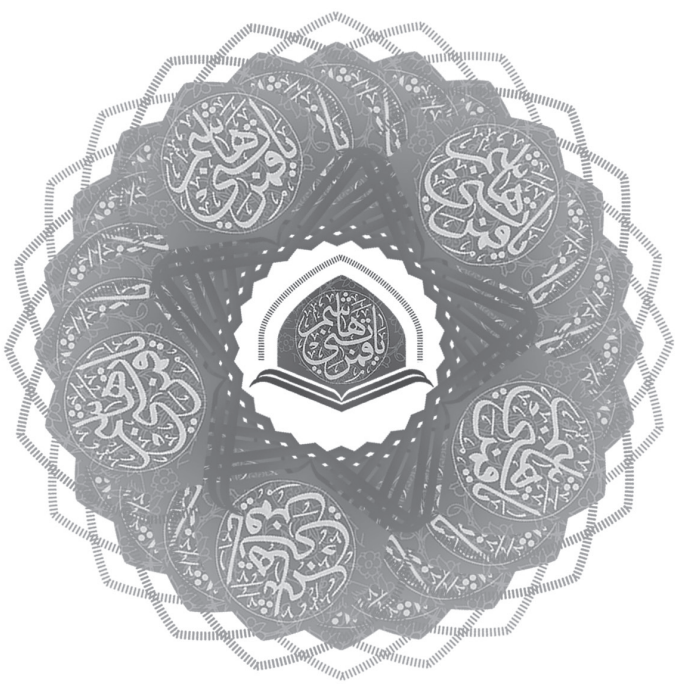

الخطاب التّربوي النّبوي وتجلّياته في السّنّة النّبويّة الشّريفة

أ.د. عامر عبد زيد الوالي

إنَّ عمليّة التّعليم والتّربية هي صياغة متكاملة تحتاج في أوّلها إلى الأسس والمبادئ التي تصحّ بها النّهايات وتكتمل. ومن ثمّ فإنَّ بعض المربّين قد يعمد في بعض المراحل العمرية إلى زيادة الجرعة وهذا أحياناً قد يحدث شيئاً من التّشوّه التّربوي ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. إلّا أنّنا يمكن أن نتلمّس خطاباً تربويًّا إلهياً إنّه تراث نبيّنا العظيم ﷺ فهذا الخطاب التّربوي يتميّز عن غيره:

أوّلاً: إنَّ الله (عزوجل) بعث نبيّه محمدًا ﷺ معلّماً ومزكّياً، ومبشّراً ونذيراً ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة: ٢].

ثانياً: إنَّ النّبي الأعظم ﷺ أوتي الكمال البشري، وعُصم من الخطأ الذي يقدح في تبليغه للدعوة، لقد أُعطي النّبي الأعظم ﷺ مع أمّيّته – علماً لا يُدانيه فيه أحد من البشر ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٣].

ثالثاً: لأنَّ النّبي الأعظم ﷺ مرّ بمختلف الظّروف والأحوال التي يمكن أن يمرّ بها معلم أو مربٍّ في أيّ زمانٍ ومكان.

وقد امتدحهم الله (عزّوجلّ) فقال: ﴿**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٩].

والنتيجة :

إنَّ أيّ حادث يجري فإنَّه يمكن أن يفاد منه في التربية، والمُربّي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدى بغير عبرة وبغير توجيه.

إنَّ ما تمرّ به الأمّة اليوم من حوادث وفتنٍ متتابعة لتكون من جهة أخرى فرصة لصياغة الشّخصيّة المسلمة صياغة جادّة ثابتة مثمرة.

المقدّمة

إنّ الحديث عن التّربية النّبويّة من المواضيع المؤثّرة في حياة المؤمنين وهم يحيون قدوة خالدة تُعبِّر عن مثال من الرّقي كان قد تعرّض إلى التّشويه والتّحريف قديماً وحديثاً؛ نظراً لما تُمثّله من أثر عميق الدّلالة في رقيّ الأمّة في مجال التّربية التي تعدّ البوّابة إلى نهضة الأمم ورقيّها وتسامي أخلاقها.

فالتربية تبقى قرينة فعلين من مقوّمات العقل العملي هما: (الأخلاق والسياسة)، وقد ربط بينهما الإسلام كما تجلّى ذلك في النّصّ المقدّس والسّنّة النبويّة وخصوصاً في أثرها الحاضر في سلوك آل البيت (سلام الله عليهم).

ومن هذه المعالم الأصيلة التي من الممكن أن نستعرض من خلالها الأقوال والممارسات التي تُشكّل أنموذجاً أخلاقياً تربوياً وفعلاً في مجال الاجتماع والسياسة وكلّها تتمركز في دور الخالق المدبّر؛ فالتربية لغةً تكشف عن هذا الجذر في تراث الأمّة كما تختزنه لغتها وعاداتها وسلوكها، فهي تؤكّد أنَّ التربية بوصفها اسمًا فهو من الرّبّ .و(الربّ: يطلق في اللغة على المالك والسّيّد والمُدّبر والمُربيِّ والقيِّم والمُنعم. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبُّ كذا.

وهكذا تجد التّربية مصداقها في الرّبّ وهو منسوب إلى الرّبّ بزيادة الألف والنّون للمبالغة، وقيل هو من الرّبّ بمعنى التّربية . وفي السّياق نفسه قيل ((للعلماء: والرَّبَّانيُّ : العَالمُ الراسخُ في العلمِ والدِّين. أو الذي يطلبُ بعلمه وجه الله (عزوجل) و ربانيون: لأنّهم يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها)).[1]

فاللغة: تُعبّر عن تجارب الأمّة المعنويّة وتخزينها الرّمزي كما يرى الزمخشريُّ، فقال: ((ومن المجاز: فلان في رَبَاوة قومه: في أشرفهم))[2]، فالتّربية فعل مُرتهن بإرادة الخالق والمدبِر عبر ما يسنّه من شرائع وما يدبره من حكم ومواعظ تجد تجلّياتها في أحكامه في مكارم الأخلاق والشرائع والحدود في ظلِّ التّحوّلات الراهنة تُعَدُّ التربية الأخلاقية ركنًا من أركانِ الإصلاحِ المعنويّ الذي يمنحُ الفردَ أو الجماعةَ موجهاتٍ معنويّةٍ يمكنُ أن تجعلَ منهم أفرادًا صالحينَ يحققونَ الإصلاحَ الاجتماعيَّ، والنجاةَ في حياتهم الدنيويَّة والأخرويَّة، فالتربية والأخلاق مرتبطتان بحضارة معينةٍ، أو دينٍ معينٍ، إذ إنَّ عُمرَ العلاقةِ بينَ الدينِ والأخلاقِ يمتدُّ إلى عُمرِ البشريَّةِ، وهذا يعني بأنَّ له حضورًا راسخًا في الثقافةِ البشريَّة. وفي الإسلام، وثمّة علاقة مركزية بينه

(١) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ/ ١١٨٩م (النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، [١-٥]، ٢، باب الراء مع الباء، ٤٥٠.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر جار الله (ت ٥٨٣هـ/ ١١٣٤م (أساس البلاغة، القاهرة، دار الكتب، ط١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.

وبين الأخلاق ومنها عزّزت روح الاندماج بين أبناء هذه الأمّة، ومن هنا تشغل الأسس الأخلاقية مكانة مهمة للأفراد والجماعات والشعوب، فهي المقوّم الرّئيس لوجودها وحياتها، وقد بُعِثَ النبي الأعظم ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق مثل: (العفو والوفاء والمحبة والتآخي بين المسلمين) ، إذ ((إنَّ إحدى السمات المميزة للإسلام مقارنة بأديان العالم الكبرى الأخرى، هي التَّنوّع في الشعوب والأعراق التي اعتنقته ونشأ بينها نتيجة لذلك شعور قوي بالأخوة، وقد من الاندماج لا يمكن مقارنتها بالمسيحية ...)) [1] ، فهذه العملية القائمة على الدّمج على أساسٍ عقائديٍّ وأخلاقيّ نجدها في نظام المؤاخاة المدني التي مثلت نهاية((للنظام القبلي العربي التقليدي و مورثه العصبوي .فهو قام على مقتضى شراكة جديدة غير الشراكة في النسب، هي الشراكة في الدين))[2] .

فالتربية: هي الأخلاق التي تعلو بها الأممُ وتنهضُ وتزدهرُ وتتقدّم، وهي دليلٌ على بقاء الحضارات وتقدّم شعوبِها ورفعتِهم؛ فيقلّ مُعدّلُ الجريمةِ والانحطاطِ والاستغلالِ، ولا يصعد الأغنياءُ والأقوياءُ على حِساب الفقراءِ والضُّعفاء. وهذا أيضاً يجعل التربية (الأخلاقَ) متفاوتةً بين النّاسِ؛ نظراً لاختلاف البيئاتِ الثقافيَّةِ والدينيَّةِ التي ترعرعوا فيها؛ ونظراً أيضًا لاختلاف أهمّيتها عند النّاس، فقسمٌ من النّاس يضربون بها عرض الحائطِ ويعدُّونها إعاقةً للطموحِ والتقدّمِ والنّجاح، وهم بذلك يدوسونَ على إنسانيّتهم وعلى مَن حولَهم؛ حتى يستطيعوا الوصولَ إلى أهدافهم وغاياتهم الدّنيئةِ الرّخيصة، والتي ستسبّب لهم ولِمَن حولَهُم الهلاكَ والخسرانَ؛ وبهذا هم يسهمون في إقرارِ مصيرِهم.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ نجد بأنَّ طبيعةَ التربية (الأخلاق) طبيعة تراكميّة بامتياز، متنوّعة مصادرها، فقد يستمدُ النّاسُ أخلاقَهم من (العاداتِ والتقاليدِ والأعرافِ المتّبعةِ)، وقد يقوِّمُ الدّينُ أخلاقَ النّاسِ، بتأكيدِ الأخلاقِ الحميدةِ، ومحو الأخلاقِ السّيئةِ التي نشأوا عليها؛ لهذا فالأديانُ ضروريَّةٌ جداً للنواحي الأخلاقيّةِ ، فضلاً عن وظيفتها الرّئيسة الأخرى والمتمحورة حولَ تعريفِ النّاسِ بخالقِهم وربِّهم المعبود.

ومن هنا يأتي الرِّهانُ الباعِثُ على تناولِ المشكلةِ وما تمثِلُهُ من راهنيَّةٍ في حياةِ الناسِ ومعاشِهم ، فيما يحتاجون إليه من تمثِّلٍ للقيم التي تعَمِّقُ التعايشَ وتحقِّقُ السلوكَ القويمَ في علاقةِ الإنسان بربِّهِ وعلاقتِهِ بأخيهِ الإنسانِ الآخرِ في تمثُّلِ القيم التي تحقِّقُ تَمَثُّلَ القيمِ واستيعابَ أَثرِها الروحيّ، والعمل على تمثُّلِ السلوكِ الفاضلِ الذي نَجِدُهُ متمثلًا في سلوكِ كثيرٍ من الشخصياتِ الفاضلةِ في تاريخِ الاسلامِ، وهي تمثِّلُ الكارزمةَ الدينيَّةَ التي

(١) وليم مونتغومري وات، الإسلام واندماج المجتمع، ترجمة، علي عباس مراد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١، بيروت ٢٠٠٩م، ص١٣.

(٢) عبد الإله بلقزيز، تكوين المجال السياسي الإسلامي النبوة والسياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ،٢٠٠٥ م، ص ١٢٥.

تقومُ على قيمِ السماحةِ والفضيلةِ، كما عبّرَ عن أهميتها «ماكس فيبر».[1]

وهي تبدو راهنيَّةً غائبةً نحاول استحضارَها في الأقوالِ على صعيد النصِّ المقدَّسِ، أو على صعيد استعراضِ نماذجَ مِن السيرةِ من خلالِ عرضِ أقوالٍ تَحُثُّ على مكارمِ الأخلاقِ ، بوصفها نماذج قِيميَّة قابلةً للتمثُّلِ والمحاكاةِ على صعيدِ الفردِ والجماعةِ، أو نماذج في التربية والتعليم والإرشاد الاخلاقيّ ؛ حتى يتحوَّلَ إلى باعثٍ نفسيٍّ داخليّ يُحرِّضُ الإنسانَ على اتباعِ الأخلاقِ النابعةِ من نفسٍ طَيِّبَةٍ، وإرادةٍ خالصة ؛ لأنَّ الأفعالَ التي تصدرُ عن تكلفٍ، لا خيرَ فيها. ولكنَّها إنْ كانت أصيلةً في بواعِثِها فإنَّها تبدو كالدستور الذي ينطوي على قواعد السلوك الذي يستندُ في تقويمه إلى الخير والشر بكل بواعثهما القِيَمِيَّة سواء كانت من الدين أم من المجتمع.

وقد تنوعت موجودات التربية الاخلاقية : بـ(القدوة ، والعظة ، والحوار ، والأحداث)، أو بالأمثلة او بأسلوب الترغيب والتهذيب ،....الخ .ولعل هذا يحيلنا الى الأسس العقائدية للتربية؛ لأن العلاقة بين التربية والعقيدة أو بين الأخلاق والدين ((قد تكون علاقة منطقية، بمعنى أنه لهما خصائص صوريّة تورثهما قدرة استدلاليّة معيّنة؛ وقد تكون علاقة معرفيّة، بمعنى أنهما ينطويان على مبادئ ومعايير أولى تنزل منزلة الأصول التي يتفرع أو يتأسس عليهما سواهما، وقد تكون علاقة كيانية أي إنطولوجية، بمعنى أنّ العلة في وجودهما مشروع إلهي أو مشروع إنساني يضمن نفعهما للأفراد والجماعات وما شابه من الوجوه)).[2]

لكن هذا يتطلب فهم تلك العلاقة بتجاربها وتنوّعاتها التاريخية فإنَّ هذا ((يتحقّق من خلال طرح الأسئلة النّاشئة من تجارب الحاضرة، وهذا التفاوت في التجارب معلول تاريخية حياة الإنسان، وفي أعماق الثقافة والحضارة المختلفة والرؤى والأديان المتفاوتة ثمّة تجارب متفاوتة أيضاً، فتجربة الإنسان عن نفسه وعن العالم في عصر تبعيّة الإنسان المطلقة لقوى الطبيعة وعدم إمكانية التصرف فيها تختلف قطعاً عن تجربته عن نفسه وعن العالم في هذا العصر الذي سيطر فيه الإنسان على قوى الطّبيعة واستخدامها لمصلحته .))[3]

---

(١) عندما يصنف هؤلاء الفاعلون الاجتماعيون ويضع على رأسهم النبي، كنوع من القيادة الكاريزمية التي تقود نحو التغير الاجتماعي والأخلاقي والسياسي. إذن فرجل الدين (وليس رجل العلم وحده)، قادر على أن يحدث تغيرات مهمة داخل المجتمع. يبدو أن هذا التأويل الذي جاءت به هذه الطائفة يقارب مفهوم اليبرالية التي تجمع الفرد وحرية مكانه مميزة، وهو ما رصده من قبل دوركهايم؛ إلا أنه جعل منه باعث على الاضطراب يقود إما إلى التماسك أو إلى الانتحار. وهكذا، فالدين، مع فيبر، لا تنحصر وظيفته في تحقيق الانسجام الاجتماعي فقط، مثلما ترى الوظيفية، بل هو كذلك، وعلى الخصوص، عنصر قادر على إنتاج التجديد والتغير الاجتماعي. وبالفعل، فلقد استطاع الدين أن يشكل الأساس الحقيقي للمعايير الاجتماعية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية كما شكّل منظومة مضادة الى أشكال أخرى مختلفة عن انماط الحداثة العقلانيّة الغربيّة .انظر: ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية، ترجمة، محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي ، ط١، بيروت.

(٢) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت،٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٣) محمد مجتهد الشبستري، هرمنيوطيقا القران والسنة، دار الانتشار العربي ط١، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٣٣.

فهذا يفتح أفق التلقي على التراث ومنه السيرة النبويّة والانصهار بين الحاضر والماضي . وهذا يتحقق على مستويين: الأوّل على مستوى "شروط التجربة" فلا سبيل إلى حصول التكامل في اليقظة الإسلامية؛ إلا بطريقة ينفذ إلى أعماق التجربة الايمانية ...كان حاملا له على الاتصاف بمكارم الاخلاق ، أو قل على التخلق ، ومن نال التخلق سلك طرقاً من التعامل مع غيره تستبعد أسباب الفرقة والتنابذ .أما المستوى الثاني «شروط التعقل « ، فلا سبيل إلى حصول التجدد في اليقظة الإسلامية بغير طريق التوسل في تأطير هذه التجربة الإيمانية العميقة وتنظيمها بأحدث المناهج العقلية وأقدرها وأقواها على مدنا بأسباب الإنتاج الفكري.[1]

ومن ثم، فإنَّ أُطروحةَ البحثِ تمثِّلُ الموقفَ الذي ننطلقُ مِنْهُ في مقاربةِ موضوعِنا، وهي راهنيّةُ التربية الأخلاقِ النبويّة وأثرُها في إقامةِ سلوك الأمّة وتقويمه، وبَعْثِ قيمِ العدلِ والفضيلةِ من خلال تأصيلها في النصِّ الدينيّ؛ لما يمثلُهُ من مركزيَّة ثقافيَّة ووجدانيَّة في ضمير الناس.

فالتربية فضلاً عن جذرها اللغوي والدّيني لها معنى اصطلاحي يتمثّل: في كون المفهوم قد يختلف بحسب المرجعيّات المعتمدة فمنها ما تراه يتمركّز في التّدرّج، إذ هو إنشاء وتقويم تدريجيّ حالاً فحالاً إلى حدّ التمام[2]، من خلال تطور الإنسان عبر مراحل النّشأة؛ لأنَّ المراد من هذا التصور أنَّ الرّؤية التربويّة تراعي حاجات الإنسان الأساسية من مأكل ومشرب إلى الحد الذي يبلغ به كماله جسمًا وعقلاً...[3]

فهذا السلوك التربوي المتدرج قد جمع ووفّق بين النّمو ماديّاً ومعنويّاً متمثّلاً في اكتساب الطفل أساسيات قواعد السّلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها. ولهذا قيل التربية الأخلاقية هي بالأساس الإصلاح والتهذيب، إذ تُبْذَل جهودٌ كبيرة ومستمرة لرعاية الطفل، وإصلاح أحواله، وعدم إهماله. وقد ساس النَّبي الأعظم ﷺ العرب، ودعاهم وعلَّمهم وأحسن تربيتهم؛ مع قسوة قلوبهم وخشونة أخلاقهم، وجفاء طباعهم وتنافر أمزجتهم، لقد كان حال العرب كما وصفهم جعفر بن أبي طالب ﷺ بقوله المعروف: ((كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضّعيف ..)).[4]

---

(١) طه عبد الرحمن ، العمل الديني وتجديد العقل ، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت ،١٩٩٧م، ص١٠.

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٠م، باب التاء، فصل الراء، ١٦٩.

(٣) محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير،ط١، دمشق، ١٩٧٨م،ص ١٥.

(٤) http://www.islamweb.net/library/hadith/display_hbook.php?bk_no=628&pid=138267&hid=349

في هذا البحث نُحاول أن نستعرض الميراث التّربوي النّبوي في استعراضنا هذا الميراث بعرض مرجعيات إسلامية متنوعة باختلاف متونها التي يجتمع حولها المسلمون من عامة وخاصة فقد عرضنا لها في تأصيل عام في المبحث الاول وفي مبحث خاص عن المنهج التربوي كما تجلى في علاقة النبي ﷺ، بالإمام علي عليه السلام.

إذ هناك أسس عامّة مشتركة تجمع التربية وتواصلها في علاقتها بالعقيدة والأخلاق والنّظرة الجهاديّة وأخلاقيات التّعلم في مجتمع مكونه أسس تربويّة سوف نحاول الاستدلال عليها باستعراضنا للنصوص والأحداث في السنّة النبويّة بشكل عمودي ثم نُحاول التّوقّف عند نصوص تربويّة تربط بين النبي ﷺ، والإمام علي عليه السلام، محاولين استلهام المبادئ التربوية النبويّة في الحث عن العلم والتعلم بروح نقديّة نبحث من أجل أن نستلهم تلك الرّؤية المرنة في التربية لدى النبي ﷺ ونتأملها باحثين عن مواطن التّجديد والانفتاح على خيرات الآخرين من أجل ترصين تلك العلاقة الصّحيحة بين المعلم والمتعلم .

المبحث الأول

التّربية النّبويّة الرّؤية والممارسة

(كما في مرجعياتهم المتنوعة)

كلّ رسالة سماويّة بما فيها الرّسالة الإسلامية تقوم على دعامتين، رئيستين هما: الشريعة والمنهج، اللذان يتكاملان في الشريعة فيقول سبحانه: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[1]

الشرعة، في اللغة: من شرع بمعنى بدأ مما يعني أنَّها تُمثّل في الرّسالة نقاط الشَّرع في الوعي والفكر والسعي الإنساني أو ما يُسمّى بلغة العلم المسلّمات والفرضيات المحدّدة للحقائق الأولى للعلم، ومما تضمّنه:

- الشرعة: صفات الخالق -سبحانه- وحقيقة الخلق بكل نوعياته والحياة بمفهومها التكامل، وضوابط حركة الوجود، ومسير الحياة ومصيرها .((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[2].
- المنهج: من نهج بمعنى وضح "والمنهج هو الطريق الواضح" [3]

والمنهج في الإسلام يُبيّن كلّ مسار صحيح قويم، ويحثّ عليه ويندب إليه، وكلّ مسار معوج منحرف ويحذر منه وينهى عنه، فيما يعرف بالأوامر والنواهي أو الحلال والحرام فاتباع ما أمر الله به . بحسب المنهاج الإسلامي [4] .

---

(١) (سورة المائدة : الآية ٤٨)

(٢) (سورة الرعد : الآية ٣)

(٣) المعجم الوسيط ،ح٢، ص٩٥٧.

(٤) احمد رجب الاسمر ، النبي المربي ، دار الفرقان ،ط١ ، بيروت ،٢٠٠٩م، ٢٤-٢٥.

ومن ثم فإنَّ "الشريعة"، هي التزام بالمنهاج ومثال ذلك الإيمان والاعتقاد والعمل بمقتضيات ذلك الإيمان والتزام بالمنهاج الذي هو أوامر الله، فالإيمان من دون التزام بأوامر الله لا جدوى منه .(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1]

والمصادر ثلاثة هي :

أوّلاً: كتاب الله، وثانياً: السّنّة النّبويّة، وثالثاً: الاجتهاد والتطبيقي[2]، وهي تُمثّل منهاج الله في حياة المسلم، وهي الأوامر والنّواهي، التي تصوغ واقع حياة المسلم، فالشريعة هي الإسلام كله، وهي تنقسم على أقسام كثيرة مثل:

العقائد والعبادات (الصّوم والصّلاة والزّكاة)

أمّا المعاملات: الزّواج والطّلاق، الميراث والبيع والربا ...الخ

- العقوبات: وهي تنقسم في الشريعة على ثلاث عقوبات: القصاص، والتعزير، الحدود وهي ست: (حدّ الردة، وحدّ القصف، وحدّ السرقة، وحدّ الحرابة، وحدّ الزنى، وحدّ شرب الخمر).

أما مقاصد الشَّريعة فهي : (حفظ الدين، والنفس، والمال ، والعرض، والعقل).

والأخلاق والإنسانية المأمور بها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ: جمع مكارم الاخلاق وسمو الفضائل التي تحكم الإنسان مع ربه ، ومع نفسه ، ومع الآخرين ، والتي تشتمل على كل قول طيب وعمل صالح وتصرف قويم يصدر عن البشر وتتسع اتساع المعاملات نفسها وتكمن آداب الاسلام في ثلاث شعب : أولها آداب الحديث : من استماع ونقاش وحوار ، ونقد ومصارحة ، ودعوة وتوجيه ، واحترام آراء الآخرين . وثانيها ،الآداب الذاتية : من آداب:(الأكل والشرب والنوم والمشي والجلوس والزينة ...الخ) وثالثها آداب الترابط : كـ(الزيارة والعبادة و التحية والإسلام وبسط الوجه والتهيئة والتزين) .[3]

فاعلم أن أعظم العلوم فائدة ، وأكثرها نفعا وأوسعها قدرا واجلبها خطرا –علم السنّة المطهرة – فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز ، ثم استقل بما لا ينحصر من الأحكام .[4]

لقد ظلت الأخلاق مدينة للمرجعية الدينية ، بل إن البشرية في كل حضارتها لا تزال بصورة من

---

(١) (سورة الجاثية : الآية ١٨)

(٢) أحمد رجب الأسمر ، النبي المربي ، ص ٤٤،٤٣.

(٣) احمد رجب الاسمر ، النبي المربي ، ص ٤٤.

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، آداب الطلب ومنتهى الإرب ، تحقيق احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت ، ١٩٧١م،ص ١٠٤.

الصور تدين للمرجعية الدينية في المعنى والمصداقيّة [1]

ويمكننا النظر إلى مفهوم «التربية النبويّة « بمعنيين إحدهما واسع والآخر ضيق. فالتربية النبويّة بالمعنى الواسع للكلمة هي : مجموعة التوجيهات العقائديّة التي يمثلها الدين الجديد الذي شكل قطيعةً مع ما يتعارض مع الشريعة و الاخلاق والإبقاء على ما هو متوافق معهما ، فيما يخص الدين ومنهجه التربوي والأخلاقي ، هو ما يتجلى في جملة التصورات عن طبيعة الدين ووظائفه ، التي تبدأ بترسيخ الاعتقاد بالأدلّة البراهين التي جاء بها القرآن وسنة نبيه قولاً وفعلاً هي ما صدق لتلك الرؤية التربوية والأخلاقية والميتافيزيقية التي تجتمع معا في العقيدة والناس الذين يتشاركون في عبودية اله واحد متعالٍ على كل تجسيم او تشبيه .وهذا ما اكدت فلسفية الاعتقاد القائم على أدلة تثبت وجود الله (عزوجل)، والتأملات الفلسفية عن طبيعته وعن علاقته بالكون والإنسان. من خلال تأسيس الاعتقاد الراسخ بالعقيدة واستعجالها الرؤية الآجلة لما وعد به الله (عزوجل) عباده المحسنين، و تحويل هذا الموقف العقائدي سواء كان جلياً أم مستتراً من منظومة معتقدات عقائديّة لها رؤية فلسفيّة ومنهج تربوي يديره على وفق تلك الرؤية عقل عملي متمثل في مجال القيادة النبويّة او الأئمة من بعده بوصفهم تجلياً الى السنّة النبويّة خارج أطر التشويه التي اصابتها فيما بعد بالتطبيقات المنحرفة التي جرّدت الدين من بعده المعنوي وحولته الى طقوس وممارسة سلطوية لكن بالعودة الى المنهج النبوي وما صاغه من عقل عملي وجد ترجمانه في سيرته وأقواله في حقل التربية والسياسة والأخلاق ، ووجد ترجمانه في الائمة من بعدها . وهذا يجعل العقيدة تحول تصور عميق الرسوخ بوصفه خلقاً (الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر ورؤيا فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيئا) [2].

فقد ترسخ بفعل وجود موقف محدد من الدين ، تتضمنه كل منظومة عقائدية تسير على المنهج نفسه مع مراعاة التطورات التي تظهر في حياة المسلمين وتستوجب النظر والاجتهاد في فهم النص او التدبر العقلي في مجال عدم وجود النص تدفع المجتهد إلى فهم مقاصد الشريعة والاجتهاد بما يوافقها .

---

(١) إدريس هاني ،أخلاقنا في الحاجة إلى "فلسفة أخلاق " بديلة ،مركز الحضارية ، ط١، بيروت ،٢٠٠٩م،ص١٨٣.

(٢) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، ص١٠١

وعلى هذا الاساس فإن التطرق الى البحث في مجال العقيدة التربويّة لدى النبي وكيف اقامها منهجاً للمسلمين وأصبحت أنموذجاً منفتحاً على التدبر والتأمل والتلقي مع توافقه وترجمته الفعليّة الى مقاصد الشريعة الساعية إلى تحقيقه يتحدد في جوهره بتطلعات النبي الى أمته ومن بعده خلفائه من أجل تعميق التربية والقائمة على مكارم الاخلاق التي تعد الترجمان الى روح العقيدة الاسلامية التي تعقل نفسها بوصفها مقياساً للمنهج السليم ؛فهي تبقى أنموذجاً يعقل نفسها كجهد عقائدي ومعرفي كلي أو رفيع المستوى. حتى تصبح باعثًا نفسيًّا داخليًّا يحرِّضُ الإنسانَ على اتباع الأخلاقِ النابعة من نَفْسٍ طيِّبةٍ ، وإرادة خالصة ، أمَّا الأفعال التي تصدر عن تكلُّفٍ ، فلا خير فيها. ومن هنا فإن التربيّة الإسلاميّة انطلاقا من تلك الرؤية تظهر في النظام التربوي الذي يراعي و يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنّة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته؛ لأنه يتوافق مع التوجه العقائدي الثابت والمنفتح على التلقي من قبل المسلمين في كل العصور بالاجتهاد والتدبر والفهم ، وهذا التوجه يخضع بطبيعة الحال إلى التغيرات التاريخيّة ، وتتنوع درجة إفصاحه عن نفسه.

ومن هنا تأتي أهميّة تناول هذه الموضوعة: التربية الاخلاقية لدى النبي ﷺ. اذ إن أعظم البشر أخلاقاً على الإطلاق هم الأنبياء والرسل ﷺ فهم حازوا عليها وجمعوا الأخلاق الحسنة و ابتعدوا عن الأخلاق السّيئة. يليهم المتديّنون بصدق والعارفون بالله (عزوجل)، وأصحاب الأرواح العظيمة.

وكل هذه المرجعيات المعنويّة كانت حاضرة في النظام التربوي الإسلامي الذي يهتم بإعداد الإنسان الصالح إعداداً متكاملاً دينياً و دُنيوياً في ضوء مصادر الشريعة الإسلامية الرئيسة .التي تستلهم الخطاب التربوي النبوي؛ فهي تعد مِن أهمِّ المقاصدِ لبعثة النبي محمد ﷺ إلى الناس: قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ)[1].

ومن هنا تأتي أهمية الشخصية النبويّة كونها صلة الوصل بالسماء ومن خلال السيرة النبويّة التي تعد قولاً وممارسةً؛ فهذه تشكل مصداقاً للتصور السماوي، ومن هنا تأتي أهمية السيرة ومكانتها:

- السيرة النبويّة هي السبيل إلى فهم شخصية الرسول ﷺ، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه ﷺ لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته ، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده.
- تجعل السيرة النبويّة بين يدي الإنسان صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة ، يتمسك به ويحذو حذوه ، فقد جعل الله تعالى الرسول محمدًا ﷺ قدوةً للإنسانية كلها، إذ قال سبحانه : ((لقد كان

(١) (سورة الجمعة : الآية ٢) .

لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر))[1].

- السيرة النبويّة تعين على فهم كتاب الله (عزوجل) وتذوق روحه ومقاصده، فكثير من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ .
- السيرة النبويّة صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه ، فهي تكوّن لدى دارسها أكبر قدرٍ من الثقافة والمعارف الإسلامية، سواء ما كان منها متعلقًا بالعقيدة أم بالأحكام أو الأخلاق. اذ السيرة النبويّة أنموذجٌ حي عن طرائق التربية والتعليم، يستفيد منه المعلم والداعية المسلم. فقد كان الرسول محمد ﷺ معلمًا ناجحًا ومربيًا فاضلاً، لم يأل جهدًا في تلمس أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم، في مراحل دعوته المختلفة.
- تمتاز سيرة الرسول الأعظم ﷺ بأنها نُقلت إلينا كاملة في كلياتها وفي جزئياتها، ولا تمتلك الإنسانيّة اليوم سيرة شاملة لنبيﷺ إلا السيرة النبويّة على صاحبها صلوات الله وتسليمه.[2]
- إن دراسة السيرة النبويّة الشريفة تهدف إلى معرفة ما تنطوي عليه من ((قدرة على التأثير في الإنسان المؤمن و تحركه إلى الله تعالى وانضباطه بمنهجيّة، ومما لا شك فيه ،أن التربية عن طريق الواقعة التاريخية و القدوة هو أفضل أسلوب في التربية وتجمع عليه المذاهب و الفرق على اختلافها قديماً وحديثاً، وهو الأسلوب الذي اتبعه خالق الإنسان مع الإنسان نفسه. وهو واضح من خلال الكتب السماويّة المعروفة وقد تميّز القرآن بهذه الصدد بما لا يضاهيه كتاب آخر، حيث ضم بين دفتيه أنواع القصص)) [3]
- تهدف السيرة النبويّة في القرآن إلى أجل عقائدي وتربوي فضلاً عن الهدف التشريعي، أما عنايتها بوقائع سيرة خاتم الأنبياء فقد استهدفت الأهداف الثلاثة مع ملاحظة أن الثقل الأكبر في الجانب التشريعي تركه القرآن الكريم لسنة النبي التي دعا للأخذ بها كما في قوله تعالى: ((وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)). الحشر/ ٧. [4]، ولا شك أن دراسة السنّة و السيرة النبويّة الشريفة –باعتبارهما المصدر الثاني من مصادر المعرفة الإسلامية– هي خير معين على فهم الأصل الأول – القرآن الكريم– بما يتضمنه من هداية وإرشاد على جميع المستويات، من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق...

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢١.

(٢) التعريف بالسيرة النبوية وأهميتها : http: / /www.asiri.net /seerah /seerah.htm

(٣) السيد سامي البدري ، المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي ، مؤسسة طور سينين ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط١ ، النجف ، ١٣٢٣هـ ، ص٣٤.

(٤) السيد سامي البدري ، المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي ،ص٣٤.

يجد فيها المسلم القدوة الحسنة، والمثل الأعلى، بها يصححح تمثلاته ومواقفه، واتجاهاته، ويعمق معارفه الإسلامية، مما يتيح الفرص للإفادة من القيم والعبر المستنبطة منهما في سلوكاتنا الخاصة والعامة، ويكسبنا مناعة ضد كل أمراض الانحراف العقدي والسلوكي، ومواجهة كل أشكال الغلو والتطرف والعنف والإقصاء. [1] فنكون بذلك كما قال ربنا((كنتم خير أمة اخرجت للناس))[2] . ومن هنا يظهر جلياً حضور الدين بوصفه متناً شرعياً كأصل من أصول الأخلاق والتربية الدينية على وفق تلك الضوابط .

أما المنهج : فهو الآخر كما تطرقنا سابقاً يمثل الآلية التي طبقت الشريعة وحققت لها حضورها في التربية والأخلاق كما تجلّت في السيرة النبويّة ، ومن سمات المنهج في السيرة النبويّة :

- منهج ربّاني المصدر : فالمنهج التربوي النبوي تشريع يستمد قوته وثباته وتميزه، وكذا أحكامه وأخلاقه وسلوكياته من رب العالمين .
- منهج شمولي: فهو منهج شامل لمصلحة الإنسان يرتبط بالواقع، ويعالج مشكلات التربية؛ ويحيط بجميع أبعاد حياة الإنسان باعتباره وحدة يتلاحم فيه : (الجسد والعقل والروح، والقول والفعل والنية، والظاهر والباطن) من ميلاد الإنسان إلى وفاته، ويحضر في كل مجالات الحياة المختلفة : (البيت والمدرسة والشارع والسوق ، والعمل)، إذ يراعيه في جميع جوانبه ومكوناته.
- منهج متوازن ومعتدل : المنهج التربوي النبوي منهج يوازن بين متطلّبات الروح والجسد، إذ لا يطغى جانب على آخر، فلا يهمل المسلم ما يتطلبه جسده من العناية من دون تجاوز الحد المشروع، ولا يحرم روحه من حقها، وفي ذلك مزايا كثيرة، فالتوازن يحقق الاستقامة في المنهج، والبعد عن الزيغ والانحراف، وقد حرصت السنّة النبويّة على حفظ التوازن داخل المجتمع في الأمور كلها، وكلما لمح من بعض أصحابه جنوحاً إلى الإفراط أو التفريط في مجال سعى الى غرس العقيدة الصحيحة، وتقوية الإيمان من خلال التربية .[3]

هكذا يظهر عمق الترابط بين العقيدة ومنهجها الأخلاقي والتربوي ؛ لأن الدين الحق يكون فيه الإله ((يدعو عبادة إلى التخلق بأخلاقه ويجعل من نفسه مثالاً لهم لا خصماً يستغل قدرته اللامتناهية في النيل من مخلوقاته .))[4]

---

(١) زكية مازغ ، المنهج التربوي النبوي في السنة والسيرة النبوي ، موقع :نشر في المسائية العربية يوم ٠٧ - ١٠ - ٢٠١٠م.

(٢) (سورة آل عمران : الآية ١١٠).

(٣) زكية مازغ ، المنهج التربوي النبوي في السنة والسيرة النبوي ،مصدر سابق .

(٤) إدريس هاني ،أخلاقنا في الحاجة إلى "فلسفة أخلاق " بديلة ،مركز الحضارية ، ١٨٩ .

فإن الجمع بين الشريعة والأخلاق يقترن بقدرة الرموز الدينية على ربط عالم الدنيا بعالم الآخرة ((فلا اعتبار لتجارب الناس الدينية وأحوالهم المعنوية أولا و بالذات ، و لا يمكن الاعتماد عليها والاطمئنان إليها ، بل يجب عرضها على الكتاب والسنّة المقدسة لبيان حقانيتها ...)) [١].

أولاً، منطلقات التربية النبويّة:

أ-إعداد أجيال الرسالة:

كل رسالة تنشد الانتشار والبقاء لابد لها من جمهور مؤمن بها يجعلها مركز تفكيره ومقياساً لسلوكه ومحلاً إيمانه واعتقاده لهذا كان النبي ﷺ ينشد نشر تربية تحقق هذا.وتقوم على:

١-إعداد جيل معاصر للنبي ﷺ: يكون الأنموذج الكامل والقدوة الصالحة إلى الأجيال التي تأتي، أي يبقى أنموذجاً بشرياً يقتدى به ويتأسى بمعتقداته وتصرفاته بنو الإنسان على مدى امتداد الزمان[٢] .

٢-إعداد الأجيال اللاحقة: لم يكن إعداد جيل واحد كافياً لتامين استمرارية حمل الرسالة ، لذلك حرص الرسول على وضع القواعد لتربية مستمرة عبر العصور .

ب- برنامج الإعداد غاية الرسالة لتحقيق الهداية :

وهي مفتاح لكل خير على مستوى التصور والاعتقاد .

تلاوة الآيات القرآنية : التلاوة تقود إلى الاستيعاب والإتباع ،كأسلوب حياة تطبيقا في الواقع الحياتي[٣].

التزكية :إن الفلاح يعتمد على التزكية ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكاها ، وَقَدْ خابَ مَنْ دساها))[٤]. لهذا كان الرسول يزيح من النفوس كل ما علق بها من موروثات ويربطها بمفاهيم الرسالة ومعتقداتها.

تعليم الكتاب، لأنه يحدد للإنسان ما يرضاه العقل في دائرة القول أو العمل في هذه الحياة الدنيا ، ويضع العقل في دائرة الوعي بسنن الله تعالى : ((إِنَّ هُذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))[٥].

تعليم الحكمة : الحكمة هي معرفة الاشياء بأفضل العلوم ، والحكمة هي تلك الهادف إلى ترسيخ الحق والعدل والخير والإصلاح بعيداً عن الانصياع للهوى والنزوات ، من خلال الالتزام بآداب التعامل وأخلاق

---

(١) مصطفى ملكيان ، جدلية الدين والاخلاق ، الانتشار العربي ، ط١ بيروت ، ٢٠١٣ م، ص ٢٤٠.

(٢) احمد رجب الاسمر ، النبي المربي ، ص ٧١.

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٤.

(٤) (سورة الشمس : الآيتان ٩-١٠) .

(٥) (سورة الإسراء : الآية ٩) .

التواصل :(وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)[1]. والحكمة من حسن تلقي العلم وتبليغه، قال تعالى:((ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله))[2] آل عمران/ ١٥٩.

أشكال انواع الحكمة والتعلم واصول ترسيخها تربوياً:

١-الرفق والرحمة وحسن التأني:

إن التعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تَفَهُّم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف بخلاف ما لو صَحِب ذلك نوعٌ من التوتر. وقد جاء في قوله سبحانه :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

لقد جعل النبي ﷺ الرفق سبباً من أسباب الكمال والنجاح؛ فعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه))[3]. وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: ((من حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير)).[4] ؛فان المحبة والرفق من الأسس التربويّة النبويّة ((فإن القلوب التي لا يعمرها نور الحب لا تستجيب الا للأثرة، والأثرة تتغذى بالعداء لا بالولاء)) [5].

٢-الثناء والتشجيع: إن هذه الآليّة التربويّة تعمق الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي ، يراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقاً، وأن يُؤمَن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف.

- وعن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ، حق أمين. قال: فاستشرف لها الناس، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح « وفي رواية « فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: ((هذا أمين هذه الأمة)) [6].

كم يبعث التشجيع في نفس المتعلم من حب للعلم، وكم يساعد في تسارع خطوات التربية نحو الأمام، وذلك

---

(١) (سورة البقرة ، الآية ٢٦٩)

(٢) (سورة آل عمران ، الآية ١٥٩)

(٣) إبراهيم بن صالح الدحيم ، أساليب نبوية في التربية والتعليم ، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، محرم – صفر ١٤٣٧ هـ = أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٥م ، العدد : ١- ٢ ، السنة : ٤٠

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) نظمي لوقا ، محمد الرسالة والرسول ، وزارة التربية والتعليم ،ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م، ص ٣٢.

(٦) إبراهيم بن صالح الدحيم ، أساليب نبوية في التربية والتعليم ، وانظر : رواه مسلم (٢٤١٨ – ٢٤٢٠) .

على عكس ما يأتي به كثرة التأنيب والعتاب واللوم، أو السكوت عن الثناء عند كل نجاح وتفوق.

٣- التدرج ومراعاة الحال:

حين نرجع إلى المعنى اللغوي للتربية نجد بأن من معانيها النمو والزيادة، ومنه أيضاً التدرج فالتربية جهود تراكمية، يرفد بعضها بعضاً، ؛ وذلك لأن ((للجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعلها في وقتٍ وجهدٍ أمراً عسيراً ومتعذراً) [١].

ثم إن المتربين والمتعلمين ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك، ولا على درجة واحدة في الحرص والرغبة.

٤-تعظيم دور العلم «الشرعي»حتى يعرف العلم حقه ، ويعظمه بما ينبغي من تعظيمه ، فلا يكدره بالمطامع ، ولا يشوبه بالخضوع لأهل الدنيا، و لا يجهمه بالتواصل إلى ما في يد الأغنياء فيكون عنده مخدوماً لا خادماً ومقصوراً لا قاصراً [٢].

ثانيا : التربية النبويّة للطفل :

ومن هنا يمكن ان نتلمس آثار هذه السيرة في الخطاب التربوي الاسلامي ومنها ما يتناول: أسس الأساليب التربوية التي خوطب بها الوالدان و المربيون؛ كي يلتزموا بها. وأيضا أسس الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل. ومن ثم ظهورها في الطفل من خلال أسس الأساليب النفسيّة المؤثرة في نفس الطفل، وهناك الكثير من الاحاديث النبويّة الشريفة التي تحض على التربية:

ما روي عن جابر بن سمرة، أن رسول الله ﷺ قال:» لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع» [٣].

وما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» (ابن ماجة ، د.ت ، ج ٢، الحديث رقم ٣٦٧١، ص ١٢١١) .

القدوة الحسنة : اذ للقدوة الحسنة أثر كبير في نفسية الطفل، إذ كثيراً ما يقلد الطفل و الديه، حتى إنهما يطبعان فيه أقوى الآثار «فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

ويحث رسول الله ﷺ الوالدين أن يكونا قدوة حسنة في خلق الصدق أثناء تعاملهم مع الاطفال:أخرج

---

(١) الدرويش ، معالم في المنهج النبوي، مجلة البيان ١٢٥، ص ٣٦ .

(٢) محمد بن علي الشوكاني ،أدب الطلب ، ومنتهى الارب ، ص١١٧.

(٣) (الترمذي ، د.ت ، ج ٤ ، رقم الحديث ١٩٥١ ، ص ٣٣٧) .

أحمد عن رسول الله ﷺ، انه قال:» من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه، فهي كذبة «[1].

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: ((دعنتي أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ، قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ ، :» ما أردت أن تعطيه ؟» قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها : :» أما إنكِ لو لم تعطه شيئاً ، كُتبِت عليك كذبة)) [2] ، وفي الأمر جنبة أخرى تتعلق بالكذب أيضاً إذ إن رسول الله ﷺ قال: ((إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له، إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار)) [3].

تحديد الوقت المناسب للتوجيه: إن لاختيار الوالدين الوقت المناسب في توجيه ما يريدان، دوراً فعالاً في أن تؤتى النصيحة أكلها. وبهذا فإنهم سيحققون المراد .ومن هذه الاوقات التي يذكرها النبي ﷺ ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الطفل: الاول، وقت النزهة، وفي اثناء الطريق، والمركب، وثانيها، وقت الطعام، وثالثها ، وقت مرض الطفل، وهي أوقات تبدو اكثر تواصلاً نفسياً بين المربي والطفل إذ يتحقق عمق التأثير في نفس الطفل ومن الأحاديث التي تتعلق بالحالة الثالثة نوردها كمثال :على تحقق الدعوة وتأثيرها، روى البخاري عن أنس قال: ((كان غلام يهودي يخدم النبي، فمرض، فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم « فنظر إلى أبيه وهو عنده ؟ فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول:»الحمد لله الذي أنقذه من النار «))([4]).

العدل والمساواة بين الأطفال: وهو أيضاً ركن يستطيع الوالدان أن يستثمراه في تحقيق تأثير عميق في نفس الطفل، ألا وهو : العدل والمساواة بين الأطفال؛ إذ لهما كبير الأثر في مسارعة الأبناء إلى البر والطاعة .روى الشيخان عن النعمان بن البشير: أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال : إني نحلتُ (أي: أعطيت) ابني هذا غلاماً كان لي، فقال: رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحلتهُ مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ:»لا تشهدني على جور» ثم قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «أيسرُك أن يكونوا لك في البر سواء ؟ « قال ﷺ:» بلى، قال رسول الله ﷺ:»فلا إذاً «.[5]، فالحديث يؤكد ضرورة المساواة والعدل والانصاف التي تجعل الأولاد أكثر ميلًا الى البر والتقوة.

---

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، دار ابن كثير ، ط٣، بيروت ،٢٠٠،ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠.

(٣) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة – ج ٣ – الصفحة ٢٦٧٥. http: / /shiaonlinelibrary.com

(٤) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، ص ٩٤.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٥.

الاستجابة لحقوق الأطفال وتلبيتها: وهذه آليّة تربويّة تكشف عنها السنّة النبويّة وهي آليّة تراعي ضرورة إعطاء الطفل الوالدين حقه، وهي تسهم في جعل استجابة الطفل الى الحق طيعة فتسوغ الرضوخ له، وتتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه التي يجدها شرعية، اما على العكس من هذا المنهج فانه يكون بين موقفين أما المعارضة الظاهرة أو الخفية بكبت المشاعر. وهذا يعبر عنه الحديث الذي أخرجه البخاري، ومسلم عن سهيل بن سعد: ((أن رسول الله ﷺ أتى بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام:» أتأذن أن أعطي هؤلاء ؟» فقال الغلام: لا، والله يا رسول الله ﷺ لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتله (أي: وضعه) رسول الله ﷺ في يده. وزاد رزين :»والغلام: الفضل بن العباس))[1].

الدعاء: ونستطيع ان نستلهم آلية أخرى من السيرة النبويّة الشريفة اذ نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على اولادهم؛ لأن هذا منافٍ للخلق الإسلامي، ويخالف التربية النبويّة الشريفة، ويبتعد عن منهج النبوة في دعوة الناس إلى الإسلام حتى أن رسول الله ﷺ لم يدع على مشركي الطائف و قال:»أرجو من الله (تبارك وتعالى) أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله (تبارك وتعالى)».[2]

وهناك آليات أخرى تربويّة يمكن تسميتها منها: شراء اللعب لهم، وآخر: مساعدة الأطفال على البر والطاعة، وثالثة: الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب. تسهم بظهور نظام تربوي نبوي اسلامي يجمع شتات الإنسان ويركز على طاقاته وإمكانياته حول مركز واحد هو الولاء لله (عز وجل) وابتغاء وجهه الكريم، فإن نظام القيم التربويّة الماديّة يعصف بقوى الإنسان ويذهب بها طرائق قددًا، ويلحق بها تشوهات مريعة يتحول معها الإنسان إلى كائن مستلب، غريب عن نفسه وغريب عن الكون الذي يحيط به وهكذا فقدت هذه الشخصية القدرة على الاختيار السوي، فاندمجت تأخذ من هنا وهناك أي فكرة أو أي شيء من دون قاعدة أو مبدأ.

الخلاصة التي يمكن ان نستشفها هنا أن هناك أسساً تربويةً تقوم على أخلاقيات العفو، والتسامح، والوفاء، وتوصل آليات: (الحوار، والتعلم والحب، والتآخي بين أبناء هذه الأمّة على أسس تربوية نبوية قوامها: عقائدية، وأخلاقية، وعلمية، واجتهادية وجهادية).

---

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٩٩. انظر : جامع الأصول (٥/ ٨٤) ت: الأرناؤوط .وذكره النووي في كتابه : (رياض الصالحين) (باب : التنافس في أمور الآخرة).

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٢.

المبحث الثاني

التربية النبويّة

كما تجلّت في علاقته بالإمام علي عليه السلام

إن عملية التربية هي صياغة متكاملة تحتاج في أولها إلى الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل.

ويمكن أن نلتمس خطابا تربوياً إلهيا في تراث نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وهذا الخطاب التربوي يتميز من غيره بكونه :

أولاً: إن الله بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله معلماً ومزكياً، ومبشراً ونذيراً ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1].

ثانياً: إن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أوتي الكمال البشري، وعُصم من الخطأ الذي يقدح في تبليغه للدعوة ، لقد أعطي النبي صلى الله عليه وآله مع أميته – علماً لا يدانيه فيه أحد من البشر ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2] [النساء: ١١٣].

ثالثاً: لأن النبي صلى الله عليه وآله مرّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمر بها معلم أو مربٍّ في أي زمانٍ ومكان. وقد امتدحهم الله فقال: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[3] [آل عمران: ٧٩].

إنطلاقا من تلك السمات فمن الممكن أن نقارب العلاقة العميقة بين النبي الاعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام؛ لان فيهما تظهر بوضوح قيم تربويّة اخلاقيّة وسياسيّة راقية.

الأساس الأول : في التربية اليقين والقناعة والتسليم لله (عزوجل):

لعلَّ هذا يظهر جليا في قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، للإمام عليه السلام ((يا علي : إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله (عزوجل) ولا تحمد أحداً بما آتاك الله (عزوجل) ولا تذم أحداً على ما لم يؤتك الله (عزوجل)، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا تصرفه كراهة كاره، إن الله (عزوجل) بحكمه وفضله جعل الروح والفرح

---

(١) (سورة الجمعة : الآية ٢)

(٢) (سورة النساء : الآية ١١٣)

(٣) (سورة آل عمران : الآية ١٧٩)

في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)[1].

يظهر أن المركز بأي فعل يكون الله (عزوجل) مصدره وغايته ولا ممدوح سواه ولا يشاركه أحدٌ في هذا؛ لأنه وسيلة اتخذه الله (عزوجل) من أجل رزقك فالموجب شكره هو الله (عزوجل) ولا يمكن اشراك احداً في هذا، ومن ثم لا يمكن ارضاء العبد في معصية الخالق فالفعل التربوي يوجب أن لا نرضي احداً بسخط الله (عزوجل)، ثم الأثر الثالث أن الرزق هو شان الخالق وعلى المخلوق التسليم والقناعة، والتقبل بروح طيبة قنوعة؛ لأنها من معالم الايمان أما الشك والسخط فمجلبةٌ للتعاسة. وفي هذا هناك قول يؤيد هذا((من دخل الشك قلبه فارقته نعمة الإيمان وبغير نعمة الإيمان يهلك المرء و لايدخل ملكوت السماء))[2].

الأساس الثاني : في التربية تقوم على العقل ، والمشاورة والتدبر :

لعل هذا يظهر جلياً في قول النبي الاعظم ﷺ، للإمام عليه السلام: ((يا علي: إنه لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أحسن من المشاورة، و لا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر)) [3].

يظهر أن المركز بأي فعل يكون قائماً على آليات تربويّة أساسها التعقل والتدبر والمشورة وتلك اليات تربويّة ترسخ الحكمة والعقل المنفتح على الذات من خلال آلية التأمل في العقيدة وثوابتها أو ما يتعلق في الكون وتلك من مقومات الإيمان أن يتدبر المؤمن كيف خلق الله الكون ونظمه والغاية المنشودة منه، على صعيد المشاورة مع الآخر حواراً وتواصلاً في الشأن الخاص أو الشأن العام الذي يخص المجتمع وقضاياه مما يعمق روح التواصل والتعايش .كل هذه الآليّة التربويّة تقود الى التخلق بأخلاق العقل الذي يسلك مسلك الحكمة ويتدبر سلوكه اتجاه ربه او اتجاه إخوته في الدين أو الوطن أو في الانسانية.

---

(١) ابو محمد الحسن الحراني ، تحف العقول عن ال الرسول ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،ط٦ ،بيروت ، ١٩٩٦م، ص١٣.

(٢) نظمي لوقا ، محمد الرسالة والرسول ، مصدر سابق ، ص ٤٠.

(٣) ابو محمد الحسن الحراني ، تحف العقول عن ال الرسول ، ص١٣.

الأساس الثالث : في التربية يقوم على تجنب الكذب والنسيان والمن، والبغي والتفاخر:

لعل هذا يظهر جلياً في قول النبي الأعظم ﷺ، للإمام عليه السلام :(يا علي: آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الفترة، و آفة السماحة المن، وآفة الشجاعة البغي، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر)[1].

إنَّ هذا التأطير المعرفي للتربية أخلاقيا يظهر عبر مقابلات (معرفية واخلاقية وتربوية) في تقابل من الثنائيات التي تقوم على التضاد:(صدق / كذب، حفظ / نسيان، المواظبة / الفتور، الجود / المن، الشجاعة / البغي، الجمال / الخيلاء، الحسب / الفخر)، تقابل بين حدين لا وسط بينهما تقابل يقوم على الضد في مواضيع أخلاقية وتربوية وتعد من الفضائل الأخلاقية: (العبادة، والكرم، والشجاعة، الجمال، السماحة والعلم).

هنا توجيه الى ترك الافراط لانه يقلب النتيجة ويفسد الموضوع عندما تنقلب الى الضد وتكون نتائجها على محمودة سواء على الذات او الآخر الذي تقع عليه النتيجة.

وهناك كلام يدعم هذه الآليّة ويرصنها ويمضي الى غايتها التربويّة وهو قول النبي الاعظمﷺ: ((ياعلي: عليك بالصدق و لا تخرج من فيك كذبة أبدأ ولا تجترئن على خي انة أبداً والخوان من الله (عزوجل) كأنك تراه، وابذل مالك ونفسك دون دينك وعليك بمحاسن الاخلاق فاركبها وعليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها))[2].

---

(١) ابو محمد الحسن الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول ، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٦.

الأساس الرابع : في التربية يقوم على تزكية النفس من الموبقات :

((ياعلي : ثلاث موبقات ، وثلاث منجيات ،فأما الموبقات : فهوى متبع . وشح مطاع .وإعجاب المرء بنفسه .و أما المنجيات فالعدل والرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر .و خوف الله في السر والعلانية كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) [1] ، وقوله : ﷺ في الموضوع نفسه :((ياعلي : أربع خصال من الشقاء : جمود العين . وقساوة القلب . وبعد الأمل . وحب الدنيا من الشقاء [2]

هذه الوصايا التي وجهها النبي ﷺ الى الامام علي وهو أحد مفاخر الأمة الاسلامية وهو من وصف نفسه ، يقول : ((يا رميلة ما من مؤمن و (لا) مؤمنة يمرض إلا مرضنا لمرضه ، و لا حزن إلا حزنا لحزنه ، ولا دعاء إلا أمنا على دعائه ، ولا سكت إلا دعونا له ، و ما من مؤمن ولا مؤمنة في مشارق والمغارب إلا ونحن معه)) [3].

الأساس الخامس : في التربية يقوم على اتخاذ العلم طريقا للنجاة :

وفي نص آخر يقول النبي الأعظم ﷺ: (و أما العلم. فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً والجود و إن كان بخيلاً، والمهابة و إن كان هيناً و السلامة و إن كان سقيماً و القرب و إن كان قصياً والحياء و إن كان صِلفاً و الرفعة و إن كان وضيعاً و الشرف و إن كان رَذِلاً و الحكمة والحظوة ، فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه، فطوبى لمن عقل وعلم) [4].

الأساس السادس : في التربية تقوم على ربط العلم بالعمل :

الجمع بين العلم والعمل، يقول النبي الاعظم ﷺ في هذا حينما سئل ما علامة الإسلام؟ قال: ((الايمان والعلم والعمل، وقيل له فما علامة الإيمان وما علامة العلم وما علامة العمل ؟ قال علامة الإيمان به والإيمان بكتبه، والإيمان برسله، وأما علامة العمل فأربع: العلم بالله والعلم بمحبيه والعلم بفرائضه والحفظ لها حتى تؤدى وأما علامة العمل: فالصلاة والصوم والزكاة والإخلاص) [5].

---

(١) ابو محمد الحسن الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول، ص١٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧.

(٣) الحافظ رجب البرسي الحلي ، مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ،ط٢، ٢٠١٠، ص (١٤٢-١٤٣).

(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه،ص ٤٦.

((الإيمان في فضاء المفاهيم الإسلامية هو الشيء الذي يطالب به الإنسان من خلال الوحي الالهي، وعليه فلابد من السعي لفهم مراد الله (عزوجل) من الإيمان)) [1].

وهنا قول يكشف تلك الأقول والمعاني هو قول النبي الاعظم ﷺ: ((من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجب أجره وحرمت غيبته)) [2].

هكذا يظهر جلياً من النصوص التي جاءت تعبر عن حكم عميقة في بعدها الأخلاقي والتربوي فهي تؤكد: أن الدين وضع إلهي ومعلمه والداعي إليه البشر، تتلقاه العقول عن المبشرين والمنذرين فهو منسوب لمن لم يختصهم بالوحي، ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين وهو عند جميع الأمم أول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات وتتمرن الأبدان على ما نشأ عنه من الأعمال عظيمها وحقيرها، فله السلطة على الأفكار وما يطاوعها من العزائم والإرادات، فهو سلطان الروح ومرشدها إلى ما تدبر به بدنها[3]. إن أي حادث يجري فإنه يمكن أن يفاد منه في التربية والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدى بغير عبرة وبغير توجيه. ومن ثم فان ما تمر به الأمة اليوم من حوادث وفتنٍ متتابعة ليعتبر من جهة أخرى فرصة لصياغة الشخصية المسلمة صياغة جادة ثابتة مثمرة.

---

(١) الشيخ محمد مجتهد الشبستري، الإيمان والحرية، دار الفكر الجديد، النجف،٢٠٠٧ م، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه : ص: (٢١-٢٢.)

(٣) محمد عبده، الاسلام بين العلم والمدنية، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ص٨.

الخاتمة :

١ : ان نظام القيم التربوية في الإسلام يجمع شتات الإنسان ويركز طاقاته وإمكانياته على مركز واحد هو الولاء لله (عز وجل) وابتغاء وجهه الكريم فقد صنعت القيم التربوية الإسلامية من الأفراد الذين تشبعوا بها كائنات فذة، تحمل من عناصر القوة والحيوية ما استطاعوا بفضله أن يواجهوا تبعات الحياة ومشاق السير في دروبها الوعرة.

٢ : ان الحقيقة التي يقررها القرآن في قضية التغيير الحضاري، وهي أن الإنسان هو الأساس في ذلك التغيير، مصداقاً لقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الرعـــد : ١١.. فسنّة البناء والتغيير تمر من خلال جهد البشر وتفاعلاتهم.

٣ : ومن الممكن أن نستعرض الأقوال والممارسات من هذه المعالم الأصيلة التي تشكل أنموذجاً أخلاقياً تربوياً وفعلاً في مجال الاجتماع والسياسة وكلها تتمركز في دور الخالق المدبر.

٤ : التربية الأخلاقية مرتبطةٌ بحضارة معينةٍ، أو دينٍ معينٍ، إذ إنَّ عمرَ العلاقةِ بينَ الدينِ والأخلاقِ يمتدُّ إلى عُمرِ البشريَّةِ، وهذا يعني أنَّ له حضورًا راسخًا في الثقافةِ البشريَّة.

٥ : لابد من الانفتاح على افق التلقي على التراث ومنه السيرة النبويّة والانصهار بين الحاضر والماضي .

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ/ ١١٨٩م (النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، [١-٥]، ٢، باب الراء مع الباء، ٤٥٠.

٢. الزمخشري، محمود بن عمر جار الله (ت ٥٨٣هـ/ ١١٣٤م (أساس البلاغة، القاهرة، دار الكتب، ط١، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.

٣. وليم مونتغومري وات ، الإسلام واندماج المجتمع ، ترجمة ، علي عباس مراد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١، بيروت ٢٠٠٩م.

٤. عبد الإله بلقزيز ، تكوين المجال السياسي الإسلامي النبوة والسياسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١، بيروت ،٢٠٠٥ م.

٥. ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ، ترجمة ، محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي ، ط١، بيروت .

٦. طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي ، ط١، بيروت ،٢٠٠٠م.

٧. محمد مجتهد الشبستري ، هرمنيوطيقا القران والسنة ، دار الانتشار العربي ط١، بيروت ، ٢٠١٣م.

٨. طه عبد الرحمن ، العمل الديني وتجديد العقل ، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت ،١٩٩٧م.

٩. المناوي، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٠م، باب التاء، فصل الراء، ١٦٩.

١٠. محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير،ط١، دمشق، ١٩٧٨م.

١١. احمد رجب الاسمر ، النبي المربي ، دار الفرقان ،ط١ ، بيروت ،٢٠٠٩م.

١٢. محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، آداب الطلب ومنتهى الإرب ، تحقيق احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت ، ١٩٧١م.

١٣. إدريس هاني ،أخلاقنا في الحاجة إلى «فلسفة أخلاق « بديلة ،مركز الحضارية ، ط١، بيروت ،٢٠٠٩م.

١٤. الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات .

١٥. السيد سامي البدري ، المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي ، مؤسسة طور سينين ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط١ ، النجف ، ١٣٢٣هـ.

١٦.زكية مازغ ، المنهج التربوي النبوي في السنة والسيرة النبوي ، موقع :نشر في المسائية العربية يوم ٠٧ – ١٠ – ٢٠١٠م.

١٧. صطفى ملكيان ، جدلية الدين والاخلاق ، الانتشار العربي ، ط١ بيروت ، ٢٠١٣ م.

١٨. إبراهيم بن صالح الدحيم ، أساليب نبوية في التربية والتعليم ، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، محرم – صفر ١٤٣٧ هـ = أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٥م ، العدد : ١ – ٢ ، السنة : ٤٠

١٩. نظمي لوقا ، محمد الرسالة والرسول ، وزارة التربية والتعليم ،ط١ ، القاهرة ،١٩٥٩م.

٢٠. إبراهيم بن صالح الدحيم ، أساليب نبوية في التربية والتعليم ، وانظر : رواه مسلم (٢٤١٨ – ٢٤٢٠) .

الدرويش ، معالم في المنهج النبوي، مجلة البيان ١٢٥ .

٢١. الترمذي ، د.ت ، ج ٤ ، رقم الحديث ١٩٥١ .

٢٢. محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، دار ابن كثير ، ط٣، بيروت ،٢٠٠ .

٢٣. جامع الأصول (٥/ ٨٤) ت: الأرناؤوط .وذكره النووي في كتابه : (رياض الصالحين) (باب : التنافس في أمور الآخرة).

٢٤. ابو محمد الحسن الحراني ، تحف العقول عن ال الرسول ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،ط٦ ،بيروت ، ١٩٩٦م.

٢٥. الحافظ رجب البرسي الحلي ، مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ،ط٢، ٢٠١٠.

٢٦. محمد عبده ، الاسلام بين العلم والمدنية ، دار كلمات عربية للترجمة والنشر ، ط١، القاهرة .

المواقع :

٢٧. محمد الريشهري ، ميزان الحكمة . http://shiaonlinelibrary.com

٢٨. التعريف بالسيرة النبوية وأهميتها : http://www.asiri.net/seerah/seerah.htm

http://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_349=hid&138267=pid&628=no

من مناقب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

محمد الموسوي

نسبه عليه السلام: هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

والده عليه السلام: الإمام موسى الكاظم عليه السلام .

والدته عليها السلام : نجمة، وتدعى تُكتم أيضاً، وكنيتها: أم البنين.

يقول الشاعر لدى مدحه للإمام الرضا عليه السلام:

أ لا أنّ خير الناس نفساً وولداً ورهطاً وأجداداً علي المعظّم

أتتنا به للعلم والحلم ثامنًا إماماً يؤدّي حجّة الله تكتم[1]

ونقل أنَّ اسمها خيزران، وهي أم ولد من أهالي نوبة، وقد سمّاها الإمام الكاظم عليه السلام بالطّاهرة[2].

اشتراها الإمام الكاظم عليه السلام بأمر من الله عزوجل، ففي الخبر أنَّه عليه السلام قال لما ابتاعها ـ أي تكتم ـ جمع قومًا من أصحابه، ثم قال: «والله ما اشتريت هذه الأمة إلاّ بأمر الله ووحيه».

فسُئل عن ذلك؟. فقال: «بينا أنا نائم إذ أتاني جدّي وأبي ومعهما شقّة حرير فنشراها، فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية. فقال: يا موسى، ليكوننّ من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك. ثم أمراني إذا ولدته أن أسمّيه عليًّا، وقالا لي: إنَّ الله تعالى يظهر به العدل والرّأفة، طوبى لمن صدّقه، وويل لمن عاداه وجحده وعانده»[3].

ولما اشترتها السّيّدة حميدة والدة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لها: «يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى عليه السلام؛ فإنَّه سيلد له منها خير أهل الأرض»، فوهبتها له[4].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٥.

(٢) المصدر نفسه: ج١ ص١٥.

(٣) دلائل الإمامة: ص١٧٦.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج١ ص١٦-١٧.

ولادته عليه السلام: ولد الإمام الرضا عليه السلام في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٨ هجرية.

كنيته عليه السلام: أبو الحسن، وقد كنّاه بذلك أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث كتب لعلي بن يقطين من الحبس: «إنَّ فلاناً ـ أي الإمام الرّضا عليه السلام ـ ابني سيّد ولدي وقد نحلته كنيتي»[1].

ألقابه عليه السلام: الرّضا، والصّابر، والزّكي، والولي، وأشهرها الرِّضا.

عن أحمد بن أبي نصر البزنطي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام: إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمون أنّ أباك عليه السلام إنَّما سمّاه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟. فقال: «كذبوا والله وفجروا، بل الله تعالى سمّاه الرضا؛ لأنَّه كان عليه السلام رضى الله تعالى ذكره في سمائه، ورضى لرسوله صلى الله عليه وآله والأئمّة بعده عليهم السلام في أرضه».

قال: فقلت له: ألم يكن كلّ واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضى الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده عليهم السلام؟!.

فقال: «بلى».

فقلت له: فلِمَ سمّى أباك عليه السلام من بينهم الرِّضا؟.

قال: «لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سُمّي من بينهم الرِّضا عليه السلام»[2].

صفته عليه السلام: قال بعض المؤرّخين: إنَّه عليه السلام كان أسمر. وقال بعض: إنَّه كان أبيض.

وكان معتدل القامة، شبيهاً بجدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

شاعره عليه السلام: دعبل الخزاعي، الشاعر المعروف صاحب التّائيّة الشهيرة، ممّن عاصر الإمام الصّادق والكاظم والرّضا والجواد عليهم السلام، اشتهر بولائه لأهل البيت والمعاداة لمخالفيهم حتى ذاع عنه أنّه كان يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين عاماً، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

وعن أبي الصلت الهروي قال: دخل الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو. فقال: يا بن رسول الله، إنِّي قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، وأحبّ أن تسمعها منِّي.

فقال له علي الرضا عليه السلام: «هات قل».

فأنشأ يقول:

ذكرت محل الرَّبع من عرفاتِ فأجريت دمع العين بالعبراتِ

وفلُّ عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار أقفرت وعراتِ

---

(١) الكافي: ج١ ص٣١٣.

(٢) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٦-٢٣٧.

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومهبط وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات

ديارُ علي والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجاد ذي الثفنات

ديارٌ لعبد الله والفضل صنوه نجيّ رسول الله في الخلوات

وهي قصيدة طويلة تربو على مائة وعشرين بيتاً.

يقول دعبل: لما أنشدت مولاي الرضا ﷺ هذه القصيدة وانتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يُمَيّزُ فينا كلَّ حَقٍّ وباطلٍ ويُجزِي على النَّعمَاءِ والنَّقِماتِ

بكى الإمام الرضا ﷺ، ثم رفع رأسه إليَّ وقال: «يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، أ تدري من هذا الإمام الذي تقول؟».

فقلت: لا أدري، إلا أنّي سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً.

فقال ﷺ: «يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعده علي ابنه، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره. ولو لم يبق من الدّنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[1].

ولمّا فرغ دعبل من إنشاد القصيدة نهض الإمام الرضاﷺ، وقال: «لا تبرح». فأنفذ إليه صرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليه والتّبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإنّي لفي غنى، فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرّك فهو أحبّ إليَّ.

فأعطاه الإمام ﷺ جبّة خزّ عليه الصرّة وقال للغلام: «قل له: خذها ولا تردّها؛ فإنّك ستصرفها أحوج ما تكون إليها». فأخذها وأخذ الجبّة[2].

نقش خاتمه ﷺ: حسبي الله، وقيل: ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله.

ومثل ذلك يحمل على عدّة خواتيم.

---

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص٢٦٥-٢٦٦ ب٦٦ .

(٢) الغدير: ج٢ ص٣٦٠.

قالوا في الإمام عليه السلام

قال الحافظ الجويني: (مظهر خفيات الأسرار، ومبرز خبيات الأمور الكوامن، منبع المكارم والميامن، ومنبع الأعالي الخضارم والأيامن، منيع الجناب، رفيع القباب، وسيع الرّحاب، هتون السّحاب، عزيز الألطاف، غزير الأكناف، أمير الأشراف، قرّة عين آل ياسين وآل عبد مناف، السيد، الطاهر، المعصوم، والعارف بحقائق العلوم، والواقف على غوامض أسرار السر المكتوم، والمخبر بما هو آت وعمّا غبر ومضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، ولذا لقّب بالرضا علي بن موسى، صلوات الله على محمد وآله، خصوصاً عليه، ما سح سحاب وهمى، وطلع نبات ونما) [1].

وقال الذهبي: (الإمام السيد أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي المدني، كان من العلم والدين والسؤدد بمكان... يقال: أفتى وهو شاب في أيّام مالك)[2].

وقال الصفدي: (وهو أحد الأئمّة الاثني عشر، كان سيّد بني هاشم في زمانه، وكان المأمون يخضع له ويتغالى فيه، حتى إنّه جعله وليّ عهده من بعده، وكتب إلى الآفاق بذلك)[3].

وقال اليافعي: (فيها ـ أي سنة ٢٠٣ ـ توفّي الإمام الجليل المعظّم، سلالة السادة الأكارم، أبو الحسن علي بن موسى الكاظم، أحد الأئمّة الاثني عشر، أولي المناقب، الذين انتسبت الإمامية إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليهم)[4].

وقال ابن الصباغ المالكي: (قال بعض الأئمّة من أهل العلم: مناقب علي بن موسى الرضا عليه السلام من أجل المناقب، وأمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتائب، وموالاته محمودة البوادي والعواقب، وعجائب أوصافه من غرائب العجائب، وسؤدده ونبله قد حلّ من الشَّرف في الذّروة والمغارب، فلمواليه السّعد الطّالع، ولمناويه النّحس الغارب)[5].

---

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص١٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٩ ص٣٨٧-٣٨٨.

(٣) الوافي بالوفيات: ج٢٣ ص١٥٤-١٥٥.

(٤) مرآة الجنان: ج١ ص٣٠٤.

(٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج٢ ص١٠٢٣.

وقال النسّابة ابن عنبة: (علي بن موسى الكاظم ويكنّى أبا الحسن، ولم يكن في الطالبيين في عصره مثله، بايع له المأمون بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، ثم توفّي بطوس ودفن بها)[1].

وعلى غرار الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين ملؤوا العالم بفضائلهم ومناقبهم كان الإمام الرضا عليه السلام، فهو من نفس البيت النبوي، ومن ذات السّلالة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً.

علمه عليه السلام:

شهد عهد الإمام الرضا عليه السلام حركة علميّة كبيرة؛ وذلك للحرّيّة البسيطة التي أتيحت آنذاك للعلم والعلماء.

وكان المأمون ـ وهو عالم العباسيين ـ يتظاهر بمحبّة العلم والعلماء، وكان يكثر السّؤال من الإمام عليه السلام امتحاناً منه له؛ علّه يحرجه أو يغلطه في مسألة ما دون أن يصل إلى مرامه.

يقول إبراهيم بن العباس الصولي: (ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء إلاّ علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزّمان إلى عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسّؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه، وكان جوابه كلّه وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد)[2].

وقال رجاء بن أبي الضّحّاك ـ الذي بعثه المأمون لإشخاص الرضا عليه السلام ـ: (كان لا ينزل بلداً إلاّ قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم، ويحدّثهم الكثير عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا وردت به على المأمون سألني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وظعنه وإقامته. فقال لي: يا ابن أبي الضّحّاك، هذا خير أهل الأرض وأعلمهم، فلا تخبر أحداً بما شاهدته منه)[3].

وعن أبي الصلت الهروي، قال: (ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتي. ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عليه السلام عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلاّ أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور. ولقد سمعته عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا عيي الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم، وبعثوا إليَّ المسائل فأجيب عنها)[4].

وعن محمد بن عيسى اليقطيني: (جمعت من مسائل أبي الحسن الرضا عليه السلام ممّا سئل عنه وأجاب فيه

(١) عمدة الطالب: ص١٩٨.

(٢) أعيان الشيعة: ج١ ص١٠١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٨٣.

(٤) كشف الغمة: ج٢ ص٣١٦-٣١٧.

ثمانية عشر ألف مسألة أو خمسة عشر ألف مسألة)[1].

وحيث إنّ عهد الإمام ﷺ كان مليئاً بالصّراعات الفكريّة والخلافات العقائديّة، استدعى الوضع من الإمام ﷺ أن يظهر علومه، ويتصدّى لبيان الصّواب من الخطأ في مجالات شتى منها:

*** العقائد:**

المعصوم ﷺ هو الذي يحفظ عقائد الناس ويدفع الشّبهات عنهم.

يقول الهروي: (لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا ﷺ أهل المقالات من أهل الإسلام والدّيانات من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمه حجّته كأنّه ألقم حجراً. قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله، أ تقول بعصمة الأنبياء؟.

قال: «نعم».

قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجل: [وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى][2] إلى آخر ما قال.

فأجابه ﷺ عن جميع ذلك حتى بكى علي بن محمد ابن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزّ وجل من أن أنطق في أنبياء الله ﷺ بعد يومي هذا إلا بما ذكرته)[3].

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟.

فقال ﷺ: «الله أعدل من أن يجبر ثم يعذّب».

قال: فمطلقون؟.

قال ﷺ: «الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه»[4].

*** التفسير:**

الإمام الرضا ﷺ وآباؤه الطاهرون ﷺ هم الذين نزل في بيوتهم القرآن، وهم العلماء بتفسيره وتأويله وبطونه وعلومه. وأخذ ﷺ يُبيّن التفسير الصحيح للقرآن البعيد عن المغالطات والشّبهات.

عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا ﷺ عن قول الله عزّ وجل: [كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ][5]؟.

---

(١) أعيان الشيعة: ج١ ص١٠١.

(٢) سورة طه: ١٢١.

(٣) أمالي الصدوق: ص٩٠-٩٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٩ ، ص ١٧٢.

(٥) سورة المصطفين: ١٥.

فقال: «إنّ الله تعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنّه يعنى أنّهم عن ثواب ربّهم محجوبون».

قال: وسألته عن قول الله عزّ وجل: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] (١)؟.

فقال: «إنّ الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذّهاب تعالى عن الانتقال، إنّما يعنى بذلك وجاء أمر ربّك والملك صفاً صفاً».

قال: وسألته عن قول الله عزّ وجل: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ] (٢)؟.

قال: «يقول: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت».

أقول: أي هكذا أريد من نزولها.

قال: وسألته عن قوله تعالى: [سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ] (٣)؟، وعن قوله: [اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ] (٤)؟، وعن قوله: [وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ] (٥)؟، وعن قوله: [يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ] (٦)؟.

فقال: «إنّ الله لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السّخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا» (٧).

*** الإمامة:**

في عهد الإمام الرضا عليه السلام كثر الحديث حول الإمامة، ونال هذا الموضوع أهمّيّة خاصّة لدى المسلمين، فبيّن الإمام عليه السلام المعارف الحقّة ما جعل الجميع يقرّ بأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام بالإمامة.

عن عبد العزيز بن مسلم، قال: (كُنّا مع الرّضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا اختلاف الناس فيها. فدخلت على سيدي ـ يعني الرضا عليه السلام ـ فأعلمته خوض الناس فيه. فتبسّم ثم قال: «يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم. إنّ الله عزّ وجل لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدّين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء. بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع

---

(١) سورة الفجر: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٢١٠.

(٣) سورة التوبة: ٧٩.

(٤) سورة البقرة: ١٥.

(٥) سورة آل عمران:٥٤.

(٦) سورة النساء:١٤٢.

(٧) معاني الأخبار: ص١٣.

ما يحتاج إليه الناس كملاً. فقال الله عزّ وجل: [مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ][1]، وأنزل في حجّة الوداع ـ وهي آخر عمره ﷺ ـ [اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا][2]. وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم يمضِ ﷺ حتى بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه. فمن زعم أنَّ الله عزّوجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم!. إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجل بها إبراهيم الخليل بعد النّبوّة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشار بها ذكره، فقال: [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] فـ [قَالَ] الخليل عليه السلام سروراً بها: [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] قال الله تبارك وتعالى: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ][3]، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة. ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيّة أهل الصّفوة والطّهارة، فقال: [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ][4]. فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله عزّ وجل النبي ﷺ، فقال جلّ وتعالى: [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ][5]. فكانت له خاصّة، فقلّدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله عزّ وجل على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيّته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله جلّ وعلا وقال: [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ][6]، فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ»[7].

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

(٢) سورة المائدة:٣.

(٣) سورة البقرة:١٢٤.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٢-٧٣.

(٥) سورة آل عمران:٦٨.

(٦) سورة الروم: ٥٦.

(٧) الكافي: ج١ ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

٢. تواضعه عليه السلام:

بلغ من تواضع الإمام عليه السلام أنَّه كان يُجالس الخدم ويآكلهم، ويأنس بهم ويؤنسهم. فعن عبد الله بن الصّلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرِّضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة. فقال عليه السلام: «مه، إنّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال»[١].

وكان في نيسابور على باب دار الإمام عليه السلام حمّام، فدخل عليه السلام الحمّام يوماً، وتقدّم إنسان رستاقي إلى الحمّام ورأى علي بن موسى الرضا عليه السلام، فظنَّ أنّه بعض خدام الحمّام. فقال له: قم فاحمل إليَّ الماء. فقام علي بن موسى عليه السلام وامتثل جميع ما كان يأمره[٢].

ودخل الإمام الرّضا عليه السلام يوماً حمّاماً. فبينما هو في مكان من الحمّام، إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال: صبّ على رأسي. فصبّ على رأسه، فدخل من عرفه فصاح: يا جندي هلكت وأهلكت[٣]، أ تستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!.

فأقبل الجندي يقبّل رجليه ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك.

فقال: «إنَّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه»[٤].

وحتى في اليوم الذي استشهد الإمام عليه السلام فيه لم يتخلَّ عن مآكلة الخدم وتفقدّهم. فعن ياسر الخادم، قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن عليه السلام، فدخلنا طوس وقد اشتدّت به العلّة، فبقينا بطوس أيّاماً، فكان المأمون يأتيه في كلِّ يوم مرتين.

فلما كان في آخر يومه الذي قُبض فيه كان عليه السلام ضعيفاً في ذاك اليوم. فقال لي بعدما صلّى الظهر: «يا ياسر، ما أكل الناس شيئاً».

فقلت: يا سيّدي، من يأكل هيهنا مع ما أنت فيه.

فانتصب عليه السلام ثم قال: «هاتوا المائدة». ولم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقّد واحداً واحداً، فلما أكلوا قال: «ابعثوا إلى النّساء بالطّعام». فحمل الطّعام إلى النساء، فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف

---

(١) الكافي: ج٨ ص٢٣٠.

(٢) راجع شرح إحقاق الحق: ج١٢ ص٣٥٤.

(٣) أي أهلكتنا.

(٤) الوافي بالوفيات: ج٢٢ ص١٥٦-١٥٧.

فوقعت الصّيحة[1].

٣. حلمه عليه السلام:

يكفي في حلم الإمام الرضا عليه السلام أنَّه تشفّع إلى المأمون في عيسى الجلودي، الذي تسبّب في سلب العلويات ولم يبقَ لهنّ سوى ثوباً واحداً. ففي التأريخ أنّ الجلودي عارض تنصيب الإمام عليه السلام كولي للعهد فحبسه المأمون، ثم استدعاه من السجن بعدما قتل اثنين قبله. فقال الإمام الرضاعليه السلام: «هب لي هذا الشّيخ». فظنّ الجلودي أنّه عليه السلام يريد الانتقام، فأقسم على المأمون أن لا يقبل قوله فيه.

فقال المأمون: والله لا أقبل قوله فيك، وأمر بقطع عنقه[2].

٤. سخاؤه عليه السلام:

قال إبراهيم بن العباس ـ في وصف الإمام الرّضا عليه السلام ـ: (وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدقه)[3].

ويقول اليسع بن حمزة: (كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه، وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم[4] فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، رجل من محبيك ومحبّي آبائك وأجدادك عليهم السلام، مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي، وما معي ما أبلغ مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله عليَّ نعمة، فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك، فلست موضع صدقة.

فقال عليه السلام له: «اجلس رحمك الله». وأقبل على الناس يحدّثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا، فقال: «أ تأذنون لي في الدخول؟».

فقال له سليمان: قدم الله أمرك. فقام عليه السلام فدخل الحجرة وبقي ساعة، ثم خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: «أين الخراساني؟».

فقال: ها أنا ذا. فقال: «خذ هذه المائتي دينار، واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عنّي، واخرج فلا أراك ولا تراني». ثم خرج، فقال له سليمان: جُعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟!.

فقال: «مخافة أن أرى ذلّ السّؤال في وجهه لقضائي حاجته، أ ما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٦١-١٦٢ ب٤٠ ح ٢٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج١ ص٩٠ ب٢٠ ح٢١٣.

(٤) الأدم: الأسمر.

يعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له. أما سمعت قول الأُوَل[1]:

متى آته يوماً لأطلب حاجة رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه [2]

الهجرة إلى خراسان

كانت سياسة الحكّام العبّاسيين إزاء العلويين هو القمع والبطش والنّيل منهم، والتّضييق عليهم بشتّى الوسائل؛ كي لا يطالبون بحقوقهم خاصّة السلطة. وكان الأمر يتّضح شيئاً فشيئاً للناس، ويعلمون بأنَّ الخلافة حقّ لأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وكانت الثورات تتبع بعضها بعضاً من قبل الطّالبيين وغيرهم.

أمّا في عصر المأمون الذي اشتهر بالدّهاء، فقد عمد إلى سياسة أخرى وهي سياسة امتصاص الغضب، وتكبيل العلويين من خلال استدعاء الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وإقحامه في السّلطة بشكلٍ صوريّ ممّا يوقع العلويين في الحرج.

وبالفعل فقد كتب المأمون إلى الإمام الرِّضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل. فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنّه لا محيص له، وأنّه لا يكفّ عنه، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر الجواد عليه السلام سبع سنين. فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس[3].

وقال الطبري: وجّه المأمون في سنة ٢٠٠ للهجرة إلى المدينة رجاء بن أبي الضّحّاك عم الفضل بن سهل، وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى الرضا[4].

وعن محول السجستاني، قال: لما ورد البريد بإشخاص الرّضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة. فدخل المسجد ليودّع رسول الله صلى الله عليه وآله، فودّعه مراراً كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنّحيب، فتقدمت إليه وسلّمت عليه، فردّ السلام وهنّأته. فقال: «ذرني فإنّي أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله وأموت في غربة، وأدفن في جنب هارون». قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس، ودفن إلى جنب هارون[5].

وعن الحسن بن علي الوشا، قال: قال لي الرضا عليه السلام: ((إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى

---

(١) المراد بهم القدماء الذين تقدم عهدهم.

(٢) الكافي: ج٤ ص٢٣-٢٤.

(٣) الكافي: ج١ ص٤٨٨-٤٨٩.

(٤) تاريخ الطبري: ج٧ ص١٣٢.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢١٧.

عيالي أبداً»[1].

وقد مرّ الإمام الرضا ﷺ في مسيره إلى خراسان على المناطق التالية:

١. مكّة المكرّمة.

٢. القادسية.

٣. النباج، وهي منطقة بين مكة والبصرة.

٤. البصرة.

٥. الأهواز.

٦. قنطرة اربق، وهي قرية برامهرمز.

٧. المفازة، وهي الفلاة التي لا ماء فيها.

٨. نيسابور، وقد روى الشيخ الصدوق ٦: إنّ الإمام الرضا ﷺ لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها: (الفروييني) فيها حمّام ـ وهو الحمّام المعروف اليوم بحمّام الرضا ﷺ ـ وكانت هناك عين قد قل ماؤها، فأقام عليها من أخرج ماؤها حتى توفّر وكثر، وأتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي[2] إلى هذه العين. فدخله الرضا ﷺ واغتسل فيه، ثم خرج منه وصلى على ظهره، والنّاس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلون على ظهره، ويدعون الله عزّ وجل في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا[3].

وعن الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: لما دخل الرّضا ﷺ نيسابور ونزل محلّة فوز ـ ناحية يعرفها الناس بالاسناد ـ في دار تعرف بدار بسنديده؛ وإنَّما سُمّيت بسنديده لأنَّ الرضا ﷺ ارتضاه من بين الناس. فلما نزلها زرع في جانب من جوانب الدّار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كلّ سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة، وعوفي أعمى وصاحب قولنج وغير ذلك. فمضت الأيّام على ذلك ويبست، فجاء حمدان وقطع أغصانها، ثم جاء ابن لحمدان يقال له: أبو عمرو، فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض فذهب ماله كلّه. وكان له ابنان يقال لأحدهما: أبو القاسم والآخر أبو صادق، فأرادا عمارة تلك الدّار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم، فقلعا الباقي من أصل تلك الشّجرة، فماتا في مدّة سنة[4].

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص٢١٧-٢١٨.

(٢) المراقي: جمع مرقاة وهي الدرجة.

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص١٣٥-١٣٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٤٤.

وعن ابن شهر آشوب: ولما نزل الرضا عليه السلام في نيسابور بمحلّة فوزاً أمر ببناء حمام، وحفر قناة وصنعة حوض فوقه مصلى، فاغتسل من الحوض وصلّى في المسجد، فصار ذلك سنة، فيقال: كرمابه رضا، وآب رضا، وحوض كاهلان.

والسبب في تسميته: أنّ رجلاً وضع هميانا على طاقه واغتسل منه، وقصد إلى مكّة ناسياً. فلما انصرف من الحج أتى الحوض فرآه للغسل مشدوداً، فسأل الناس عن ذلك فقالوا: قد آوى فيه ثعبان ونام على طاقه. ففتحه الرجل ودخل في الحوض وأخرج هميانه، وهو يقول: هذا من معجز الإمام، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: أي كاهلان، لئلا يأخذوها، فسُمّي الحوض بذلك كاهلان، وسُمّيت المحلة (فوز)؛ لأنّه فتح أوّلاً فصحفوها وقالوا: فوزاً.

وروي أنّه عليه السلام أتته ظبية فلاذت فيه، قال ابن حماد[1]:

الذي لاذ به الظبية والقوم جلوس

مَن أبوه المرتضى يزكو ويعلو ويروس[2]

٩. قرية الحمراء ويقال لها اليوم: ده سرخ. وقد صلى الإمام عليه السلام فيها الظهر، وظهرت منه فيها كرامة حيث حرك بيده الأرض فنبع منها ماء توضأ به هو ومن معه، وأثره باق إلى اليوم.

١٠. رباط سعد.

١١. سناباذ، وهي قرية بطوس. وغيرها.

وعلى كل فقد استدعى المأمون الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان لعدة أمور:

١. كي يقصيه عن مقرّ الطّالبيين وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. كي يكون تحت نظارته ورقابته.

٣. كي يقطع اتصال الناس والشيعة والعلويين به.

٤. كي يفرض عليه ولاية العهد التي إن قبلها يتلّوث ويفقد عقيدة الناس به، وإن رفضها يغتاله في دار الغربة.

٥. كي ينال شرعية بتسلّم الإمام عليه السلام ولاية عهده وقبوله إيّاها.

يقول المأمون نفسه في سر إصراره على قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد: (قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلى

---

(١) هو الشيخ الجليل الأديب أبو الحسن محمد المعروف بـ (ابن حماد)، من أفاضل الفيحاء ومشاهير شعرائها، وكان معاصراً للخليعي الشاعر. نظم أغلب شعره في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وله أكثر من مائتي قصيدة في حبهم. توفي بحدود سنة (٩٠٠هـ) ودفن في الحلة، وقبره يزار وهو مجاور لقبر الخليعي.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٤٨.

نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعرف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنَّه ليس ممّا ادعى في قليل ولا كثير، وأنَّ هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن ينفتق علينا منه ما لا نسدّه، ويأتي علينا منه ما لا نطيقه.

والآن فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا، وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوّره عند الرّعيّة بصورة من لا يستحقّ لهذا الأمر، ثم نُدبّر فيه بما يحسم عنّا مواد بلائه)[1].

حقائق عن ولاية العهد

المأمون العبّاسي وضمن خطّة مدروسة عرض ولاية العهد على الإمام عليه السلام أكثر من مرّة، وفي كلّ مرّة كان الإمام عليه السلام يرفض ويصر على عدم القبول إلى أن هدّده بالقتل فاضطّر عليه السلام مكرهاً إلى القبول.

ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

قال أبو الفرج:... فأرسلهما ـ يعني الفضل والحسن ابني سهل ـ إلى علي بن موسى، فعرضا ذلك ـ أي ولاية العهد ـ عليه فأبى. فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه.. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك وإلّا فعلنا بك وصنعنا. وتهدّده ثم قال له أحدهما: والله، أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد!.

ثم دعا به المأمون وتهدده فامتنع، فقال له قولاً شبيهًا بالتهديد. ثم قال له: إنّ عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدّك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابُدّ من قبول ذلك[2].

وفي بعض الأخبار أنّ الإمام عليه السلام قال للمأمون: «وإنّي لأعلم ما تريد».

فقال المأمون: وما أريد؟!.

قال: «الأمان على الصّدق».

قال: لك الأمان.

قال: «تريد بذلك أن يقول الناس: إنَّ علي بن موسى لم يزهد الدّنيا، بل زهدت الدنيا فيه أ لا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة».

فغضب المأمون وقال له: إنَّك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد آمنت سطوتي. فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلّا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلّا ضربت عنقك[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٧٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٣٧٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٩-١٤٠.

وقال الإمام عليه السلام في دعاء له: «... وقد أكرهت واضطررت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد»[1].

وقال عليه السلام في بيان السّرّ لقبوله لولاية العهد: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خيرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل ـ إلى أن قال ـ ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إجبار وإكراه، بعد الإشراف على الهلاك»[2].

وقال في جواب أبي الصّلت: «وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الأمر وأكرهني عليه»[3].

شرائط قبول ولاية العهد

بعد أن هدّد المأمون الإمام الرضا عليه السلام وتوعّده بالقتل إن لم يقبل ولاية العهد، اضطرّ الإمام عليه السلام أن يقبل ولاية العهد، ولكن بشرائط تبيّن للجميع أن قبوله كان عن كره، وأنّ ولاية العهد أمر صوري. وقد تصرّف الإمام عليه السلام بتصرّف حكيم لا يعطي أيّ شرعية للمأمون، وما يفعله من الظلم والجور.

ففي الخبر أنّ المأمون لمّا أصرّ عليه بقبول ولاية العهد قال: «على شروط أسألكها». قال المأمون له: سل ما شئت. فكتب الرضا عليه السلام: «إنّي داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى، ولا أفتي ولا أقضي، ولا أولي ولا أعزل، ولا أغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كله». فأجابه المأمون إلى ذلك كله[4].

عدم صدق المأمون

كما يظهر من الشّواهد التاريخية أنّ المأمون لم يكن صادقاً في عرضه للخلافة وولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام، وذلك لعدّة أمور:

١. إنَّ المأمون قَاتَل أخاه الأمين وانتزع منه الرّئاسة والملك بالقوة بعد أن قتله ونصب رأسه على بوّابة قصره، ممّا يدلّ على استماتته بالحكم والرّئاسة، فكيف يُقدّمها بكلِّ سهل ويسر للإمام الرضا عليه السلام وقد خاض الحروب لأجلها!.

٢. لو كان يريد توليته الخلافة واقعاً وتسليمه الأمور حقيقة، لماذا قبل أن يكون الإمام الرضا عليه السلام كولي للعهد وبشكل صوري، لا يعزل ولا يأمر ولا ينهي ولا يتدخّل في أيّ أمر من شؤون الحكومة؟!.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٩.

(٢) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٠٦.

(٤) الكافي: ج١ ص٤٨٩.

٣. ولماذا أمر بالإمام عليه السلام أن يأتي إلى خراسان ويترك مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فبإمكانه أن يكتب إليه وهو في المدينة بالخلافة وينتهي الأمر كلّه!.

٤. ولماذا أخذ يُهدّد الإمام عليه السلام بالقتل لو لم يقبل بولاية العهد؟!.

٥. ولماذا أخذ يجعل العيون والجواسيس على الإمام، ويمنع الشيعة من اللقاء به، وقام بسجن الإمام عليه السلام... وفي النهاية قتل الإمام عليه السلام بالسم!.

ثم إنَّ الإمام الرضا عليه السلام طرح على المأمون العباسي سؤالاً لم يجبه عليه حيث قال عليه السلام له: «إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك. وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك» [1].

وهكذا كان يعلم الإمام عليه السلام بمكر المأمون وخططه الشّيطانيّة.

شهادة الإمام الرضا عليه السلام

أخبر الإمام الرضا عليه السلام أكثر من مرّة عن مقتله مظلوماً مسموماً، وأنَّه سيُدفن بدار غربة، وفي أرض خراسان، وبجنب هارون.

عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إنّي سأُقتل بالسّمّ مظلوماً، وأقبر إلى جنب هارون، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبّتي. فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة» [2].

ومرّ عن محول السّجستاني، أنَّه قال: (لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله، فودعه مراراً كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب. فتقدّمت إليه وسلّمت عليه، فردّ السلام وهنّأته. فقال: «ذرني؛ فإنّي أخرج من جوار جدّي صلى الله عليه وآله، وأموت في غربة، وأدفن في جنب هارون». قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس، ودفن إلى جنب هارون)[3].

وعن الحسن بن جهم، قال: (حضرت مجلس المأمون يوماً، عنده علي بن موسى الرّضا عليه السلام، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة ـ وذكر أسئلة القوم وسؤال المأمون عنه عليه السلام وجواباته وساق الكلام إلى أن قال ـ فلمّا قام الرّضا عليه السلام تبعته، فانصرفت إلى منزله فدخلت عليه. وقلت له: يا ابن رسول الله، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي الأمير ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك!.

فقال عليه السلام:«يا ابن الجهم، لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي، والاستماع منّي، فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي.

---

(١) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٢ ص٢١٧.

أعرف بعهد معهود إليَّ من آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فاكتم عليَّ هذا ما دمت حياً».

قال الحسن بن الجهم: فما حدّثت بهذا الحديث إلى أن مضى الرضا عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم[1].

وقال الإمام عليه السلام للمأمون لما عرض عليه ولاية العهد: «والله لقد حدثني أبي عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسّمّ مظلوماً، تبكي عليّ ملائكة السّماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون». فبكى المأمون ثم قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟!.

فقال الرّضا عليه السلام: «أ ما إني لو أشاء أن أقول لقلت من يقتلني».

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنَّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنَّك زاهد في الدّنيا.

فقال الرّضا عليه السلام: «والله ما كذبت منذ خلقني ربي عزّ وجل»[2].

وبالفعل قام المأمون بسمّ الإمام عليه السلام، حيث ناوله بيده من ذلك العنب والرمان المسموم، فقضى الإمام عليه السلام مظلوماً شهيداً[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٠٠-٢٠٢.

(٢) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) ينظر عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٤٥-٢٤٦.

شهر ربيع
الأول

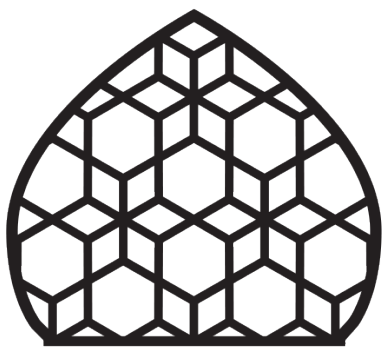

- مسؤوليات في عصر الغيبة
- أمية النبي صلى الله عليه وآله تهمة داحضة
- محنة الإمام الصادق عليه السلام

مسؤوليات في عصر الغيبة

محمد جاسم

إذا أردتَ النّجاح في تحقيق أمر ما، أو الوصول إلى غرض وهدف سامٍ، وكنت طالبًا له، فيجب أن تُعير له الأهمّيّة العليا ليكون محطّ اهتمامك ويأخذ مساحة كافية من تفكيرك، بل وحتى مشاعرك وتطلّعاتك، ولكن بشرط أن يكون ساميًا يستحقّ ذلك الذّوبان، حتى أنّك باهتمامك ستجد النّتائج تلوح لك بالأفق- النظرية والعملية- فتشعر بنموّها، وبعد مدّة تقطف ثمارها بعد أن نضجت عندك الحقائق بدلالات ملموسة وواقعية، وربما لا تكون هذه الإنجازات وليدة الآن، أو أنت الرّائد فيها؛ ولكن قد تحقّقت عند كثيرين، والفارق أنّها جاءت بعد الاهتمام الذي أشرنا إليه حتى أنّك تُكوّن لذاتك الشعور بالمسؤوليّة.

ونحن الآن نعيش في زمن غيبة المولى صاحب العصر والزّمان عجّل الله فرجه الشّريف، فما الذي يقع على عاتقنا في هذا الزّمن لكي نكون أهلاً للمسؤوليّة؟ فيجب علينا أن نُحدّد هدفنا، ونرسم طريقنا بأنفسنا وبسعينا بعد التّوكّل على الله تعالى والاستعانة به سبحانه، فالعاقل من يبحث عن سبل النّجاة في دنياه وآخرته. وعادة إذا صبّ المرؤ اهتمامه بأمرٍ ما فسيتعلّق كلّ كيانه به في جميع أوقاته، ويكون شغله الشّاغل، ومن الضروري بل الواجب أن يكون ذلك التعلّق بإمام زماننا من باب الشعور بالمسؤولية ومن باب الوفاء، فيجب على الجميع الوفاء لإمامه، ومن البديهيّ أنّ طلب رضا الإمام والفوز بنظرة منه تحتاج منّا أن نُؤدّي دورنا في الطّاعة لله تعالى في مختلف والأوامر والنّواهي الإلهية، فأعمال العبد هي التي توصله وتزيد من صفاء قلبه، وتدفع ميوله وتعلّقه بإمام زمانه، فيستوجب الالتزام بجميع العبادات والأوامر الإلهية كالصلاة والصيام والأمر بالمعروف النّهي عن المنكر والتولي لأهل البيت والتبري من أعدائهم، وكفّ الأذى عن المسلمين، ومساعدة المحتاجين، وغيرها الكثير من التعاليم والأخلاق المحمّدية الإسلامية التي تطهر بها النّفوس وتصلح بها النّوايا، فهذا دورنا في زمن الغيبة، والتمسك بديننا يشوبه بعض الصعوبات والمغريات ويحتاج للمجاهدة، فعن الإمام الصادق ﷺ: (إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّك فيها بدينه كالخارط لشوك القتاد بيده. ثم أطرق مليًّا ثمّ قال: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتّق الله عبد وليتمسّك بدينه) .

وكذلك على المنتظِر أن يعيش حالة من الشعور بأنَّه قد أُلقي عليه مهمَّة التّمهيد لظهور المهدي ﷺ، فإنَّ تنامي هذا الشعور عند المؤمن يخلق الأجواء المناسبة والمُمهّدة لظهور المهدي ﷺ، فما هي المسؤوليات الملقاة على الموالين في عصر الغيبة؟.

هناك مجموعة من المسؤوليات اتجاه الإمام المهدي ﷺ؛ من أهمها:

١. معرفة الإمام المهدي ﷺ:

إنَّ المعرفة العقائدية للإمام ﷺ تعدُّ أولى الواجبات؛ لأنَّ صحّة العمل والعبادة والسّلوك تعتمد على ذلك؛ وكذلك الخطوة الثّانية؛ ألا وهي التّعريف بشخص الإمام يعتمد أيضاً على هذه القضيّة؛ فالجاهل أو من يعيش في الظّلام لا يستطيع أن ينقل أو يشرح معنى النّور للآخرين.

عن الإمام الصادق ﷺ: « اعرف إمامك، فإنَّك إذا عرفت لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر»[١]، وقد فسرّت المعرفة في الحديث بالاعتقاد بإمامته.

وفي حديث آخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه، لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في الفسطاط »[٢].

ثم إنَّ تحصيل المعرفة والمعارف لا يكون إلَّا من خلال أهل البيت ﷺ وترك الطّرق الأخرى التي لم ينزل الله تعالى بها من سلطان، فأهل البيت أدرى بما فيه.

وممّا يؤسف له أنَّ البعض يتبع متاهات طويلة لا أوّل لها، ولا آخر، ويزعمها المعرفة الحقيقية، بل هي سراب يحسبه الظمآن ماءً دون أن يجده شيئًا.

وأهل البيت ﷺ قد نهوا عن الأخذ من غيرهم، ومن ذلك ما ورد عن يونس بن يعقوب أنَّه قال للإمام الصّادق ﷺ: سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام؟. فقال أبو عبد الله ﷺ: « ويل لهم إن تركوا ما أقول، وذهبوا إلى ما يريدون»[٣].

وعن الإمام الباقر ﷺ قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة»[٤].

وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: «ليس عند أحد من الناس حقٌّ ولا صواب، ولا

(١) الكافي: ج١ ص٣٧١.

(٢) المصدر نفسه: ج١ ص٣٧١ـ ٣٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ج١ ص١٧١ .

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٧٥ .

أحد من الناس يقضي بقضاء حق، إلا خرج من عندنا أهل البيت، وإذا تشعّبت بهم الأمور كان الخطأ منهم، والصّواب من علي ﷺ»[1].

٢. الانتظار الممدوح:

إنَّ الانتظار يمكن أن يكون على نوعين؛ تارة يكون ممدوحاً، وتارة أخرى مذموماً؛ أمّا الممدوح فهو ما كان صاحبه يشعر بلوعة فراق الإمام ﷺ؛ لكنه في الوقت نفسه يعمل بهدى الأئمّة ﷺ، فانتظاره ممزوج بالعمل والعبادة وإحياء أمر أهل البيت ﷺ، ويعيش مترقّبًا لظهوره المبارك.

وفي الدعاء:

« عَزيزٌ عَليَّ أنْ يجريَ عَلَيكَ دُونَهُم مَا جَرَى، هَلْ مِن مُعينٍ فَأُطيلَ مَعَهُ الْعَويلَ وَالبُكَاء؟ هَل مِن جَزُوعٍ فَأَسَاعِدَ جَزَعَهُ إذا خَلا؟ هَل قُذِيَتْ عَينٌ فَسَاعَدَتْها عَيْني عَلَى القَذَى؟ هَل إلَيكَ يَا بْنَ أحمدَ سَبيلٌ فَتُلْقَى؟ هَل يَتّصل يَومُنا مِنكَ بغَدِهِ فَنَحْظَى؟.

مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرّويَةَ فَنُرْوَي! مَتَى نَنْتَفِعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى! مَتَى نُغَادِيكَ وَنُرَاوِحُكَ فَنُقِرّ عَيْناً! مَتَى تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النّصْرِ تُرَى! أتَرَانَا نَحُفُّ بِكَ وَأنْتَ تَؤُمُّ الملأ وَقَدْ مَلأتَ الأرْضَ عَدْلاً! وَأذَقْتَ أعْدَائَكَ هَوَاناً وَعِقَابَاً! وَأبَرْتَ الْعُتَاةَ وَجَحَدَةَ الحَقّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ المتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين»[2].

ولنا في الإمام الصادق ﷺ أسوة، وهو العالم بما سيكون في الغيبة وكأنّه يعايشها في عصره.

يقول سدير الصّيرفي: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق ﷺ، فرأيناه جالسًا على التّراب وعليه مسح خيبري[3] مطوّق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التّغيير في عارضيه، وأبلى الدموج محجريه وهو يقول:

« سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي، سيّدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد، يفنى الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر[4]

---

(١) الفصول المهمة: ج١ ص٤٠٢-٤٠٣ ..

(٢) المزار: ص٥٨٢.

(٣) المسح بكسر الميم كساء من الشعر.

(٤) يفتر: أي يخرج بضعف وفتور.

من صدري عن دوارج الرّزايا وسوالف البلايا، إلا مثل بعيني عن غوابر[1] أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك».

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل[2]، وظنّنا أنّه سمت لمكروهة قارعة[3]، أو حلّت به من الدهر بائقة. فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أيّة حادثة تستنزف دمعتك[4] وتستمطر عبرتك؟! وأيّة حالة حتمت عليك هذا المأتم؟!.

قال: فزفر[5] الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه، واشتدّ عنها خوفه، وقال: «ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ـ وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا، والبلايا، والرّزايا، وعلم ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة الذي خصّ الله به محمّدًا صلى الله عليه وآله والأئمّة من بعده عليهم السلام ـ وتأمّلت منه مولد غائبنا وغيبته، وإبطائه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزّمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدّس ذكره: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)[6] يعني الولاية، فأخذتني الرّقّة، واستولت عليَّ الأحزان»[7].

٣. إيجاد القابليّة:

بناء النّفس، وتهذيبها، وتزكيتها، والتّسلّح بالعلم، والدّعاء، والتّوسّل بأهل البيت عليهم السلام من أفضل السّبل التي توجد القابلية في داخل النَّفس؛ لمواجهة الفتن والشّبهات التي يمكن أن تلقي من واجهها إلى الهاوية.

من فوائد الإمام عليه السلام

---

(١) الغوابر:: جمع غابر نقيض الماضي.

(٢) أي الحدث المهلك.

(٣) سمت لهم: أي هيأ لهم وجه الكلام والرأي.

(٤) استنزف الدمع: استنزله واستخرجه.

(٥) الزفر: الزفير، والفعل يزفر، وهو أن يملأ صدره غماً ثم يزفر به، والشهيق مد النفس ثم يزفر، أي: يرمي به و يخرجه من صدره. راجع كتاب العين: ج٧ ص٣٦٠ مادة زفر. وفي مجمع البحرين: ج٣ ص٣١٧ مادة زفر: وزفر زفيراً: أخرج نفسه بعد مدة أيام.

(٦) سورة الإسراء: ١٣.

(٧) كمال الدين: ج٢ ص٣٥٢-٣٥٤ .

وجود الإمام عليه السلام له فوائد عديدة، قد تخفى على كثير من الناس؛ ففي الخبر عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري أعلى الله مقامه يقول: لما أنزل الله عزوجل على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)[1]. قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟!.

فقال عليه السلام: « هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه منّي السّلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان».

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟.

فقال عليه السلام: « أي والذي بعثني بالنّبوة، إنَّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللها سحاب. يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلا عن أهله»[2].

وفي الحديث الشريف المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « إنَّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه، وأنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. فقال: إنَّ هذا حق، كما أنَّ النّهار حقّ، فقيل: يا بن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الإمام والحجّة بعدي، فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة»[3].

وفي الخبر عن أبي حمزة الثّمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليهما السلام: « أي البقاع أفضل؟».

فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال لنا: « أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنَّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»[4].

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) كمال الدين: ج١ ص٢٥٣ .

(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٤٦ ..

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٤٥.

وفي الزيارة الجامعة: «وبموالاتكم تقبل الطّاعة المفترضة، ولكم المودّة الواجبة»[١].

وفي دعاء النّدبة: «واجعل صلاتنا به مقبولة»[٢].

ومن هذه الأحاديث وغيرها يظهر أنَّ قبول الأعمال مرتبط بولاية آل محمد صلوات الله عليهم.

كما أنَّ بركات الأرض والسَّماء مرتبط هبوطها بالمعصوم ﷺ؛ ففي زيارة الإمام الحسين ﷺ: « بكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث»[٣].

وعن الإمام الصادق ﷺ: « بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عُبد الله»[٤].

وعن الإمام زين العابدين ﷺ: « وبنا ينزل الله الغيث، وتنشر الرّحمة، وتخرج بركات الأرض»[٥].

وكذلك من فوائد وجود الإمام دفع البلاء؛ ولولا وجود المعصوم ﷺ لساخت الأرض بأهلها؛ إضافة لذلك فإنَّ دعاء الإمام ﷺ لشيعته في كل يوم يوجب رفع البلاء عنهم.

قال الإمام الرضا ﷺ: « لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خاف، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»[٦].

وعن الإمام الباقر ﷺ: « ونحن الذين بنا تنزل الرّحمة، وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقَّنا وأخذ بأمرنا فهو منَّا وإلينا»[٧].

وقال الإمام الحجة عليه السلام مخاطباً الشيخ المفيد أعلى الله مقامه: « كأنّهم لا يعلمون أنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء»[٨].

فالإمام المعصوم ﷺ وسيلة إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ][٩].

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١٣٢ .

(٢) المزار: ص٥٨٤ الدعاء للندبة.

(٣) الكافي: ج٤ ص٥٧٦-٥٧٧.

(٤) م.ن: ج١ ص١٤٤ ..

(٥) ينابيع المودة: ج٣ ص٣٦٠ .

(٦) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٥ .

(٧) بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٤٩ .

(٨) الاحتجاج: ج٢ ص٤٩٧.

(٩) سورة المائدة: ٣٥.

وقال عزّوجل: [فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا] [1].

وكم هم الذين نالوا حوائجهم ببركة التَّوسّل بإمام الزّمان عليه السلام، ويشهد لذلك القصص الكثيرة التي لا يخلو منها زمان ما؛ ولذا نحن ندعو بـ: « وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك، وفوزًا عندك، واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعاءنا به مستجاباً»[2].

وهناك العديد من الفوائد الأخرى منها؛ هداية العباد، وبيان الأحكام؛ وإغاثة الملهوف، ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام ـ في صفات الإمام المعصوم عليه السلام ـ قال: «مفزع العباد في الداهية النآد»[3] أي الأمور العظيمة.

وفي الدعاء عند نزول سرداب الغيبة: « اللهم صل على محمد وآله الذين فرضت علينا طاعتهم، وعرّفتنا بذلك منزلتهم، ففرّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك. يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، انصراني فإنّكما ناصراي، واكفياني فإنكما كافياي، يا مولاي يا صاحب الزمان، الغوث الغوث الغوث،أدركني أدركني أدركني»[4].

ومنها أيضاً سعة الرّزق، والدّعاء للموالين؛ ففي الحديث أنّ الإمام السّجّاد عليه السلام قال لأمّ فروة بنت القاسم: «إنِّي لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرَّة»[5].

وفي حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: « إنّا لنفرح لفرحكم، ونحزن لحزنكم، ونمرض لمرضكم، وندعو لكم فتدعون فنؤمّن»[6]. وفي دعاء الندبة نقول: «وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك»[7]. وعن ابن طاووس أعلى الله مقامه، أنَّه سمع سحرًا في السرداب عن صاحب الأمر عليه السلام أنّه يقول: « اللهم إنَّ شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوبًا كثيرة اتكالاً على حبّنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنة، وزحزحهم عن النّار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك»[8].

---

(١) سورة المزمل: ١٩، سورة الإنسان: ٢٩.

(٢) المزار: ص٥٨٤.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٠٠.

(٤) المزار: ص٥٩١.

(٥) الكافي: ج١ ص٤٧٢.

(٦) بصائر الدرجات: ص٢٦٠.

(٧) المزار: ص٥٨٤.

(٨) بحار الأنوار: ج٥٣ ص٣٠٢.

أمّيّة النّبي ﷺ
تهمة داحضة

الباحث علاء حسين جبر

المقدمة

الحمد لله الذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتاب، وأبان ما ترتّب عليها من الشّقاوة والهلاك في الدّنيا والآخرة، ليعتبر بذلك أولو الألباب، وحدّد بداية الانحراف عن الدّين وأسبابه، لِتُحذَرَ وتُجتَنبَ تلك الأسباب، وكرّه إلينا الأخذ بسبل الضّالين والمغضوب عليهم كما نقرأه صباحاً ومساءً في أم الكتاب، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدّعوة إلى التّوحيد، وختم حياته وهو يحذّر من الشّرك والتّنديد، صلاة وسلامًا دائمين مستمرّيْن إلى يوم الوعيد، وعلى آله الأطهار، الذين فقهوا إشارته، وطبّقوا عباراته، فساروا على منهاج النّبوّة، فما انحرفوا عنه ذات يمين ولا يسار، وما تخلوا منه عن قليل ولا كثير، ولا نقير ولا قطمير.

لقد شكّلت السّيرة النّبويّة الشّريفة محور اهتمام المسلمين على مرّ العصور؛ كونها تُمثّل الرّافد الثاني لأحكام حياتهم، وما تمثّله من سيرة القدوة الأول في نفوسهم، ومن خلال ذلك الاهتمام برزت مسألة شغلت حيّزًا من الفكر عند المسلمين، ووقع الخلاف فيها، ألا وهي اتهام النّبي ﷺ بأنّه كان أمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، وقد استغلّ بعض أهل الدّيانات والفرق هذه التّهمة – مع عدم ثبوتها – لتكون مدخلاً للطعن في شخصيّة الرّسول المصطفى ﷺ، لذلك فقد وجدت أنَّ من الواجب الرّدّ على هذا الاتهام، وإثبات بطلانه من خلال نقل ما جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والمروّيات التاريخية التي دلّت على عدم صحّة هذا القول، فكان البدء بتعريف معنى الأمّيّة وفقًا لآراء أهل اللغة، ثم إثبات الكتابة والقراءة، ووجود الصّحف والكتب لدى الأنبياء السابقين ﷺ، ثم استعراض أدلّة القائلين بأمّيّة النبي ﷺ، وانتهاء بنفي أمّيّة النّبي ﷺ، وإثبات علمه، وذلك بنقل الآيات، والأحاديث، والوقائع التاريخية الدّالّة على القراءة والكتابة للنبي ﷺ مع منع إظهار ذلك، وصولاً إلى الوقائع التي ثبت فيها كتابته بيده الشّريفة.

المبحث الأول

معنى الأمّيّة والمسار التاريخي لعلم الأنبياءﷺ

المطلب الأوّل: معنى الأمّيّة

إنَّ للأمّيّة كغيرها من الألفاظ المتداولة في اللغة العربية أكثر من معنى، وقد اختلفت تلك المعاني باختلاف أقوال أصحاب اللغة فيها، فانقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: القائلين بأنَّ المراد بالأمّيّة هي عدم معرفة الكتابة حصرًا، دون القراءة، فقيل: (مَعْنَى الأُمِّيّ المَنْسُوب إلى مَا عَلَيْهِ جَبَلَتْه أُمُّه أَيْ لَا يَكتُبُ، فَهُوَ فِي أَنه لَا يَكتُب أُمِّيٌّ، لأَن الكِتابة هِيَ مُكْتَسَبَةٌ فكأَنه نُسِب إلى مَا يُولد عَلَيْهِ أَيْ عَلَى مَا وَلَدَته أُمُّهُ عَلَيْهِ)[1].

القسم الثاني: القائلين بأنَّ المراد بالأمّيّة هي عدم معرفة الكتابة، والقراءة معاً، فقيل: (الأُمِّيُّ: الذي لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ)[2].

وزاد بعضهم فقال: (وقيل للذي لا يكتب ولا يقرأ أمّيّ؛ لأَنَّه على حيلته التي ولدته أمّه عليها، والكتابة مكتسبه متعلّمه، وكذلك القراءة من الكتاب)[3].

ولهذا فقد اشتهر القول بأمّيّة الذي لا يقرأ، ولا يكتب منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، وهذا ما دفع بعض المعاجم المتأخّرة إلى اعتماد هذا القول والتثبيت عليه، وقد ذهب غير واحد من اللغويّين إلى القول بأمّيّة قليل الكلام، ومن في لسانه عجمة، فقال: (أُمِّيّ: لأَنَّه على مَا وَلَدَتْهُ أُمُّه عَلَيْه من قِلَّة الكَلام وعُجْمَةِ اللِّسان)[4].

إلَّا أنَّ هنالك من يرى أنَّ الأمّيّة لم تنحصر بصفة القراءة والكتابة فحسب، وإنَّما جاءت بمعانٍ كثيرة مضافة إلى معناها هذا، فقد وردت كوصف للعرب تارة، فقيل: (قِيلَ لِلْعَرَبِ الأُمِّيُّون لأَن الكِتابة كَانَتْ فِيهِمْ عَزِيزة أَو عَديمة)[5].

كما جاءت وصفاً لمن ليسوا من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى فقيل: (أُمّيّ: مفرد: من ليس من أهل

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقى (ت٧١١هـ-١٣١١ م)، لسان العرب،ط٣(دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ)ج١٢ص٣٤.

(٢) ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني المشهور بالصاحب(ت٣٨٥هـ-٩٩٥ م)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن ال ياسين، ط١(عالم الكتب،١٤١٤هـ -١٩٩٤م)ج ٢ص ٤٨٧.

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور(ت٣٧٠هـ- ٩٨١ م)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: محمد جبر الألفي، ط١(وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م)ص٧٧.

(٤) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت ١٢٠٥هـ- ١٧٩٠ م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١(دار الفكر – بيروت، ١٤١٤ هـ)ج١١ص ٢٣٨.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢ص٣٤.

الكتاب)[1].

وقد وردت كوصف لأصل العرب، فقيل: (أُمِّيٌّ: لأَنَّه نُسِبَ إلى أُمِّ العَرَبِ أي أَصْلِهم)[2].

مما تقدّم يتّضح أنَّ لفظ الأميّ ليس مخصوصًا بمن لم يكن يحسن القراءة والكتابة، بل يشتمل على معان أخرى، وإنَّما أردنا التّفصيل في ذلك؛ لأنَّ أدلّة البحث تبتني على هذه الأسس التي تؤيّد القول بأنَّ الإطلاقات اللفظية القرآنية لم تكن تحدّد صفة عدم القراءة والكتابة للنبي ﷺ، وإنَّما جاءت ناظرة إلى معان أخرى، سنفصّلها في محلها.

المطلب الثَّاني: مسار علم الأنبياء عليهم السلام

من خلال تتبع تاريخ الرّسل والأنبياء عليهم السلام السّابقين يتّضح لنا جليًّا أنَّهم كانوا نخبة مجتمعاتهم في كلّ المجالات، وذلك كونهم قد امتازوا على أقوامهم في جوانب النّسب الطّاهر، والأصل الشّريف، والعمل الصّالح، وخلوهم من كلّ نقص خَلقي أو خُلقي أو رذيلة ممكن أن تكون سببًا لنفور الناس عنهم، وهذا أمر قد أصّل له علماء الكلام في مجال القول في عصمة الأنبياء وصفاتهم.

وعليه فقد جاءت صفاتهم قريبة من الكمال البشري، حاملين بذلك أعلى الصّفات الحميدة، من شجاعة ونبل وعفّة، إضافة إلى الصّفات المكمّلة للشخصية القيادية، والتي تشمل صفات الشّجاعة والإقدام والبسالة والفروسيّة، مضافًا إلى كلّ ذلك تمتعهم بالذّكاء والعمل المنتج، وكصفة أساسية في شخصيّتهم يتمّ من خلالها دعوة الناس إلى عبادة الخالق، وتعليم أقوامهم شرائع دينهم، كان لابُدّ أن يكونوا على درجة من العلم، وأوّل ذلك العلم هو لغة المحاورة، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3].

كما يلاحظ أيضًا ومن خلال تتبّع سيرة الأنبياء عليهم السلام، أن أكثرهم قد اشتملت دعوته على تشريعات وأحكام سماويّة، جديدة وناسخة لما قبلها وخصوصًا أولو العزم منهم، استوجب ذلك أن تكتب في صحف تارة، وفي ألواح تارة أخرى.

قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[4].

فثبوت أنَّ للأنبياء عليهم السلام السابقين كُتبًا خاصّة أمر مفروغ منه، والسّؤال هنا: هل كانت هذه الكتب على شكل مواد

(١) عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)ج١ص١٢١.

(٢) ابن عباد، المحيط في اللغة، ج ٢ص ٤٨٧.

(٣) سورة ابراهيم، الآية:٤.

(٤) سورة الحديد، الآية:٢٥.

مادّيّة كتبت فيها هذه التعاليم؟، أم إنَّ المراد بها كما أريد بالقرآن الكريم في قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)[1].

والجواب هو أنها كانت صحفا مادية، ويدل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)[2]. فإن قيل إنَّ المراد بتلك الصّحف هو نفسه الذي أريد بالكتاب والفرقان والقرآن، وكلّها جاءت لوصف الكلام الإلهي الموحى به إلى الرّسول ﷺ وليس المراد به القرآن المادّيّ المكتوب في القراطيس؟.

قلنا إنَّ الفرق واضح بينهما، وذلك لما دلّت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ)[3]. فما هاهنا إلى ألواح مادّيّة كان يحملها، والدّليل الأوضح، قوله تعالى بعدها: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[4]. وهنا عاد وأخذها بعد أن سكت عنه الغضب، إضافة إلى التّوضيح بأنَّ في نسختها هدى ورحمة، وهذا دليل على ما كتب فيها من تشريع فيه رحمة وهداية للبشر، وعليه فقد ثبت أنّ الصّحف المشار إليها في الآيات الكريمة التي تختصّ بصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام إنَّما أريد بها الصّحف المادّيّة التي يكتب فيها ويقرأ منها، وهذا واضح ممّا تقدّم، وهنا يأتي السّؤال الأهم: فهل يحمل الرّسل صحفًا مكتوبًا فيها تشريع وهم لا يقرأون؟، فيأتي الجواب دون أدنى شكّ أنَّهم كانوا يقرأون بدليل حملهم لتلك الصّحف.

والدّليل الآخر، قوله تعالى: (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)[5]. وقد ورد تفصيل القول في أنَّ الزّبور كان كتابًا، فقيل: (واشتقاقه من زَبَرْتُ: أي: كتبتُ وزَبَرْته: قرأتهُ، وَزَبرْته: حسَّنت كتابتَه، وزَبَرْته: زَجَرته . فزبور – بالفتح – فَعُول بمعنى مفعول – كالركوب بمعنى: المركوب – والحلوب – بمعنى المحلوب – والمعنى: الكُتُب المزبورة، أي: المكتوبة، والزُّبُر:جمع زبور، وهو الكتاب)[6].

قال امرؤ القيس: (لِمَنْ طَلَلٌ أبصَرْتُهُ فَشَجانِي ... كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِي)[7].

إذن فزبور داود عليه السلام أيضاً كان على شكل كتاب، فهل يمكن أن يحمل نبيٌّ كتابًا، وهو لا يتمكّن من القراءة فيه؟ .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية:٤٩.

(٢) سورة الاعلى، الآيتان:١٨-١٩.

(٣) سورة الاعراف، الآية:١٥٠.

(٤) سورة الاعراف، الآية:١٥٤.

(٥) سورة النساء، الآية:١٦٣.

(٦) النعماني، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي(ت٧٧٥هـ- ١٣٧٣م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١(دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م)ج٦ص٩٦.

(٧) امْرُؤُ القَيْس، بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار(ت ٨٠ ق هـ- ٥٤٥م)، ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢(دار المعرفة – بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)ص١٥٨.

والدليل الآخر أشدّ قوّة مما سلف، فإنَّه يثبت الدّراسة والكتابة لنبي قبل زمان نوح عليه السلام وهو ما ورد في قصّة النّبي إدريس عليه السلام، فقد ذكر في سبب تسميته بهذا الاسم القول: (سمّي إدريس لكثرة درسه الكتب يعنى كتب الله (عزوجل) وحكمه وهو أوّل من خطّ بالقلم ... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنزل الله (عزوجل) على إدريس ثلاثين صحيفة)[1].

وهذا التَّصريح بكثرة الدّراسة والخطّ بالقلم لهذا النّبي عليه السلام، مضافًا إلى ثبوت نزول ثلاثين صحيفة عليه لا يدع مجالا للشك في معرفة الأنبياء عليهم السلام للقراءة والكتابة كأبسط مؤهّلات يمكن أن تتوافر في شخصية النبي صلى الله عليه وآله، وقد أسلفنا القول في أهمّيّة كمال شخصيّتهم عليهم السلام في مجتمعاتهم وزمانهم، فإنَّ وجود من هو أكثر علماً ولو بمجرد معرفة الكتابة والقراءة من بين أهل زمان ذلك النبي صلى الله عليه وآله، يعدّ طعنًا في شخصه، ومثاراً للشك في ادّعائه للنبوّة، وحادثة اتباع النبي موسى عليه السلام للخضر عليه السلام، أدلّ دليل على ذلك[2].

مما تقدَّم من أدلّة اتضح لنا جليًّا معرفة الأنبياء عليهم السلام لهذه المعرفة الجزئيّة البسيطة قياسًا بعلومهم التي شملت ما كان وما يكون، وكخاتمة لهذا الاستعراض، ولكي لا نبخس حقّ أنبياء آخرين لم نذكرهم في هذا الاستعراض السريع، وزيادة في الأدلّة، ننقل هنا رواية شريفة دلّت على نزول أكثر من هذا العدد من الصحف، فعن أبي ذر الغفاري (عليه الرحمة والرضوان)[3]، في حديث طويل، قال: (قلت: يا رسول كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى نبي الله إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان)[4].

وقد ظهرت تسمية الرّواية للمنزل صحفًا وعدّدت تلك الصحف، فلو لم تكن صحفًا مكتوبة وكانت كلامًا قد أوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، لما أمكن إحصاء عددها، فلربّما كتب ذلك الإيحاء بأقلّ أو أكثر من ذلك العدد، وهذا يتبع حجم الخطّ، وأسلوب الكاتب.

وأكثر من ذلك، فقد أثبتت الرّواية السَّابقة نزول صحف على من هو أقدم من النبي إدريس عليه السلام، فقد ذكرت نزول الصحف على شيث عليه السلام، ومعروف أنَّه كان وصيّ آدم عليه السلام، أي أنّه يعدّ – وفقًا للرّواية – أقدم من نزلت

---

(١) الجزائري، نعمة الله بن محمد بن عبد الله الموسوي(١١١٢ هـ - ١٧٠١م)، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، ط١(دار المرتضى، بيروت- لبنان،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)ص٧١.

(٢) أنظر: الجزائري، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، ص٣٠٢.

(٣) هو جندب بن جنادة الغفاري أبو ذر رحمه الله، وقيل: جندب بن السكن، وقيل: إسمه برير بن جنادة مهاجري، مات في زمن عثمان بالربذة، انظر: الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني،ط١(مؤسسة النشر الاسلامي التابعه لجماعة المدرسين، قم المقدسة)ص٣٢.

(٤) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بويه القمي (ت٣٨١هـ-٩٩١م)، معاني الاخبار، تحقيق: علي اكبر الغفاري، ط١(مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)ص٣٣٢.

عليه صحفًا من السَّماء .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنَّ مما دلّ على كتابتهم ﷺ، ورود القول بتقسيم كتبهم على شكل أجزاء، وأنَّ كلّ جزء قد اشتمل على أمر معيّن مختلف عمّا سبقه، وما هو لاحق به.

والخبر في ذلك قد ورد بالقول: (نزل الله الزّبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة جعله ثلاثة أثلاث، فثلث في الأوّل فيه ما يلقون من بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل، وفي الثّلث الثَّاني، ما يلقون من أهل الثور، وفي الثلث الثَّالث مواعظ وترغيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم)[1].

والدَّليل هنا لا يحتاج إلى مزيد توضيح، فلو لم تكتب هذه الخمسين ومائة سورة في صحائف أو قراطيس أو ما شابه، فكيف أمكن الاستفادة ممّا جاء فيها من أخبار، مع علمنا بأنّها تمثل أخبارًا إلهيًّا غيبيًّا، مضافًا إلى كونها ممّا يعدّ علمًا مقدّسًا كونه من الخالق العظيم.

وعلى هذه القواعد تبتني عقيدة المسلم الحقّة، والتي تؤمن بكون الأنبياء على درجة عالية من العلم والفهم، وإن الله تعالى قد منحهم كلّ الوسائل والإمكانات التي تعينهم على أداء رسالاتهم.

فهل كانت القراءة والكتابة من الأمور التي يصعب أن يهبها الخالق عزّ وجل لأوليائه الذين جنّد لهم ملائكة السماء والجن يخدمونهم ويعملون بين أيديهم؟، وإذا شكّلت هذه الخاصّيّة أداة لهدي البشرية إلى طريق الحق فهل ستحجب عن النبي خوفًا من أن يتّهم فيها؟.

المبحث الثاني

أمّيّة النّبي بين النّفي والإثبات

المطلب الأوّل: أمّيّة النبي ﷺ وأدلة القائلين بها

لقد اعتمد أغلب القائلين بأمية النبي ﷺ على الآيات التي توحي لقارئها بأنها ناظرة إلى إثبات الأمية للنبي ﷺ، وهذا ما دفع إلى تأصيل هذه القناعة في نفوسهم، ومن ثم تحويلها مع مرور الزمن إلى حقيقة ثابتة لا تقبل الشكك او الزوال، مما جعلها ومن خلال الانتقال على السنة الناس أمراً واقعاً عند الكثير من المسلمين .

فمن الآيات التي اوحت بتلك الصورة، قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ)[2].

فقد روي في تفسيرها: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ

---

(١) الجزائري، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، ص٣٥٨.

(٢) سورة الاعراف، الآية:١٥٧.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هُوَ نَبِيُّكُمْ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَا يَحْسِبُ)[1].

وقد دعموا هذا التفسير من خلال نقل رواية تحمل المعنى نفسه، جاء فيها: (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا)، حَتَّى ذَكَرَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، قَالَ إِسْحَاقُ: وَطَبَّقَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَحَبَسَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ)[2].

والعجيب الغريب في هذه الرواية أنَّ لفظها يقول: (وَلَا نَحْسُبُ)، ومن ثم يصف كيفية حسابه ﷺ للثلاثين يوما من خلال فتح أصابع كلتا اليدين ثلاثة مرات لتمثل ثلاثين يومًا، وحبسه الإبهام في الثالثة لتكون تسعة؟!، فاذا كان الذي لا يعرف الحساب يصف الأرقام بهذا الشكل، فما هو شكل الذي يعرف الحساب برأيكم ؟.

ومن الآيات التي استدلوا بها على مطلبهم أيضًا قوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[3].

فقد جاء في تفسيرها القول: (يقول تعالى ذكره: (وَما كُنْتَ) يا محمد (تَتْلُوا) يعني: تقرأ (مِنْ قَبْلِهِ) يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك (مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنّك كنت أمِّيًّا)[4]، وسيأتي الرّدّ مفصّلًا على هذا التّفسير في مكانه .

ومن أهمّ الحوادث التّاريخية التي استدلّ بها البعض، حادثة الكتاب في صلح الحديبية[5]، فقد روي: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلاَثَ لَيَالٍ، وَلاَ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، وَلاَ يَدْعُوَ مِنْهُمْ أَحَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، فَقَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ الله لَمْ نَمْنَعْكَ وَلَبَايَعْنَاكَ، وَلكِنِ اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، فَقَالَ: (أَنَا وَالله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، وَأَنَا وَالله رَسُولُ الله)، قَالَ: وَكَانَ لاَ يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ لِعَلِيٍّ: (امْحَ رَسُولَ الله)، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَالله لاَ أَمْحَاهُ أَبَدًا، قَالَ: (فَأَرِنِيهِ)، قَالَ: فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ)[6]، فاستدل القائل على أنَّه لا يقرأ، من قوله (ارنيه)، فقال: لو كان

---

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت٥١٠هـ-١١١٦م)، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١(دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ)ج٢ص٢٣٨.

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ- ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،ط١(مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)ج٩ص ١٣٨ح ٥١٣٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية:٤٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت٣١٠هـ- ٩٢٣م)، تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١(مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)ج٢٠ص٥٠.

(٥) أنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي(ت٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١(دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م)ج٤ص١٩٥.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت ٢٥٦هـ -٨٧٠م)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١(دار طوق النجاة، ١٤٢٢ه)ج٤ص١٠٣ح٣١٨٤.

يقرأ لما احتاج إلى أن يريه الكلمة شخص آخر، ولعرفها من تلقاء نفسه، والرّدّ على هذا الادّعاء لا يحتاج إلى مزيد عناء، فإنَّ أيّ متتبّع لهذه الرّواية، وفي أغلب كتب الحديث، بل حتّى في المصدر نفسه الذي وردت فيه بهذه الصّيغة، يجد العشرات من الرّواة قد نقلوها بلفظ: (فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ أَنْ يَكْتُبَ، فَكَتَبَ مَكَانَ رَسُولُ الله: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله)[1].

فهل هنالك أصرح من هذا اللفظ؟، لكن رضا المعاند غاية لا تدرك.

والحادثة الأخرى وهي الأشهر والتي تشبّث بها القائل بالأمّيّة، هي ما جاء في السيرة النبوية في وصف نزول الوحي أوّل مرّة، فقد ورد الخبر فيها بالقول: (قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[2]،

قَالَ: فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا)[3].

وأيضاً الرّدّ على هذه الشبهة كسابقاتها لا يحتاج إلى الخوض في معاني الألفاظ وعلوم اللغة، إذ إنَّ أبسط تحليل لحيثيّات الحادثة يدلّك على أنَّ لفظ: (مَا أَقْرَأُ)، والذي ورد لمرّتين، ولفظ: (مَاذَا أَقْرَأُ)، الذي ورد مرتين أيضاً، إنَّما يدلّ على استفهام المأمور بالقراءة، وليس اخبار عن عدم الإمكانية على القراءة، أو أخباراً عن العجز عنها، فلو كان الأمر كذلك، لوجدنا الرّدّ بالشكل التّالي: (لا أَقْرَأُ)، ليفهم المخاطب أنَّ الذي يريد منه القراءة عاجز عن أدائها ليكفّ عنه، إلَّا أنَّ الرّدّ جاء بصيغة الاستفهام لعدم وجود ما يقرأ بين يدي المأمور، فوجب الاستفهام لمعرفة ذلك.

إنَّ ممّا يؤسف عليه شديد الأسف، إنَّ هذه الأفكار والصّور البعيدة كلّ البعد عن شخصيّة النّبي المصطفى ﷺ، قد تسرّبت إلى شخصيّات علميّة تعدّ مراكز لنشر الفكر الإسلامي الصَّحيح، مما أدّى إلى تحوّلها – وربما بدون شعور منها– إلى أداة لتشويه تلك الصّورة لتلك الشّخصيّة المقدّسة عند المسلمين، فنجد من علمائنا من ينقل

---

(١) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٠ص ٥٩٤ح ١٨٦٣٥.

(٢) سورة العلق، الآيات:١-٥.

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ-٨٢٨ م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)ج١ص٢٣٧.

النّص مؤكّدًا أمّيّة النّبي ﷺ، فيقول: (الأميون جمع أمّيّ و هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، والمراد بهم - كما قيل - العرب لقلّة من كان منهم يقرأ ويكتب وقد كان الرسول ﷺ منهم أي من جنسهم، وهو غير كونه مرسلاً إليهم فقد كان منهم وكان مرسلاً إلى الناس كافة ... وقوله: يتلوا عليهم آياته، أي آيات كتابه مع كونه أمياً)[1]، وهذا إصرار عجيب على تأكيد الأمّيّة له، مع ما يتوفر من أحاديث المعصومين الصّريحة والتي تؤكّد عكس ذلك .

المطلب الثّاني: نفي أمّيّة النّبي ﷺ وإثبات علمه

بعدما قدّمنا من تفصيل في أدلّة القائلين بأمّيّة النّبي ﷺ، نقدّم الآن الأدلّة على بطلان ما جاء به من تقدّم ممن قال بهذا القول، ونثبت -إن شاء الله تعالى- علميّة الرّسول الأعظم ﷺ، وسيكون الإثبات بأسلوب طرح الدليل ومن ثم بيان بطلانه، ودعم دليل البطلان بدليل مساند له .

الأول: استدلالهم بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ)[2]، فإنَّ المراد بالأمّي هنا ليس الذي لا يقرأ ولا يكتب كما زعموا، وإنّما أريد به العربي، والدَّليل على ذلك بقولين:

الأوّل: القول إنَّ: (نسب الأُمي إلى أمة الْعَرَب حِين كَانُوا لَا يُحسنون الخطّ ويخطّ غَيرهم من سَائِر الْأُمَم، ثمَّ بَقِي الِاسْم وَإِن استفادوه بعد)[3]، ولما كانت الأمية أمراً خفياً، والله تعالى يأمرهم هنا بأتباعه، فكيف يمكن الاستدلال عليه، وصفته خافية لا يعلمها احد؟، وهل ورد في التوراة والانجيل وصفه بالأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب؟، وعليه فالقول بأن المراد به العربي يكون ادق واصدق، وذلك من خلال إمكانية الاتباع لنبي يظهر في بلاد العرب، وهذا ما وقع فعلاً.

وأمّا الثاني: فالقول بأنَّ نسبة الأمّي إنَّما جاءت نسبة إلى مشركي العرب الذين لا كتاب لهم، وهذا أيضاً يشير إلى أنَّ المراد به العرب من أهل مكَّة، حيث ورد في تفسير قوله تعالى: (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا)[4].

فقيل: (للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى، والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب)[5]، مضافاً

---

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين(ت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، الميزان في تفسير القرآن،ط١(مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - ١٩٩٧م) ج١٩ص ١٤٥.

(٢) سورة الاعراف، الآية:١٥٧.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت٥٣٨- ١١٤٣م)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢(دار المعرفة - لبنان)ج١ص٥٦.

(٤) سورة ال عمران، الآية:٢٠.

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ج٦ص ٢٨١.

إلى القول بأنَّ المراد بالأمّيّ نسبة إلى خصوص مكّة، فقيل: (وَقِيلَ: نُسِبَ إلى أُمِّ الْقُرَى، وَهِيَ مَكَّةُ)[1]، وعليه فأنَّ الأقوال المتقدّمة تحصر التسمية أما بالعرب، واما بمكة أو بأهلها، وهذه النسبة بعيدة كل البعد عن ما يخص القراءة والكتابة .

الثاني: استدلالهم بقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[2]، والمراد هنا عدم العادة له في كتابة الكتب التي تتعلق بالدّيانات، ولا تلاوتها، وقد استدلّ به أكثر من قائل، فقيل: (المراد بالآية نفي العادة والممارسة لا نفي القدرة، فإنَّ المراد: ما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ولا كان من عادتك أن تخطّ كتاباً أو تكتبه أو ما كنت تمارس قراءة كتب الأديان السابقة، وهو يكفي في نفي الارتياب وإثبات صحّة القرآن، وعدم كونه تلفيقًا من كتب السّابقين)[3].

بل وأكثر من ذلك فقد استدلّ أحد علماء العامّة على إثبات الكتابة للنبي ﷺ من خلال هذه الآية، فقال: (هَذَا لَا يُنَافِي الْقُرْآنَ بَلْ يُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ قَيَّدَ النَّفْيَ بِمَا قَبْلَ وُرُودِ الْقُرْآنِ فَقَالَ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تخطه بيمينك وَبَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَتْ أُمِّيَّتُهُ وَتَقَرَّرَتْ بِذَلِكَ مُعْجِزَتُهُ وَأُمِنَ الِارْتِيَابَ فِي ذَلِكَ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ الْكِتَابَةَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيم فَتكون معْجزَة أُخْرَى)[4]، وقد ألّف هذا العالم كتابًا بهذا الصّدد، وقد سبقه علماؤنا لهذا القول، حيث قيل: (هذه الآية تدلّ على أنَّ النّبي ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النّبوّة، فأمّا بعد النّبوّة فالذي نعتقده في ذلك التّجويز لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين، وظاهر الآية يقتضي أنَّ النفي قد تعلّق بما قبل النّبوّة دون ما بعدها، ولأنَّ التَّعليل في الآية يقتضي اختصاص النّفي بما قبل النّبوّة لأنَّ المبطلين إنَّما يرتابون في نبوّته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النّبوّة، فأمّا بعد النبوة فلا تعلق له بالرّيبة والتّهمة فيجوز أن يكون قد تعلّمها من جبرائيل عليه السلام بعد النّبوّة)[5].

وبهذا فقد ثبت بطلان هذا الاستدلال أيضاً.

الثالث: استدلالهم بحادثة صلح الحديبية، والتي قدّمنا التّفصيل في بطلانها، إلا أنّنا نضيف هنا نصًّا آخر يؤيّد ما ذكرناه آنفاً، وهو قول أحد علماء العامّة مؤيّدًا للرّأي السّابق بكونها معجزة أخرى فقال: (بَلْ رَأَوْهُ زِيَادَةً

---

(١) ابن بطال الركبي، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان(ت٦٣٣هـ- ١٢٣٥ م)، النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّب، تحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، ط١(المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨ م)ج١ص١٠١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية:٤٨.

(٣) تبريزيان، عباس، اسماء الرسول المصطفى والقابه وكناه وصفاته، ط١(دار الاثر، بيروت - لبنان،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)١ص٣١١.

(٤) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي(ت٨٥٢ هـ- ١٤٤٩م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه)ج٧ص ٥٠٣.

(٥) الطبرسي، ابي علي الفضل بن الحسن (ق٦)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١(دار المرتضى، بيروت – ٢٠٠٦م)ج٨ص٢٧.

فِي مُعْجِزَاتِهِ، وَاسْتِظْهَارًا عَلَى صِدْقِهِ وَصِحَّةِ رِسَالَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَتَبَ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ لِكِتَابَةٍ، وَلَا تَعَاطٍ لِأَسْبَابِهَا، وَإِنَّمَا أَجْرَى اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدِهِ وَقَلَمِهِ حَرَكَاتٍ كَانَتْ عَنْهَا خُطُوطٌ مَفْهُومُهَا ابْنُ عَبْدِ اللهِ لِمَنْ قَرَأَهَا، فَكَانَ ذَلِكَ خَارِقًا لِلْعَادَةِ، كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ وَلَا اكْتِسَابٍ، فَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي مُعْجِزَاتِهِ، وَأَعْظَمَ فِي فضائله. لا يَزُولُ عَنْهُ اسْمُ الْأُمِّيِّ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّاوِي عَنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ: وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَكْتُبَ، فَبَقِيَ عَلَيْهِ اسْمُ الْأُمِّيِّ مَعَ كَوْنِهِ قَالَ كَتَبَ)[1].

الرابع: استدلالهم بحادثة نزول الوحي لأوّل مرّة وطلبه من النَّبي ﷺ القراءة، وجوابه باستفهام: (ما أقرأ)، وقد بيّنَّا دلالتها في موضعها، إلا أنّنا نضيف هنا دليلاً صغيراً آخر، وهو إنَّ الوحي لو ثبت عنده أنَّه أمّيّ ولا يقرأ، لتركه وذهب بدلاً من إعادة الأمر له بالقراءة لكلّ هذه المرّات، إضافة إلى مسألة حرجة أخرى، وهي أنَّ الله تعالى عالم الغيب والشهادة قد أرسل ملكًا إلى نبيّه وأمره أن يُطالبه بالقراءة، وأنَّه لا يتركه حتى يقرأ، مع علمه تعالى بكونه أمّيًّا لا يقرأ؟!، فهل يُعقل هذا؟.

الخامس: بعد هدم أدلّة الاتّهام بالأمّيّة المزعومة للنبي الأكرم ﷺ، نشرع ببيان الأدلة التي تؤيّد قولنا فيما ذهبنا إليه من تعلّم القراءة والكتابة وحيًا وتمكينًا من الله تعالى، أو بواسطة جبرائيل عليه السلام، فنقول: إنَّ من ضمن تلك الأدلّة نزول الحروف المقطّعة في بدايات السّور، وقد شكّلت هذه الحروف أربعة عشر حرفًا، أي ما يُعادل نصف حروف الهجاء، وكونها تلفظ منفصلة وجب أن يكون عارفًا باسم الحرف، فقوله: (ألم) بصورة مفصّلة يحتاج إلى أن يلفظها بالشّكل: (ألف لام ميم)، والتّلفّظ بهذه الطَّريقة لا يمكن أن يكون من الأمّيّ الذي لا يعرف اسم الحرف.

ومن ضمن الادلة قوله تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً)[2]، حيث ورد في تفسيرها: (حَتَّى يَأْتِيَهُمْ بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، بِبَعْثِهِ اللهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ الْبَيِّنَةِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْبَيِّنَةُ، رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً)[3].

(أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ الصُّحُفَ جَمْعُ صَحِيفَةٍ وَهِيَ ظَرْفٌ لِلْمَكْتُوبِ)[4]، وهذا مما لا يحتاج إلى مزيد إيضاح.

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت٦٧١ه- ١٢٧٣م)، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢(دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م) ج١٣ص٣٥٣.

(٢) سورة البينة، الآيتان:١-٢.

(٣) الطبري، تفسير الطبري، ج٢٤ص ٥٥٢.

(٤) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين(ت٦٠٦هـ-١٢١٠م)، التفسير الكبير، ط٣(دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ)ج٣٢ص٢٤٠.

إضافة إلى ما دلّت عليه روايات أهل البيت ﷺ من كونه ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة، ومن هذه الروايات:

١- قول الإمام الرّضا ﷺ حكاية عن قول النبي يوسف ﷺ، إنّي حفيظ عليم، قال: (قال في قوله حفيظ عليم قال حافظ على ما في يدي عالم بكلّ لسان)[١]، وهذه إشارة إلى كونه ﷺ ناطق بكلّ اللغات، وقد ورد ما يؤيّد ذلك في رواية مفادها: (فلمّا أن نظر إلى الملك سلّم عليه يوسف بالعربية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمّي إسماعيل، ثم دعا بالعبرانية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال لسان آبائي، وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانًا، فلمّا كلّم الملك يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك بما رأى منه، وكان يوسف ﷺ ابن ثلاثين سنة)[٢]، هذا ويوسف ﷺ ليس من أولي العزم، فكيف بسيّد الأنبياء والمرسلين؟، ولذلك فقد ورد في الخبر أنّه ﷺ قد أوتي أكثر من ذلك، فقيل: (عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي بن الرضا ﷺ قلت له: يا ابن رسول الله لم سمّي رسول الله ﷺ الأمّيّ؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: جعلت فداك يقولون: إنّما سُمّي الأمي لأنّه لم يكن يكتب فقال ﷺ: كذبوا عليهم لعنة الله أنّى يكون ذلك ويقول الله عزّ وجل في كتابه: وهو الذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب و الحكمة، فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين لسانًا، وإنّما سُمّي الأمي لأنّه من أهل مكّة، ومكّة من أمهات القرى، وذلك قول الله في كتابه: لتنذر أم القرى ومن حولها)[٣].

كما وردت في الرّوايات الشّريفة ألفاظًا تدلّ على ما قدّمناه، فقد روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ)[٤].

فقوله ﷺ رأيت، إنّما بمعنى قرأتُ؛ لأنَّ الذي رأى إنّما هو كلمات مكتوبة وليست صورًا أو ما شابه، وعليه تثبت قراءته لا أقل .

وأخيراً فإنَّ الرّوايات في هذا المجال تكاد تتجاوز العشرات، وكلّها تدلّ في مضمونها أو ظاهرها على كونه ﷺ قد كان متمكّنا من القراءة والكتابة، لا بل متقنًا لها، إلّا أنّنا ولالتزامنا بشروطٍ محدّدة بالبحث، قد حاولنا

(١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١١ص ٢٠٧.

(٢) الجزائري، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، ص١٩٧.

(٣) المفيد، الشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ-١٠٢٢م)، الاختصاص، ط١(مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م)ص٢٢٨.

(٤) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد(ت٢٧٣هـ- ٨٨٧ م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي)ج ٢ص ٨١٢ح ٢٤٣١.

الاختصار جهد الإمكان، فقدّمنا على كلّ مسألة أقلَّ ما يمكن من الأدلّة مخافة الإسهاب الممل، ودفعًا للتكرار غير النَّافع .

الـخـاتـمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ النّعم، ومن سمائه يفيض الجود والكرم.

لقد توصّلنا من خلال البحث والاستقصاء وتتبّع الرّوايات والأخبار والأحداث التاريخية التي رافقت مسيرة بعثة سيد الأنبياء ﷺ إلى نتائج تكاد تكون مؤكّدة حول مسألة أمّيّته، وقد شملت هذه النّتائج أنّ معنى الأمّيّة التي أطلقت عليه في الآيات القرآنيّة لم يكن المراد بها عدم إجادته للقراءة والكتابة كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسّرين لتلك الآيات، وإنَّما أريد به نسبته إلى العرب تارة، أو إلى مكّة وأهلها تارة أخرى .

ومن خلال تتبّع سيرة حياة الأنبياء ﷺ وملاحظة مدى العلميّة التي تمتّعوا بها، فقد تبيّن جليًّا كونهم على درجة عالية من العلم، وأنَّ مسألة القراءة والكتابة، إنّما كانت من أبسط ما امتلكته هذه الثّلّة المختارة من البشر عبر الزَّمان.

إضافة إلى ذلك فقد تبيّن ومن خلال المقارنة والتّحليل خطأ الاعتقاد بتفسير الآيات التي يدلّ ظاهرها على أمّيّته ﷺ، وذلك من خلال تبيان المعاني الخفيّة في تلك الألفاظ التي حملتها تلك الآيات، فثبت بذلك عدم تطابق ظاهرها مع واقع الحال.

وأمّا في جانب استعراض وتحليل الأحداث التاريخية التي استدلّ بها البعض على مبتغاه، فقد ثبت خطأ القراءة لها، إضافة إلى ما تبيّن من الاعتماد على الأخبار التي تدعم القول بأمّيّة النبي ﷺ مع قلّتها وترك القدر الأكبر من الرّوايات التي تثبت عكس ذلك.

وقد انتهينا أخيرًا إلى نقل الرّوايات التي نطق بها الأئمّة المعصومون ﷺ والتي عكست الصّورة الأدق والأحق لجدّهم الرسول الأعظم ﷺ، فتبيّن أنّه يقرأ، ويكتب، وينطق بثلاث وسبعين لسانًا، وعليه فقد سقطت هذه التّهمة الباطلة بعون الله وتوفيقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

المصادر

- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور(ت٣٧٠هـ- ٩٨١ م)،

١- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: محمد جبر الألفي، ط١(وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م).

- امْرُؤُ القَيْس، بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار(ت ٨٠ ق هـ- ٥٤٥م)،

٢- ديوان امرِئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢(دار المعرفة ، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت ٢٥٦هـ -٨٧٠م)،

٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١(دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

- ابن بطال الركبي، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان(ت٦٣٣هـ- ١٢٣٥ م)،

٤- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ، تحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، ط١(المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨ م).

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت٥١٠هـ-١١١٦م)،

٥- تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١(دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٢٠ هـ).

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي(ت٨٥٢ هـ- ١٤٤٩م)،

٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ).

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ- ٨٥٥م)،

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،ط١(مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين(ت٦٠٦هـ-١٢١٠م)،

٨- التفسير الكبير، ط٣(دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٢٠هـ).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت٥٣٨هـ- ١١٤٣م)،

٩- الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢(دار المعرفة - لبنان).

- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بنى الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ-٩٩١م)،

١٠- معاني الاخبار، تحقيق: علي اكبر الغفاري، ط١(مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ق٦)،
١١- مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١(دار المرتضى، بيروت ، ٢٠٠٦م).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت٣١٠هـ- ٩٢٣م)،
١٢- تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١(مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م).
- ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني المشهور بالصاحب(ت٣٨٥هـ-٩٩٥ م)،
١٣- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن ال ياسين، ط١(عالم الكتب،١٤١٤ه -١٩٩٤م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت٦٧١هـ- ١٢٧٣م)،
١٤- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢(دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي(ت٧٧٤هـ-١٣٧٢م)،
١٥- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١(دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد(ت٢٧٣هـ- ٨٨٧ م)،
١٦- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي).
- المفيد، الشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ-١٠٢٢م)،
- الاختصاص، ط١(مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م).
- ابن منظور،محمد بن مكرم بن على أبوالفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقى(ت٧١١هـ-١٣١١ م)
١٨- لسان العرب،ط٣(دار صادر ، بيروت، ١٤١٤ هـ).
- النعماني، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي(ت٧٧٥هـ- ١٣٧٣م)،
١٩- اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١(دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م).
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ-٨٢٨ م)،
٢٠- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).

المراجع

- تبريزيان، عباس،

٢١- اسماء الرسول المصطفى والقابه وكناه وصفاته، ط١(دار الاثر، بيروت- لبنان،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

- الجزائري، نعمة الله بن محمد بن عبد الله الموسوي(١١١٢ هـ - ١٧٠١م)،

٢٢- النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، ط١(دار المرتضى، بيروت-لبنان،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت ١٢٠٥هـ- ١٧٩٠ م)،

٢٣- تاج العروس من جواهر القاموس، ط١(دار الفكر ، بيروت، ١٤١٤ هـ).

- الطباطبائي، السيد محمد حسين(ت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)،

٢٤- الميزان في تفسير القرآن،ط١(مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - ١٩٩٧م).

- عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م)،

٢٥-معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

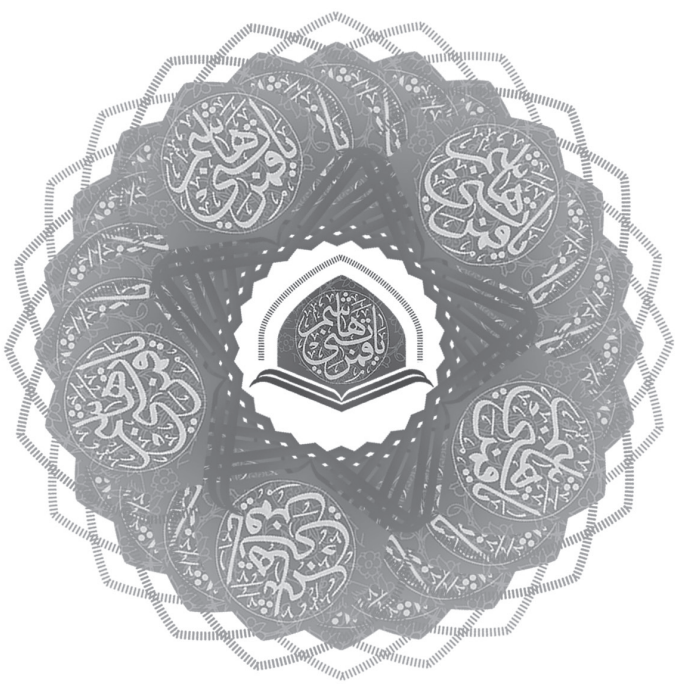

محنة الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ أحمد كاظم

عاش الإمام الصادق عليه السلام ظروفاً حرجة أيَّام حياته، وقد لاقى كثيراً من المحن من حكّام الجور الذين عاصروه وتربّصوا به الدّواهي ليل نهار؛ ويكفينا في إثبات شدّة تضيّقهم عليه ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«دخلت على أبي العباس بالحيرة. فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في الصّيام اليوم؟. فقلت: ذاك إلى الإمام، إن صمت صمنا، وإن أفطرت أفطرنا. فقال: يا غلام، عليَّ بالمائدة. فأكلت معه، وأنا أعلم والله إنَّه يوم من شهر رمضان، فكان إفطاري يوماً وقضاؤه أيسر عليَّ من أن يضرب عنقي، ولا يعبد الله»[1].

وقد كثر الوشاة على الإمام عليه السلام إلى السّلاطين الذين كانوا يسخطون عليه، ويسيئون إليه، ويحقدون عليه. يقول محمد بن الربيع الحاجب: قعد المنصور يوماً في قصره في القبّة الخضراء، وكان له يوم يقعد فيه يُسمّى ذلك اليوم يوم الذّبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمد عليه السلام من المدينة. قال: ثم دعا أبا الربيع فقال له: يا ربيع، إنّك تعرف موضعك منّي، وأني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد، وتكون أنت المعالج له. فقال: قلت: يا أمير، ذلك من فضل الله عليَّ وفضل الأمير، وما فوقي في النّصح غاية.

قال: كذلك أنت، سر الساعة إلى جعفر بن محمد بن فاطمة فاتني به على الحال الذي تجده عليه، لا تغيّر شيئاً ممّا هو عليه. فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله وذهبت الآخرة، وإن لم آت به وادهنت في أمره قتلني، وقتل نسلي، وأخذ أموالي، فخيرت بين الدّنيا والآخرة، فمالت نفسي إلى الدّنيا!.

قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفظ ولده وأغلظهم قلباً. فقال لي: امض إلى جعفر بن محمد بن علي فتسلق على حائطه، ولا تستفتح عليه باباً فيغير بعض ما هو عليه، ولكن انزل عليه نزولاً فأت به على الحال التي هو فيها.

---

(١) الكافي: ج٤ ص٨٢-٨٣.

قال: فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقلّه، فأمرت بنصب السّلاليم، وتسلّقت عليه الحائط، فنزلت عليه داره، فوجدته قائماً يُصلّي، وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به، فلمّا سلّم من صلاته. قلت له: أجب الأمير!.

فقال: «دعني أدعو وألبس ثيابي». فقلت له: ليس إلى تركك وذلك سبيل. قال: «وأدخل المغتسل فأتطهر».

قال: قلت: وليس إلى ذلك سبيل، فلا تغسل نفسك؛ فإنّي لا أدعك تُغيّر شيئًا.

قال: فأخرجته حافيًا حاسرًا في قميصه ومنديله، وكان عليه السلام قد جاوز السّبعين، فلمّا مضى بعض الطّريق ضعف الشّيخ فرحمته. فقلت له: اركب، فركب بغل شاكري كان معنا، ثم صرنا إلى الربيع فسمعته وهو يقول له: ويلك يا ربيع قد أبطأ الرّجل، وجعل يستحثه استحثاثاً شديدًا.

فلمّا أن وقعت عين الرّبيع على جعفر بن محمد عليه السلام وهو بتلك الحال بكى، وكان الرّبيع يتشيّع. فقال له جعفر: «يا ربيع، أنا أعلم ميلك إلينا، فدعني أصلّي ركعتين وأدعو». قال: شأنك وما تشاء. فصلّى ركعتين خفّفهما ثمّ دعا بعدهما بدعاء لم أفهمه إلّا أنّه دعاء طويل، والمنصور في ذلك كلّه يستحث الرّبيع. فلمّا فرغ من دعائه على طوله أخذ الرّبيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلمّا صار في صحن الإيوان وقف ثم حرّك شفتيه بشيء ما لم أدر ما هو، ثم أدخلته فوقف بين يديه.

فلمّا نظر إليه قال: وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس، وما يزيدك الله بذلك إلّا شدّة حسد ونكد ما يبلغ به ما تقدره!. فقال له: «والله يا أمير ما فعلت شيئًا من هذا، ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنّهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنّهم لا حقّ لهم في هذا الأمر فو الله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عنّي سوء مع جفاهم الذي كان بي. وكيف يا أمير أصنع الآن هذا وأنت ابن عمّي، وأمس الخلق بي رحماً، وأكثرهم عطاءً وبراً، فكيف أفعل هذا؟!.

فأطرق المنصور ساعة، وكان على لبد وعن يساره مرفقة جرمقانية وتحت لبده سيف ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبة، قال: أبطلت وأثمت ثم رفع ثني الوسادة، فأخرج منها اضبارة كتب فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان، تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني!.

فقال: «والله يا أمير ما فعلت ولا أستحل ذلك، ولا هو من مذهبي، وإنّي لممن يعتقد طاعتك على كلّ حال[1]، وقد بلغت من السّنّ ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصيرني في بعض جيوشك[2] حتى يأتيني الموت فهو منّي قريب. فقال: لا ولا كرامة. ثم أطرق وضرب يده إلى السيف فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه فقلت:

---

(١) هذه كلمات في ظروف التقية الشديدة كما هو واضح حيث أراد المنصور قتل الإمام الصادق عليه السلام، فقال له الإمام بأنه يعتقد بطاعته أي تقية، أو قصد بالطاعة عدم الخروج عليه.

(٢) أي اجعلني في وسط: جيوشك حتى يكونوا رقباء عليَّ، لكي تطمئن من كذب هذه الافتراءات.

إنّا لله، ذهب والله الرّجل، ثم ردّ السيف.

ثم قال: يا جعفر، أما تستحيي مع هذه الشّيبة ومع هذا النّسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين، تريد أن تريق الدّماء وتطرح الفتنة بين الرّعيّة والأولياء؟!

فقال : «لا والله يا أمير، ما فعلت، ولا هذه كتبي ولا خطّي ولا خادمي». فانتضى من السّيف ذراعاً فقلت: إنّا لله، مضى الرجل. ثم أغمد السيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أظنك صادقاً، يا ربيع هات العيبة من موضع كانت فيه في القبّة فأتيته بها. فقال: أدخل يدك فيها ـ فكانت مملوءة غالية ـ وضعها في لحيته، وكانت بيضاء فاسودّت. وقال لي: احمله على فاره من دوابي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم وشيّعه إلى منزله مكرماً وخيره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه والانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر عليه السلام، ومتعجّب ممّا أراد المنصور وما صار إليه من أمره. فلمّا صرنا في الصحن. قلت له: يا ابن رسول الله، إني لأعجب مما عمد إليه هذا في بابك وما أصارك الله إليه من كفايته ودفاعه، ولا عجب من أمر الله عزّ وجل، وقد سمعتك تدعو في عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو إلّا أنّه طويل، ورأيتك قد حركت شفتيك بشيء لم أدر ما هو؟.

فقال عليه السلام لي: «أمّا الأوّل فدعاء الكرب والشدائد لم أدع به على أحد قبل يومئذ، جعلته عوضاً من دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلاتي؛ لأنّي لم أترك أن أدعو ما كنت أدعو به، وأمّا الذي حركت به شفتي فهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب»[1].

عن الربيع، قال: دعاني المنصور يوماً. فقال: يا ربيع، أحضر لي جعفر بن محمد الساعة والله لأقتلنه. فوجهت إليه، فلما وافى قلت: يا ابن رسول الله، إن كان لك وصية أو عهد تعهده إلى أحد فافعل. قال: «فاستأذن لي عليه ». فدخلت إلى المنصور فأعلمته موضعه. فقال: أدخله. فلما وقعت عين جعفر عليه السلام على المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء لم أفهمه، فلما سلم على المنصور نهض إليه فأعتنقه وأجلسه إلى جانبه. فقال له: ارفع حوائجك. فأخرج رقاعاً لأقوام وسأل في آخرين فقضيت حوائجه. فقال المنصور: ارفع حوائجك في نفسك. فقال له جعفر عليه السلام : «لا تدعني حتى آتيك». فقال له المنصور: ما إلى ذلك سبيل وأنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أنك تعلم الغيب. فقال جعفر عليه السلام : «من أخبرك بهذا؟»، فأومأ المنصور إلى شيخ قاعد بين يديه. فقال جعفر عليه السلام للشيخ: «أنت سمعتني أقول هذا القول؟». قال الشيخ: نعم. قال جعفر عليه السلام للمنصور: «أيحلف يا أمير؟». فقال له المنصور: احلف. فلما بدأ الشيخ في اليمين قال جعفر عليه السلام للمنصور: «حدثني أبي، عن أبيه،

(١) بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٩٥-١٩٨؛ بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٨٨-٢٩١.

عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله عزّ وجل فيها وهو كاذب امتنع الله من عقوبته عليها في عاجلته لما نزه الله عزّ وجل. ولكني أنا أستحلفه». فقال المنصور: ذلك لك. فقال جعفر عليه السلام للشيخ: «قل: أبرأ إلى الله من حوله وقوته، وألجأ إلى حولي وقوّتي، إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول». فتلكّأ الشيخ فرفع المنصور عموداً كان في يده وقال: والله لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود. فحلف الشيخ، فما أتم اليمين حتى دلع لسانه كما يدلع الكلب و مات لوقته. ونهض جعفر عليه السلام. قال الربيع: فقال لي المنصور: ويلك اكتمها الناس لا يفتنون. قال الربيع: فشيعت جعفراً عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله، إنّ المنصور كان قد هم بأمر عظيم، فلما وقعت عينك عليه وعينه عليك زال ذلك. فقال: «يا ربيع، إنّي رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم. فقال لي: يا جعفر خفته!. فقلت: نعم يا رسول الله. فقال لي: إذا وقعت عينك عليه فقل: بسم الله أستفتح، وبسم الله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه. اللهم ذلل لي صعوبة أمري وكل صعوبة، وسهّل لي حزونة أمري وكل حزونة، واكفني مئونة أمري وكل مئونة»[1].

* وكان من شدّة التضييق على الإمام عليه السلام أنَّ الشيعة والموالين لا يتمكّنون من التّشرّف بحضور الإمام عليه السلام للسؤال عن أحكام دينهم، ولذا فإنَّهم كانوا يتنكرون حتى يصلوا إليه ويسألوه. ومن ذلك ما نقله هارون بن خارجة قال: كان رجل من أصحابنا طلّق امرأته ثلاثاً. فسأل أصحابنا فقالوا: ليس بشيء. فقالت امرأته: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام. وكان بالحيرة إذ ذاك أيام أبي العباس، قال: فذهبت إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه؛ إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فإذا سوادي عليه جبة صوف يبيع خياراً. فقلت له: بكم خيارك هذا كلّه؟.

قال: بدرهم. فأعطيته درهماً وقلت له: أعطني جبّتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت: من يشتري خياراً، ودنوت منه. فإذا غلام من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار. فقال عليه السلام لي لما دنوت منه: «ما أجود ما احتلت، أي شيء حاجتك؟».

قلت: إنّي ابتليت فطلّقت أهلي في دفعة ثلاثاً فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء وإن المرأة قالت: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام. فقال: «ارجع إلى أهلك فليس عليك شيء»[2].

كما أنّه سجن الإمام الصادق عليه السلام فترة من قبل الحكّام الظلمة.

ولذا وبسبب هذه التضييقات والظلم والجور الذي لحق بأهل البيت عليهم السلام فقد خرجت عدة ثورات؛ منها:

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٤٦١-٤٦٢ المجلس السادس عشر ح١٠٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧١ ب٦ ح١٦، بحار الأنوار: ج١٠١ ص١٥٤ ب١ ح٦٢.

ثورة زيد الشهيد رضوان الله عليه:

حدد زيد الشهيد السبب في خروجه وثورته المباركة عبر خطابين، قال في أحدهما:

«إنّي أدعو إلى كتاب الله، وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل»[1].

وقال للبابكي الذي خرج معه إلى مكّة، في منتصف الليل حيث استوت الثّريا: «يا بابكي، أما ترى هذه الثريا، أترى أحداً يناها؟. قلت: لا. قال: والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فانقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمة محمد» صلى الله عليه وآله وسلم[2].

نقل عبد الأعلى بن عبد الله الشامي، قال: لما قدم زيد بن علي إلى الشام كان حسن الخلق حلو اللسان. فبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فاشتد عليه، فشكا ذلك إلى مولى له فقال له: ائذن للناس إذناً عامًّا واحجب زيداً ثم ائذن له في آخر الناس، فإذا دخل عليك فسلّم فلا تردّ عليه ولا تأمره بالجلوس، فإذا رأى أهل الشام هذا سقط من أعينهم. ففعل فأذن للناس إذناً عاماً وحجب زيداً وأذن له في آخر الناس فدخل. فقال: السلام عليك يا أمير. فلم يرد عليه، فقال: السلام عليك يا أحول، إذ لم تر نفسك أهلاً لهذا الاسم.

فقال له هشام: أنت الطامع في الخلافة وأمّك أمة. فقال: إنَّ لكلامك جواباً، فإن شئت أجبت. قال: وما جوابك؟.

قال: لو كان في أم الولد تقصير لما بعث الله إسماعيل عليه السلام نبيًّا وأمّه هاجر، فالخلافة أعظم أم النبوة؟.

فأفحم هشام ولما خرج قال لجلسائه: أنتم القائلون إن رجالات بني هاشم هلكت، والله ما هلك قوم هذا منهم. فرده وقال: يا زيد، ما كانت أمّك تصنع بالزوج ولها ابن مثلك. قال: أرادت آخر مثلي. قال: ارفع إليَّ حوائجك. فقال: أ ما وأنت الناظر في أمور المسلمين فلا حاجة لي. ثم قام فخرج فأتبعه رسولاً وقال: اسمع ما يقول. فتبعه فسمعه يقول: من أحب الحياة ذل. ثم أنشأ يقول:

مهلاً بني عمنا عن نحت أثلتنا — سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم — وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم أنا لا نحبكم — ولا نلومكم ألا تحبونا

كل امرئ مولع في بغض صاحبه — نحمد الله نقلوكم وتقلونا[3]

---

(١) البداية والنهاية: ج٩ ص٣٦١ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٨٧ زيد بن علي عليه السلام.

(٣) تاريخ دمشق: ج١٩ ص٤٧١ ترجمة رقم ٢٣٤٤ زيد بن علي عليه السلام.

على كل فقد ثار زيد الشهيد ضد هشام الأموي، وقاتل عسكره حتى استشهد وصلب ثم أُحرق. وقد آلم الإمام الصادق عليه السلام خبر شهادة عمه زيد فاستعبر باكياً، وقرأ قوله تعالى: [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا][1]. ثم قال: «ذهب والله عمّي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جدّه علي والحسن والحسين عليهم السلام شهداء من أهل الجنة، التابع لهم بإحسان مؤمن، والشاك فيهم ضال، والراد عليهم كافر، وإنهم ليحشرون يوم القيامة أحسن الخلق زينة وهيئة ولباساً. تقول الملائكة: هؤلاء خلف الخلف ورعاة الحق، ولا يزالون كذلك حتى ينتهى بهم إلى الفردوس الأعلى، فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء»[2].

وكما في الخبر أن الحسين بن زيد بن علي الملقّب بذي الدمعة كان مقيماً في بيت الإمام الصادق عليه السلام، وقد رباه ونشأ في حجره منذ قتل أبوه، وأخذ عنه علماً كثيراً[3].

ثورة يحيى بن زيد:

كان يحيى حين استشهاد والده شابًّا في مطلع شبابه، وهو أكبر إخوانه، وقد شارك في ثورة أبيه، وبعد مقتل أبيه (رضوان الله عليه) أقام بجبانة السبيع، وتفرق الناس عنه فلم يبقَ معه إلا عشرة نفر.

ثم خرج (رضوان الله عليه) إلى المدائن وهي إذ ذاك طريق الناس إلى خراسان. فبلغ ذلك يوسف بن عمر فسرح في طلبه حريث بن أبي الجهم الكلبي، فورد المدائن وقد فاته يحيى ومضى حتى أتى الرّيّ.

ثم خرج (رضوان الله عليه) من الرّيّ حتى أتى سرخس وأتاه ناس من المحكمة يسألونه أن يخرج معهم فيقاتلون بني أمية، فلم يطمئن إليهم غير أنه قال لهم جميلاً.

ثم خرج (رضوان الله عليه) فنزل ببلخ على الحريش بن عبد الرحمان الشيباني فلم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد. فكتب يوسف إلى نصر بن سيار ـ وهو عامل على خراسان ـ حين أُخبر أنَّ يحيى بن زيد نازل بها وقال: ابعث إلى الحريش حتى يأخذ بيحيى أشدّ الأخذ.

فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثي ـ وهو عامله على بلخ ـ أن يأخذ الحريش فلا يفارقه حتى تزهق نفسه أن يأتيه بيحيى بن زيد. فدعى به فضربه ستمائة سوط وقال: والله لأزهقن نفسك أو تأتيني به. فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فاصنع ما أنت صانع.

فوثب قريش بن الحريش فقال لعقيل: لا تقتل أبي وأنا آتيك بيحيى. فوجه معه جماعة فدلّهم عليه وهو في بيت

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) كتاب الفتوح: ج٨ ص٢٩٤ ابتداء خبر زيد بن بن الحسين عليه السلام.

(٣) مقاتل الطالبيين: ص٢٥٧ الحسين بن زيد بن علي عليه السلام.

جوف بيت فأخذوه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى لعبد القيس كان معه من الكوفة. فبعث به عقيل إلى نصر بن سيار فحبسه وقيّده وجعله في سلسلة، وكتب إلى يوسف بن عمر فأخبره بخبره.

ولما أطلق يحيى بن زيد وفكّ حديده، صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحداد الذي فكّ قيده من رجله فسألوه أن يبيعهم إيّاه، وتنافسوا فيه وتزايدوا حتى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف أن يشيع خبره فيؤخذ منه المال. فقال لهم: بعوا ثمنه بينكم. فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعة قطعة، وقسّمه بينهم فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرّكون بها.

ثم إنَّ يوسف بن عمر كتب إلى الوليد يعلمه ذلك. فكتب إليه يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه. فكتب يوسف بذلك إلى نصر بن سيار. فدعى به نصر فأمره بتقوى الله وحذّره الفتنة.

فقال له يحيى: وهل في أمّة محمد فتنة أعظم مما أنتم فيه من سفك الدّماء، وأخذ ما لستم له بأهل! فلم يجبه نصر بشيء.

فكتب عمرو إلى نصر بن سيار بذلك، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عباد البكري عامله بسرخس والحسن بن زيد عامله بطوس أن يمضيا إلى عامله عمرو بن زرارة وهو على أبرشهر وهو أمير عليهم، ثم يقاتلوا يحيى بن زيد.

فأقبلوا إلى عمرو وهو مقيم بأبرشهر فاجتمعوا معه فصار في زهاء عشرة آلاف. وخرج يحيى بن زيد وما معه إلا سبعين فارساً، فقاتلهم يحيى فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منه دواب كثيرة.

ثم أقبل حتى مرّ بهراة وعليها المغلس بن زياد، فلم يعرض أحد منهما لصاحبه وقطعها يحيى حتى نزل بأرض الجوزجان، فسرح إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز في ثمانية آلاف فارس من أهل الشام وغيرهم، فلحقه بقرية يقال لها: ارغوى، وعلى الجوزجان يومئذ حماد بن عمرو السعدي.

وقد لحق بيحيى بن زيد أبو العجارم الحنفي والخشخاش الأزدي. فأخذ الخشخاش بعد ذلك نصر فقطع يديه ورجليه وقتله. وعبأ سلم (لعنه الله) أصحابه فجعل سورة بن محمد الكندي على ميمنته، وحماد بن عمرو السعدي على ميسرته. وعبأ يحيى أصحابه على ما كان عبأهم عند قتال عمرو بن زرارة فاقتتلوا ثلاثة أيام ولياليها أشد قتال، حتى قتل أصحاب يحيى كلهم، وأتت يحيى نشابة في جبهته رماه رجل من موالي عنزة يقال له: عيسى، فوجده سورة بن محمد قتيلاً فاحتز رأسه. وأخذ العنزي الذي قتله سلبه وقميصه، فبقيا بعد ذلك حتى أدركهما أبو مسلم فقطع أيديهما وأرجلهما وقتلهما وصلبهما.

وصلب يحيى بن زيد على باب مدينة الجوزجان في وقت قتله (صلوات الله عليه ورضوانه). يقول جعفر

الأحمر: رأيت يحيى بن زيد مصلوباً على باب الجوزجان. ثم بعث برأس يحيى (رضوان الله عليه) إلى نصر بن سيار فبعث به نصر إلى الوليد بن يزيد، فلم يزل مصلوباً حتى إذا جاءت المسودة فأنزلوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ثم دفنوه، فعل ذلك خالد بن إبراهيم أبو داود البكري وحازم بن خزيمة وعيسى بن ماهان.

وأراد أبو مسلم أن يتبع قتلة يحيى بن زيد فقيل له: عليك بالديوان. فوضعه بين يديه وكان إذا مر به رجل ممن أعان على يحيى قتله، حتى لم يدع أحداً قدر عليه ممن شهد قتله[1].

* ومن تلك الثورات أيضاً التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام:

١. ثورة عيسى بن زيد، وله قبر معروف بين الحلة والكوفة.

٢. ثورة محمد ذي النفس الزكية.

٣. ثورة إبراهيم بن عبد الله المعروف بقتيل باخمرى.

حكام عصره

عاصر الإمام الصادق عليه السلام أكثر من حاكم جائر من حكام الأمويين وكذلك الحكام العباسيين، أما الأمويون فهم:

١. هشام بن عبد الملك:

وكان أحولاً شرساً حريصاً على المال وزخارف الدنيا، وكانت ثياب طهره تنقل إلى الحج يحملها ستمائة جمل، وقيل: إنّه لمّا مات ترك اثني عشر ألف قميص وعشرة آلاف تكة حرير.

ولهشام مساوئ كثيرة أهمّها قتله الإمام الباقر عليه السلام بالسّمّ، قيل: إنّه لم يُرَ زمان أصعب من زمانه على الشيعة.

٢. الوليد بن يزيد:

كان الوليد رجلاً فاسقاً متجاهراً بالفسوق والفجور، لم يماثله من بني أمية في شرب الخمر أحد. فكان يأمر بملء بركة بالشراب إذا ما غلبه الطّرب، فينزل فيها ويعب منها حتى يتبيّن النقص في أطرافها، ونقل ابن أبي الحديد في (حمقى قريش) سليمان بن يزيد بن عبد الملك، حيث قال يوماً: لعن الله الوليد أخي! فلقد كان فاجراً أرادني على الفاحشة. فقال له قائل من أهله: أسكت ويحك فو الله إن كان همّ لقد فعل![2].

ونقل أن مؤذناً أذن للصبح يوماً، فما كان من الوليد إلا أن قام إلى الشراب فشرب، ثم قارب جارية كانت ثملة، ثم ألبسها ملابسه وبعث الجارية وهي على جنابة إلى المسجد لتؤم الناس وأمّتهم!.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص١٠٤-١٠٩ يحيى بن زيد.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١٨ ص١٦٣ .

وفي أحد الأيام استفتح بالقرآن فخرجت له الآية التالية: [وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ][1]، فجمع عدة مصاحف جعلها فوق بعض وأخذ يرميها بالسهام وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزّقني الوليد

وقال الذهبي عنه: اشتهر الوليد بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك[2]. ونقم عليه الناس لانتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيه، وأراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة[3].

قُتل الوليد سنة ١٢٦ هـ حيث ثار الناس ضدّه وبايعوا يزيد ابنه الذي عَيَّن جائزة مقدارها ألف درهم لمن يأتيه برأس أبيه، فقتله الناس وعلّقوا رأسه على سور دمشق.

وفي عهده ثارت الكوفة بقيادة يحيى بن زيد، وقد بكى الإمام الصادق عليه السلام يحيى وترحّم عليه وقال: «رحم الله ابن عمّي وألحقه بآبائه وأجداده[4]».

٣. يزيد بن الوليد:

ويُسمّى يزيد النّاقص؛ لأنه نقص الناس الزيادة التي زادها الوليد بن يزيد، وقيل: لأنّه أنقص جعالات الجند.

ونقل أنّ أول من سماه بالناقص هو مروان بن محمد حيث شتمه بكونه النّاقص فسمّاه الناس بالناقص.

استمرّ حكمه خمسة شهور، حيث مات يوم الأحد أوّل ذي الحجة سنة ١٢٦هـ.

٤. إبراهيم بن الوليد:

ولي الملك بعد وفاة أخيه يزيد، وكانت أيّامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط، واختلاف الكلمة، وسقوط الهيبة.

وقد خرج هارباً من دمشق بعد أن دخلها مروان الذي قدمها من الجزيرة، ثم ظفر مروان به فقتله وصلبه وذلك في سنة ١٢٧ هـ. وقيل: إنه قتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح.

٥. مروان الحمار:

وهو آخر ملوك بني أميّة، لُقّب بالحمار لكثرة حمقه وقلّة عقله[5] وكثرة حروبه على من خرج عليه.

---

(١) سورة إبراهيم: ١٥.

(٢) تاريخ الإسلام: ج٨ ص٢٩٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء: ص٢٥٠.

(٤) مدينة المعاجز: ج٦ ص١٣٨ .

(٥) انظر الثقات لابن حبان: ج٢ ص٣٢٢ .

وقد خاض مروان حروباً كثيرة حتى خرج عليه بنو العباس بقيادة عبد الله بن علي، ففرّ مروان إلى الشام فتبعه عبد الله بن علي وفتح دمشق بعد حصار قصير، ففرّ مروان ثانية إلى مصر وقتل فيها. ويذكر أنَّه لما قُتل قُطع رأسه وقُدّم إلى عبد الله بن علي، فغفل عنه، وإذا بهرّة تقتلع لسانه وتمضغه. فقال عبد الله: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرّة لكفانا ذاك.

أمّا العبّاسيّون الذين عاصرهم الإمام عليه السلام فهم:

١. أبو العباس السّفّاح:

وهو أول ملوك بني العباس، تسلّم الحكم يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول، أو في منتصف جمادى الآخرة، سنة اثنتين وأربعين ومائة هجرية، وقد قتل من الأمويين ما لا يحصى، وأمر بنبش قبورهم وإخراج قتلاهم وموتاهم وإحراقهم.

توفّي يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار، التي شيّدها بنفسه وسمّاها بالهاشمية. وكان سريعاً في سفك الدِّماء، فتبعه في ذلك عمّاله بالمشرق والمغرب.

٢. أبو جعفر المنصور:

تسلّم الحكم بعد وفاة أخيه وكان في الحج، وكان بخيلاً بحيث إنّه لمّا مات ترك ستمائة ألف ألف درهم، وأربعة عشر ألف ألف دينار، ومع ذلك كان يُلقّب بالدوانيقي لتشدّده في محاسبة العمّال والصّناع على الدوانيق والحبّات. وذكر السيوطي أنه قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه... وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيّام، وقيل: إنّه قتله بالسّمّ لكونه أفتى بالخروج عليه[1].

وهو الذي أمر بسجن عبد الله بن الحسن ومن معه من أصحابه وقتل بعضهم، وأشرف على تعذيبهم، وقتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعن جمرة العطارة، قالت: لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهدي بالرّيّ قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندها موته.

فإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة، فلمّا قدم المهدي من الرّيّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنّه تقدم إليها فيه أن لا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلمّا انتهى إلى المهدي موت المنصور وولى الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج كبير فيه جماعة

(١) تاريخ الخلفاء: ص٢٥٩ ترجمة المنصور أبو جعفر.

من قتلاء الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكّاناً[1].

وقد تمادى المنصور العباسي في ظلمه وطغيانه حتى وصفه البعض[2] فقال: (إنّ ما وقع على الناس من المظالم أيّام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح وأعمامه ألوفاً، وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس حتى أن الإنسان لترحم على أيّام الجاهلية)[3]. وأكبر جناية ارتكبها المنصور هو تجاسره على الإمام الصادق عليه السلام واستدعائه إياه أكثر من مرّة بحالة مأساوية إلى أن اغتاله بالسّمّ على يد عامله بالمدينة حيث دسّ إليه السم في العنب كما في الإقبال لابن طاووس[4].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦ ص٣٤٣-٣٤٤ ذكر الخبر عن وصاياه.

(٢) وصفه طه حسين.

(٣) مجلة اكتوبر القاهرية: عدد ٣٣٤.

(٤) إقبال الأعمال: ص٩٧ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في كل يوم من شهر رمضان.

شهر ربيع
الثاني

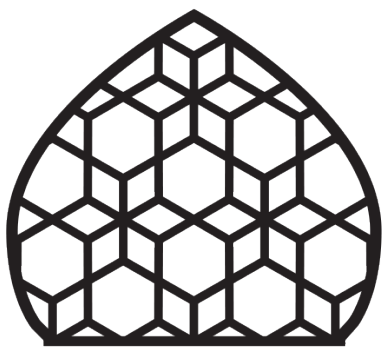

الوصية في الاسلام: وصية الزهراء عليها السلام الأخيرة ودورها في حفظ الهوية الإسلامية

الوصية في الاسلام: وصية الزهراء عليها السلام الأخيرة ودورها في حفظ الهوية الإسلامية

آلاء علي كريم الموسوي

المقدمة

بسمه نستعين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد:

إنَّ الحديث عن الزَّهراء عليها السلام يُمثّل حديثاً عن فكر وروح النّبوّة والنّبي صلى الله عليه وآله في آنٍ واحدٍ، فهي الكائن الذي انفصل من جسد الرّسالة وتمثلها روحًا وفكرًا وسلوكًا، فهي التي شهدت الإسلام ونشوءه وازدهاره، وعاشت السّاعات العصيبة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وشهدت عزّ الإسلام وانتصاره ودخول المسلمين في دين الله أفواجًا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُوليها عناية خاصّة في إطار الاحترام والإكبار، وكان يُشير إلى أهمّيّة تلك الشّخصيّة العظيمة في نظر السّماء وما سيترتّب عليها من دور خطير في الرّسالة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأراد أن يلفت نظرنا إلى سلامة الخطّ الذي تنتهجه سيّدة النساء عليها السلام ودورها في مجرى الأحداث، فلم يكن دورها في إظهار المظلوميّة فقط بل كانت صرخة احتجاج دوّت في وجه الظالمين حيث وقفت إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام حينما ابتعد عنه النّاصر فكانت له نعم المؤازر والسند، وبذلك تكون قد رسمت طبيعة الدور الشرعي للمرأة المسلمة الذي يجب أن تسير عليه في حسن التّبعّل وبناء الأسرة المسلمة، ومن هذا المنطلق ارتأيت كتابة بحثٍ متواضعٍ عن وصيّة الزهراء سلام الله عليها للأمّة الإسلامية قبل استشهادها؛ لما لوصيّتها من دور كبير في حفظ الهوية الإسلاميّة والمبادئ السامية، وقد قسّمت البحث على مبحثين كلّ مبحث يحتوي على مطلبين المبحث الأول يتناول المطلب الأول منه الوصية لغة واصطلاحًا، والمطلب الثاني يتناول الوصيّة في الإسلام من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف، أمّا المبحث الثاني يحمل عنوان قراءة في وصيّة الزّهراء وما تضمّنتها، والمطلب الأول منه يتناول ما تريده الزهراء عليها السلام من خلال وصيّتها للمرأة خاصة، أما المطلب الثاني فيتناول أهمّ ما تضمّنته وصيّتها للمسلمين، ثم تطرقت في نهاية البحث إلى أهمّ نتائج البحث والتي من أهمّها الدّور الكبير للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في حفظ الرّسالة الإسلامية وهويّتها وخير نموذج يحتذى به لكلّ المسلمين.

المبحث الأوّل: الوصيّة في الإسلام

المطلب الأوّل: الوصية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الوصية في القرآن الكريم والحديث الشريف

المطلب الأول: الوصية لغة واصطلاحاً

أ- مفهوم الوصية في اللغة :

* الوصية لغة: وصى: أوصى الرجل عهد إليه [١]أوصى له بشيء وأوصى إليه جعله(وصية)، والاسم (الوصايا) بفتح الواو وكسرها[٢]، وأوصيت إليه إذا جعلتــهُ وصيّك، وأوصيته ووصيته أيصاء وتوصية بمعنى وتواصى القوم، أي أوصى بعضهم بعضًا[٣]، قال رسول الله ﷺ:(وله شيء يوصي فيه [٤]، عهد إليه بأمرهِ أوصاه بالاجتهاد في دروسه) [٥]وقد قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٦]، وقد ورد في الحديث «استوصوا بالنساء خيراً فانهنّ عندكم عوان" [٧].

وقوله عزّ وجل: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[٨] ما معناه يفرض عليكم، لأن الوصية من الله تعالى إنما هي فرض، والدليل على ذلك كما جاء في لسان العرب لابن منظور[٩] قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾[١٠]. والوصايا لغةً جمع وصية وهي من وصى الشيء بالشيء وصياً ...أي اتصل، وصى الشيء بالشيء وصله، واستوصى به قبل وصيته [١١]. وفي النهاية إنَّ أفضل أنواع الوصايا ، هي

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، لسان العرب ،(بيروت : دار صادر للطباعة، د.ت)، ج١٥،ص٢٢٧ .

(٢) الرازي، زين الدين محمد بن أبو بكر بن عبد القادر(ت ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح ،تحقيق : حمزة فتح الله وآخرون ،(بيروت : دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، ص٧٢٥.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٥ ، ص ٢٢٧.

(٤) مسلم ،أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١)، صحيح مسلم ،(القاهرة : إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧)، ك٣٥ ، رقم الحديث (١٦٢٧) ، ص٧٢٢.

(٥) العايد، احمد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي ،(د- م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت) ،ص١١١٣ .

(٦) سورة مريم ، آية :٣١.

(٧) ابن حنبل ،احمد أبو عبد الله بن محمد(ت٢٤١هـ) ، مسند احمد ،(د- م، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، د.ت)، رقم الحديث (١٩٧٧٤).

(٨) سورة النساء :الآية ١١.

(٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥، ص٢٢٧.

(١٠) سورة الأنعام، آية:١٥١.

(١١) النحوي ، عدنان علي رضا ، أدب الوصايا والمواعظ - منزلته – ومنهجهُ – وخصائصه الإيمانية ، نشر دار النحوي ، (المملكة العربية السعودية – الرياض – ١٤١٨هـ / ١٨م٩٩)، ص٣.

الوصية في الحق وفي الصبر، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

ب- الوصيّة في الاصطلاح :

وتعني تعليماً أو توجيهاً شفهياً أو مدوّناً يتوجّه به إنسان إلى آخر مبتغياً إلزامه بمضمونه وأخذه بمقتضاه، إذ لها طرفان، الموصي والموصى له[2]. وأن يطلب الإنسان فعلًا من غيره ليفعله[3]. قال مالك بن محمد القرشي : لما وليت قال لي بَقيّ بن مخلد يا مالك: أوصيك بوصيّة: أنّك لا تستطيع كلّ ما يجب عليك، ولكن كُن أشد من غيرك، قال مالك: أنا والله أشدّ من غيري[4]. أعلم إنَّ جميع الخطب على ضربين: منها الطّوال، ومنها القصار، ولكلّ ذلك موضع يليق به ومكان يُحسَنْ فيه، فأوّل ما تبدأ به صدر من خطب البادية، وقول العرب لمعرفتهم بداء الكلام ودواءه وموارده ومصادره[5].ويروى إنَّه أوّل من نطق بالحكمة أنوس بن شيت بن آدم ﷺ وأوّل من خطّ الكتاب إدريس ﷺ [6].

ولأهمّيّة الخطبة(والتي تُعدّ أحد مصاديق الوصيّة) في حياة البشر، فإنَّ الخطب كان يُتخيّر لها الكلام، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم، ونطقت بها الأئمّة على منابرهم، واستجزلت لها الألفاظ، وتخيّرت لها المعاني([7])، ولم تعرف الإنسانية رسالة في حياتها اهتمّت بالأخلاق والآداب الاجتماعية وبالوسائل التربوية كاهتمام الرّسالة الإسلامية بذلك[8]. وخير ما ورد من الوصايا هي في القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ

---

(١) سورة العصر، الآية: ١-٣.

(٢) نفس المصدر السابق ، ص٣.

(٣) الكبيسي ، احمد ، الوجيز في شرح قانون الأحوال الشخصية (الوصايا والمواريث) ،(جامعة بغداد : كلية القانون ، د.ت) ، ج٢،ص١٣ .

(٤) ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي(ت ٤٠٣ هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه عزت العطار الحسيني، ط٢ ،(لقاهرة : مطبعة المدني المؤسسة السعودية ، ١٩٨٧م)، ج٢،ص٤.

(٥) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي ، (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق محمد عبد القادر شاهين ، (بيروت : المطبعة العصرية، ٢٠٠٩) ، ج٤ ، ص١٢٤.

(٦) ابن قتيبة ، أبو محمد بن مسلم الدينوري ، (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ،تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة :مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠)، ص٢٤٠؛ أبن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، (ت ٣٠١ هـ) ، الأعلاق النفيسة ، وضع حواشيه خليل منصور ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، (١٩٩٨)،ص١٩١.

(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج١ ، ص ٤٨٦.

(٨) مجموعة من المؤلفين، كتاب الإسلام دين البشرية ، ط٢ ،(د.ط: مؤسسة البلاغ للتأليف والنشر ، ٢٠٠٦) ، ص١٧١.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، فالإسلام يَعتَبر الأخلاق أبرز ميزة من مميزات الإنسان وأصدق مظهر من مظاهر إنسانيّته الفاصلة بينه وبين الحيوان[2]. لذلك قال رسول الإنسانية محمدﷺ:"إنَّما بعثت لأتّمم مكارم الأخلاق "([3]). فرسالة الإسلام من خلال الوصايا هي رسالة أخلاقية تهتم بالجانب التربوي من خلال بناء الجانب الأخلاقي بهدف بناء المجتمع الفاضل[4].

المطلب الثاني: الوصية في القرآن الكريم والحديث الشّريف

القرآن العظيم هو أعظم المعجزات، وآياته أبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل من التركيب المعجز الذي تحدّى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعي أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم ثم تحدّاهم بأن يأتوا بعشر سور منه فعجزوا، ثم طلب منهم التّحدّي بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك[5]، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلىَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[6].

وكلّ ما في القرآن الكريم من أخبار تاريخية ولفتات كونية وعلمية وطبية وطبيعية مهما مرّ الزمان وتقدّم العلم وأرتقى، لن تنقص ولن يأتي العلم بما يعاكسها، فهي تنزيل من لدن عليم حكيم، وهو أعلم بما خلق، وهي لا تحتمل الخطأ مطلقاً [7] ونزل من القرآن الكريم بمكّة اثنان وثمانون سورة وكان أوّل ما نزل على رسول الله ﷺ [8] قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[9].

وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ

---

(١) سورة الإنعام ، الآية :١٥١.

(٢) مجموعة من المؤلفين، الإسلام دين البشرية ، ص ١٧١.

(٣) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن الأحنف الجعفي ، (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ،(بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٤) ، ك٢ ،ب٢٥ ، رقم الحديث (٣٣) ، ص١٨ .

(٤) مجموعة من المؤلفين، الإسلام دين البشرية ، ص ١٧١ .

(٥) ينظر: كنعان، محمد بن احمد، السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير)،ط٣(بيروت :،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،٢٠٠٧م)،ص٤٤٣.

(٦) سورة، الإسراء، آية : ٨٨.

(٧) أبو خليل ،شوقي ، في التاريخ الإسلامي ، (دمشق :دار الفكر،١٩٩٦)،ص٣٤.

(٨) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر(ت٢٩٢ه) ،تاريخ اليعقوبي، (النجف الاشرف : منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٤)، ج٢،ص٣٣.

(٩) سورة العلق، آية : ١-٥ .

لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]. وقال الله سبحانه وتعالى لنبيّه محمد ﷺ فيما أوصاه به من الرفق بالرعية[2]: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾[3]. وفي القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً، وهي المشتملة على الحِكَمْ البالغة والوصايا التربوية، التي إذا تأمّلها ذوو الفهم والعقل الصحيح، قطع بأنّ هذه الأحكام والتّوجيهات إنّما أنزلها العالم بالخفيّات الرّحيم بعباده، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته وإحسانه[4] وقد ورد قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[5]، أيّ صدقٍ في الأخبار وعدلًا في الأوامر والنّواهي[6] وقد ورد قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[7]. وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[8] فأبلغ المواعظ قد جاءت من كلام الله (جلّ وعلا) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[9]، ورد قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[10] حيث قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[11].

من خلال هذه الآيات الكريمة نهتدي إلى أسلوب الدّعوة وهو الحكمة، وتجلّت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية[12]، وقد ذكرت الوصيّة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ولكنّها ليست بمعنى واحد، فمنها الوصيّة بإقامة الدّين وعدم التفرق، ونجد ذلك واضحًا في قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ

---

(١) سورة القلم، آية : ١-٤ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج١،ص١١.

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٤) كنعان، السيرة النبوية والمعجزات ، ص٤٤٩.

(٥) سورة الأنعام، آية : ١١٥.

(٦) كنعان السيرة النبوية والمعجزات ،ص٤٤٩.

(٧) سورة هود، آية : ١.

(٨) سورة المائدة، آية : ٤٨.

(٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج٣،ص٨٨.

(١٠) سورة النحل، آية : ١٢٥.

(١١) سورة النحل، آية : ١٢٨.

(١٢) الصنهاجي، عبد الحميد بن محمد (ت١٣٥٩هـ)، آثار ابن باديس، تحقيق عمار الطالبي، (الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ،١٩٦٨)، ج١،ص١٨٤.

عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[1].

إنَّ الإسلام شريعة الله في الأرض ومنهجه في بناء الإسلام وتقويم سلوكه المادّي والرّوحي في كافة أبعاده وجوانبه، وقد وضع أحكامًا وسننًا مثلى في الكتاب المجيد(القرآن الكريم) وعلى لسان نبيّه محمدﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ﴾[2]، وقد وضع القرآن هذه الأحكام في كلّ مفاصل الحياة حيث ورد قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ﴾[3]، كي يصل الإنسان إلى الرّفعة والتّكامل الرّوحي في حياته، ومن جملة السنن والحقوق التي شرّعها الإسلام وحثّ عليها هي الوصيّة قبل الوفاة، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾[4].

وقد ورد في السّنّة الشريفة جملة من الرّوايات ترشد وتؤكّد استحباب الوصيّة، منها ما ورد عن الإمام الباقرؑ قوله: (الوصية حق، أوصى بها رسول الله ﷺ فينبغي للمسلم أن يوصي)[5]، وقد ورد عن أبي عبدالله الصادقؑ أنّه قال : "هي حق على كلّ مسلم"، وقال أيضًا: "ما ينبغي لأمرئ أن يبيت ليلة إلّا ووصيته تحت رأسه"[6]، وقد شدّد عليها رسول اللهﷺ وقال: "من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية"[7].

ونجد من الرّوايات المستفيضة أنَّ رسول الله قد أوصى قبل وفاته حيث كانت من أبرز فقرات وصيّته أنّه قال: "إنّي أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي..."، وقد أوصى الأئمّة الاثنا عشر المعصومون ﷺ وقد انتشرت جملاً من وصاياهم في كتب المسلمين[8]

المبحث الثاني: قراءة في وصيّة الزّهراء ؑ ومضمونها:

تحتوي وصية الزَّهراء ؑ على مضامين عالية، ودروس عظيمة، وأهداف سامية في مجمل فقراتها والتي من أهمّها بيان احتجاجها ورفضها الانقلابيين الغاصبين الظالمين الذين غصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علي

---

(١) سورة الشورى، آية : ١٣.

(٢) سورة النجم ، آية ٣.

(٣) سورة المائدة ، آية ٢٨.

(٤) سورة المائدة ، آية ١٠٦.

(٥) الحر العاملي ، محمد بن الحسن ت١١٠٤هـ ، وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة ، (ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣١٩هـ) ، باب الوصايا، ح١.

(٦) فس المصدر ،ح٦،ح٧.

(٧) نفس المصدر، ح٨.

(٨) المقدس الغريفي ، محمود، قراءات في وصية الزهراء فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺط١ (مؤسسة بني الزهراء للطباعة والنشر ،قم ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، ص١٢.

عليها السلام وغصبوا حقّه وحقّها، فكانت وصيّتها في آخر عهدها بالحياة أن لا يحضر جنازتها الذين ظلموها وغصبوها حقّها، وأن تُدفن سرًّا في الليل، وأن يُعفى قبرها ولا يعرف، وهي بذلك قد أثارت الشّكوك والتّساؤلات لماذا أوصت بنت رسول الله بذلك؟ .

إنَّ هذه التّساؤلات والشكوك تضع الأمّة في مسؤوليّة معرفة المغزى والسبب الذي جعل الزّهراء عليها السلام ترفض أن يحضروا جنازتها وهي بذلك تحثّ الأمّة الإسلامية على التّفكير العميق والبحث عن الحقيقة التي تحفظ هويّة الأمّة الإسلامية وديمومتها عبر التاريخ وإيصالها إلى كلّ الأجيال دون غشّ أو خداع .

المطلب الأوّل: موقف الزهراء عليها السلام من المخالفين ومضمون وصيتها:

ورد في كتب الحديث أنَّ الصَّحابة -رجالاً ونساءً- كانوا يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين، إلا عمر وأبا بكر لم يعوداها لأنَّها قاطعتهم ورفضتهم ولم تأذن لهم بعيادتها، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بدًّا من عيادتها لئلا تموت بنت النبي صلى الله عليه وآله وهي ساخطة عليهما وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلى يوم القيامة فجاءا لعيادتها تحت ضغط الرّأي العام، فسألا عنها وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا قال: ذلك إليكما. فقاما فجلسا الباب، ودخل عليّ عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيّتها الحرّة، فلان وفلان بالباب يريدان أن يُسلّما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك، والحرّة زوجتك، افعل ما تشاء!

فقال: شدّي قناعك، فشدّت قناعها، وحوّلت وجهها إلى الحائط. فدخلا وسلّما وقالا: إرضي عنّا رضي الله عنك، فقالت: ما دعا إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنّا، فقالت: إن كنتما صادقين فأخبراني عمّا أسألكما عنه فإنّي لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه، فإن صدقتماني علمت أنّكما صادقان في مجيئكما. قالا: سلي عمّا بدا لك قالت: نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

" فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني " ؟ قالا : نعم .

فرفعت يدها إلى السَّماء، فقالت: اللهم إنَّهما قد آذاني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما[1].

---

(١) المسعودي، محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية، ط٢، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة، قم،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠، ص٣٣١ .

ساعات الوداع الأخيرة ووصيتها سلام الله عليها:

مرضت فاطمة عليها السلام مرضًا شديدًا، ومكثت أربعين ليلة في مرضها، فلمّا نعيت إليها نفسها قالت لعلي عليه السلام : « يا بن عم، أنّه قد نعيت إلي نفسي، وأنّني لا أرى ما بي إلا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي » ، قال لها علي عليه السلام : أوصي بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت : " يا بن عم، ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني ".

فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله من أن أوبّخك بمخالفة، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلا أنّه أمر لا بُدّ منه والله جدّدت عليَّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزيّة لا خلف لها، ثم بكيا جميعًا ساعة.

لقد لخّصت فاطمة عليها السلام في هذا الحوار حياتها الزوجية في هذه العبارات فذكّرت الأمير عليه السلام بإخلاصها وطهارتها وإطاعتها لزوجها ، وشكر لها الإمام وفاءها، وأثنى على طهارتها وقدسيتها ومعاناتها وتقواها، وأبدى لها حبّه وودّه وتعلّقه بها، وهاجت بهما الذّكريات وجاشت الخواطر وتذكّرا حياتهما السّعيدة التي غمرتها الغبطة والدّفء، والوقوف جنبًا إلى جنب في مواجهة الأحداث والمشاكل، وتذليل الصّعاب، فانهمرت لذلك عيناهما بالدّموع، لعلّها تُطفئ نار القلب التي تقضي على الجسد.

وبعد أن بكيا ساعة أخذ علي عليه السلام رأسها وضمّها إلى صدره ثم قال: «أوصيني بما شئت، فإنّك تجدينني فيها أمضي كما أمرتيني به، وأختار أمرك على أمري» .

ثم قالت: جزاك الله عنّي خير الجزاء، وأوصته بوصاياها، وهي:

١ – يا بن عم، أوصيك أن تتزوّج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنّها تكون لولدي مثلي فإنَّ الرجال لا بُدّ لهم من النّساء .

٢ – إن أنت تزوّجت امرأة فاجعل لها يومًا وليلة واجعل لأولادي يومًا وليلة، يا أبا الحسن لا تصح في وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين .

٣ – أوصيك يا بن عم، أن تتخذ لي نعشًا، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لي . . فوصفته، فاتخذه لها.

٤ – أوصت لأزواج النبي لكلّ واحدة منهنّ اثنتي عشرة أوقية.

٥ – ولنساء بني هاشم مثل ذلك .

٦ – وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء.

وكانت لها وصية مكتوبة جاء فيها : « هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله بحوائطها السبع ذي الحسنى والساقية والدلال والغراف والرقمة والهيثم ومال أم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب، ومن بعده فإلى الحسن، فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الأكبر فالأكبر من ولده، شهد الله على ذلك وكفى به شهيدا، وشهد المقداد ابن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب [١].

وروى ابن عباس وصيّة مكتوبة أخرى لها عليها السلام جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم» :

هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حقّ، والنار حقّ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، يا علي: أنا فاطمة بنت محمّد، زوّجني الله منك لأكون لك في الدّنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّنّي بالليل، وصلِّ عليّ وادفنّي بالليل ولا تعلم أحدًا، وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة [٢].

وفي لحظات عمرها الأخيرة ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عندها، وهي تفيق مرّة ويغشى عليها أخرى من شدّة المرض، وتجيل بصرها في أولادها، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: إنَّها لمّا حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليك يا جبريل، السلام عليك يا رسول الله، اللهم احشرني مع رسولك، اللهم اسكنّي جنّتك وفي جوارك، ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربّي، جبريل ورسول الله حاضرون عندي، وأبي يقول: القدوم إلينا ويقول علي عليه السلام: فلمّا كانت الليلة التي أراد الله أن يكرمها ويقبضها إليه أخذت تقول: وعليكم السلام يا بن عم، هذا جبريل أتاني مسلّما، وقال: السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده – اليوم تلحقين بالرّفيق الأعلى وجنّة المأوى ثم انصرف عنّي .

ثم أخذت تقول: وعليكم السلام، وتقول: يا بن عم، هذا ميكائيل يقول كقول صاحبه ثم أخذت ثالثًا تقول: وعليك السلام، ثم فتحت عينيها شديدًا وقالت: يا بن عم هذا والله الحق عزرائيل نشر جناحه في المشرق والمغرب، وقد وصفه لي أبي وهذه صفته، ثم قالت: يا قابض الأرواح عجّل بي ولا تعذّبني، ثم قالت: إليك ربي لا إلى النار، ثم غمضت عينيها، ومدّت يديها ورجليها، وكأنّها لم تكن حيّة قطّ[٣].

قال وهب بن منبه عن ابن عباس أنّها بقيت أربعين يومًا بعد وفاة أبيها وفي رواية ستة أشهر وقال المسعودي: ولما قبضت عليها السلام جزع علي عليه السلام جزعًا شديدًا واشتدّ بكاؤه، وظهر أنينه وحنينه وقال في ذلك :

---

(١) الأسرار الفاطمية ، ص٣٣٦.

(٢) نفس المصدر،ص٣٣٤.

(٣) بن شهر آشوب المازندراني، ابو جعفر رشيد بن علي(ت٥٨٨هـ)،المناقب، منشورات علامة ،قم ،د – ت، ج٣، ص٣٣٦.

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحدا بعد واحد (فاطمة بعد أحمد) دليل على أن لا يدوم خليل

قال الراوي: فحمل علي عليه السلام الحسنين عليهما السلام حتى أدخلهما بيت فاطمة عليها السلام وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وا يتامى محمد صلى الله عليه وآله، فكشف علي عليه السلام عن وجه فاطمة عليها السلام فإذا برقعة عند رأسها، فنظر فيها، فإذا فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، وأنّ الجنة حقّ، والنّار حقّ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور، يا علي أنا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله زوّجني الله منك لأكون ذلك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّنّي بالليل، وصلِّ عليَّ وادفنّي بالليل ولا تُعلم أحدًا وأستودعك الله واقرأ على ولديّ السلام إلى يوم القيامة)، فكفّنها وغسّلها عليها السلام ليلاً.

فخرج أبو ذر (ره) وقال: انصرفوا فإنَّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخّر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا، فلمّا جنَّ الليل غسّلها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس رحمة الله عليهما.

وقالت أسماء : أوصت إلى فاطمة عليها السلام أن لا يغسلها إذا ماتت إلا أنا وعلي عليه السلام، فأعنت عليا على غسلها.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول حين غسّل فاطمة عليها السلام : اللهم إنّها أمتك وابنة رسولك وصفيّك وخيرتك من خلقك، اللهم لقّنها حجّتها وأعظم برهانها وأعلِ درجتها واجمع بينها وبين أبيها محمد صلى الله عليه وآله .

وروي أنّها نشفت بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا غسّلها علي عليه السلام وضعه على السرير وقال للحسن عليه السلام:

أدعي لي أبا ذر فدعاه فحملاه إلى المصلّى ومعه الحسن والحسين فصلى عليها، وفي رواية ورقة قال علي عليه السلام : «والله لقد أخذت في أمرها وغسّلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهّرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وكفّنتها وأدرجتها في أكفانها، فلمّا هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أم كلثوم يا زينب يا سكينة يا فضة يا حسن يا حسين هلمّوا تزوّدوا من أمّكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام، وهما يناديان:

وا حسرتا لا تنطفي أبدًا من فقد جدّنا محمد المصطفى وأمّنا فاطمة الزهراء ، يا أم الحسن يا أم الحسين إذ لقيت جدّنا محمد المصطفى فاقرأيه منّا السلام وقولي له: إنّا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا، فقال أمير المؤمن علي عليه السلام: إني أشهد الله أنّها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمّتهما إلى صدرها مليّا وإذا بهاتف من السّماء

يُنادي: يا أبا الحسن ارفعهما عنها، فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب قال عليه السلام: فرفعتهما عن صدرها.

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا دفن فاطمة صلوات الله عليها وعفى موضع قبرها ونفذ يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي، إلا أنّ في التّأسّي لي بسنّتك والحزن الذي حلّ بي لفراقك لموضع التّعزي ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري وغمّضتك بيدي، وتولّيت أمرك بنفسي، نعم وفي كتاب الله أنعم القبول إنّا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرّهينة واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم كمد مقيح وهمّ مهيج ، سرعان ما فرّق الله بيننا وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر أمّتك عليّ وعلى هضمها حقّها، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا[1].

موارد ذكر وصيّة الزّهراء عليها السلام:

ورد ذكر وصية الزّهراء عليها السلام في موارد عديدة من كتب الحديث وبالخصوص في مصحف فاطمة الذي يحوي جملة من مواريث الأئمة عليهم السلام ومختصّاتهم وورثوه كابرًا عن كابر حتى وصل إلى قائم آل محمد(عج) ويحتوي أغلبه على مستقبل ذرّيّة الزّهراء وعلم الحوادث وأسماء الأنبياء والأوصياء والملوك ووصيّة فاطمة عليها السلام [2] ومن تلك الموارد:

- ورد عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قوله: "وليخرجوا مصحف فاطمة فإنّ فيه وصيّة فاطمة عليها السلام "[3]
- وردت رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: « أنّه أخرج سخطًا أو حقًا وأخرج منه كتابًا فيه وصيّة جدّته الزّهراء

(١) ينظر: القمي (ت١٣٥٩هـ) ، عباس، بيت الاحزان، ط١، دار الحكمة ،قم- ايران، ١٤١٢هـ ،ص١٨٤.

(٢) ينظر: العاملي، أكرم بركات ، حقيقة مصحف فاطمة، ط١، (دار الصفوة، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص ١١٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩) ، اصول الكافي ، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط: الرابعة، (مطبعة چاپخانه حيدري، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٢هـ)،ص٢٤١، ح٤.

عليها السلام ...»[1]

- وقد ورد ذكر الوصيّة في موارد أخرى منها:

أوصت الإمام عليًّا عليه السلام بأن يصنع لها نعشًا صوّرته الملائكة لها حيث قال لها علي عليه السلام : أريني كيف صوّرته، فأرته كما ذلك كما وصفته له وكما أمرت به .. الى آخر الرّواية[2].

- أوصت الإمام عليًّا عليه السلام أن يغسّلها في قميصها ولا يكشفه عنها لأنَّها قد اغتسلت قبل وفاتها.. وأوصت أن تُدفن ليلاً ويُعفى قبرها [3].

تضمّنت وصيّة الزّهراء عليها السلام جملة من عقائد الإسلام وأصوله والإقرار بها حيث ورد في وصيّتها ما معناه: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، إنّه نص وإقرار بالشهادتين، وأن الجنة حق، والنار حق، أشارت هنا الى العدل الإلهي بدلالة الملازمة من خلال إقرارها بذلك فالجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبدًا حبشيًّا، وخلق النار لمن عصاه ولوكان سيّدًا قرشيًّا كل بعمله واختياره وهذا مقتضى العدالة الإلهية حيث ورد قوله تعالى: "ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ"[4] ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور....) وهذا إقرار بالمعاد وقيام الناس للوقوف بين يدي جبّار السَّماوات والأرض، لقد بيّنت الزهراء سلام الله عليها جملة من العقائد في وصيّتها البليغة والتي تُبيّن لنا معنى العقيدة الحقة والتي يجب على كلّ مؤمن الالتزام بها قلبًا وعملاً، إنَّ الوصية آخر كلام المرء في الدّنيا يموت وتبقى تتكلّم عنه، يستكشف منها عن مكنون رأيه بما يختلج في صدره وبيان سرّ اعتقاده وإيمانه الى المولى عزّ وجل، فيقرّ فيها ويعترف كآخر شهادة له على آرائه ومعتقداته التي يؤمن بها، وتتضمّن الاعتراف والشهادة بالربوبية والوحدانية والعدالة ولرسول الله محمد صلى الله عليه وآله بالنّبوّة والرّسالة، ثم الإقرار بالإمامة والخلافة بعد رسول الله للأئمّة الاثني عشر المعصومين الهاشميين أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ولداه الحسن والحسين عليهما السلام إلى آخرهم الخلف الهادي المهدي المنتظر عجل الله فرجه ثم الاعتقاد والإيمان بالمعاد ويوم القيامة والحساب، وقد ورد جملة من الوصايا المأثورة عن آل البيت عليهم السلام ومن

---

(١) الكافي ، ج٧،ص٤٨.

(٢) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر الائمة الاطهار ، ط٣،(دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ج٤٣، باب ما وقع عليها من الظلم، ص٢٠٤

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)،آمالي الطوسي، ط١(دار الثقافة، قم،١٤١٤هـ)، ج١،ص١٠٧.

(٤) آل عمران، آية ١٨٢.

جملة الوصايا المأثورة وصية الزهراء ﷺ والتي تضمّنت جملة من عقائد الإسلام وأصوله والإقرار بها [1] كما بينا سابقاً.

المطلب الثاني: أهمية ودور وصايا الزهراء ﷺ للأمّة الاسلامية والمرأة خاصة والأثر البارز لها في حفظ الهويّة الإسلامية.

في كلّ مجتمع وكلّ نهضة فكريّة يكون دور العلماء وفريق المثقّفين الواعين الملتزمين هو الإرشاد نحو الطّريق والتعريف بالدّين أو المذهب، وتوعية الناس الذين يكون دورهم إضفاء الرّوح والحركة على كلّ ذلك، وكلّ مجتمع يكون فيه الإيمان والإخلاص والحبّ والفداء قليلاً فالمسؤول هو الشعب، أمّا إذا كانت المعرفة والوعي المنطقي والإدراك العميق والصّحيح للدين ومعناه وغايته وحقائقه قليلة فالمسؤولية تقع على عاتق العلماء والإسلام أكثر من أيّ دين آخر فهو دين الكتاب والجهاد والفكر والحب وكما هو واضح في القرآن فهو الذي يعتبر الشهادة حياة خالدة[2].

إنَّ الأهداف التي كانت تسعى إليها الزّهراء ﷺ والتي أدّت إلى مظلوميّتها لم تأتِ من فراغ وإنَّما كانت لها أهداف محدّدة، ومن تلك الأهداف هو الحفاظ على الهويّة الإسلامية من الضياع عبر الأجيال، والنّظرية الإسلامية ترى أنَّ الأسرة تُمثّل وحدة رئيسة ومركزية في بناء المجتمع الصالح، وطالما أكَّد الإسلام دور وأهمّيّة دور الأسرة في المجتمع على خلاف رؤية الحضارة الغربية والمجتمعات الأخرى التي لا ترى للأسرة مثل هذا الدّور المهم في بناء المجتمع وقوّته وتكامله، ولاشكَّ أنَّ الزَّوجة والأم تُمثّل الرّكن الرّئيس في الأسرة وبنائها من النَّاحية الدَّاخلية والذَّاتيّة، فنجد بعض النّسوة قد يوفّقن لأن ينهضنَ بدور مهمّ في الجانب الأسري والجانب العبادي، والقيام ببعض الأعمال الصّالحة، والبعض الآخر يكون دورهنَّ في الرّعاية المنزلية فقط وترتيب وضع الاسرة، لكن الجمع بين هذه الأدوار وإيجاد حالة الموازنة أمر بالغ الصعوبة، وقضية هامة جدًّا فالزهراء ﷺ كانت تطحن الحنطة في بيتها وتنظّف وهي المرأة الفاضلة والمجاهدة المدافعة عن مبادئها، وهي التي منحت جميل رعايتها ووافر حنانها لأبنائها، وأعطت لزوجها كامل حقوقه، ووهبت لأبيها خالص اهتمامها حتى كنّاها بـ(أمّ أبيها) وقد كانت رعايتها للأسرة والبيت في أعلى درجات الرّعاية، وبذلك ضربت المثل الأعلى للمرأة المسلمة بالإضافة إلى أنّها كانت عالمة غير معلّمة، فقد كانت تدوّن كلَّ ما تسمعه من رسول الله ﷺ شأنها شأن

(١) ينظر: المقدس الغريفي، محمود ، المصدر السابق، ص٣١-٣٥.

(٢) ينظر: شريعتي، علي، فاطمة ﷺ هي فاطمة، (ط١، دار الكتاب الاسلامي، د- م ، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ)، ص٢٧.

أهل البيت ﷺ وخاصّة ما تسمعه منه في المجالس الخاصة وهي كثيرة ولولا ذلك لحرفت أو فقدت الكثير من أحاديث الرسول، ومن خلال التدوين تكون عندها كتاب يطلق عليه(مصحف فاطمة)[1] والذي من محتوياته وصيّتها سلام الله عليها قبل استشهادها والتي احتوت على مضامين عالية، وكان لها دور عظيم في حفظ الإسلام والحقائق الإسلاميّة والمنهج الصحيح والمذهب الذي ورثناه عن أهل البيت ﷺ، ومن أبرز وصاياها وخاصّة للمرأة بضرورة الالتزام بالحشمة والحجاب والتي تُمثّل نصف المجتمع وذلك من خلال وصيّة الزّهراء بدفنها ليلاً، وتغطية جنازتها بوضع جريدتين من النخل على جانبي الجنازة كي لا تظهر تفاصيل جسدها الطّاهر، والدّفاع عن حقّها إذا تعرّضت للأذى وذلك من خلال مطالبتها بحقّها المغتصب في فدك لا لشيء ولكن لأمرٍ دينيّ وهو المطالبة بإرجاع الخلافة الكبرى التي اغتصبوها، وحسن التّبعّل للمرأة وطاعتها للزوج وذلك من خلال وصيّتها وحوارها مع أمير المؤمنين ﷺ حيث ورد عنها قولها لأمير المؤمنين : "ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتني منذ عاشرتني .. " حيث نجد من خلال وصيّتها رسالة واضحة الى كلّ الزّوجات وكيفية تعاملهن مع أزواجهنّ من عدم الخيانة وعدم الكذب وحسن العشرة وعدم مخالفة الرّأي وطاعة الزّوج في الأمور التي فيها عدم معصية لله سبحانه وتعالى، ونرى في ذلك كلّه حفظ كيان الأسرة وصون المرأة وعفّتها، وأمّا أبرز وصاياها سلام الله عليها للأمّة الإسلاميّة الالتزام بالمبادئ وقيم الإسلام السّامية من التّوحيد والصلاة والصيام وكلّ المعاني العظيمة التي جاء بها الدّين الحنيف من الزّهد بالدّنيا وطلب الآخرة وصلة الرحم والتآخي بين المسلمين، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ، وعدم الرّضوخ للظلم ورفضه ومقارعته وذلك من خلال رفضها أن يمشي في جنازتها (فلان وفلان) الذين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وتأكيدها في وصيّتها على هذا الأمر.

ونجد في كثير من مفردات الوصية أمورًا أخرى تنطوي بين فقراتها والتي تخص الأمّة الإسلاميّة والمجتمع، حيث تُعدّ وصيّتها صرخة مدوّية وضوءًا أحمر في وجه الانحراف القائم آنذاك، ونرى أنَّ وصية الزّهراء تحتاج إلى بحثٍ وشرحٍ وبصورة أعمق، وهذه دعوة لبحث وتحليل هذه الوصية والاستفادة قدر الإمكان من عمق معناها ودلالاتها لما يفيد خير الدّنيا والآخرة .

---

(١) ينظر : الحكيم، محمد باقر، الزهراء أهداف. مواقف. نتائج،(ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف، ٢٠٠٦م)،ص٣٦-٣٩.

نتيجة البحث

نستنتج مما سبق ذكره في البحث الأمور التالية:

- إنَّ الدِّين الإسلامي شريعة الله في أرضه ومنهجه في بناء الإنسان وتقويم سلوكه المادّيّ والرّوحي في كافة الأبعاد وفي كلّ مفاصل الحياة، وقد وضع الإسلام لكلِّ شيء أحكامًا وسُننًا حيث جاء في الآية ٢٨ من سورة المائدة قوله تعالى : "لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً"، ومن ضمن الحقوق والسُنن التي شرّعها الإسلام هي (الوصيّة) قبل وفاة الإنسان، حيث أكّدت عليها السّنّة الشريفة، وقد ورد في وسائل الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:(الوصية حق ، أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فينبغي للمسلم أن يوصي).
- عند قراءتنا لوصية الزهراء سلام الله عليها قبل استشهادها نجد كثير من الأمور المهمّة والمضامين العالية التي أوصت بها الزّهراء للحفاظ على هويّة الأمّة الإسلامية وصيانتها من الضياع عبر الأجيال ومختلف العصور ومن هذه الأمور:
- وصايا للمرأة بضرورة الالتزام بالحشمة والحجاب والتي تُمثّل نصف المجتمع وذلك من خلال وصيّة الزّهراء بدفنها ليلاً وتغطية جنازتها بوضع جريدتين من النّخل على جانبي الجنازة كي لا تظهر تفاصيل جسدها الطّاهر، والدّفاع عن حقّها إذا تعرّضت للأذى وذلك من خلال مطالبتها بحقّها المغتصب في فدك لا لشيء ولكن لأمرٍ دينيّ وهو المطالبة بإرجاع الخلافة الكبرى التي اغتصبوها، وحسن التّبعّل للمرأة وطاعتها للزوج وذلك من خلال وصيّتها وحوارها مع أمير المؤمنين عليه السلام في لقائها الأخير معه قبل موتها.
- وصاياها للأمّة الإسلاميّة وذلك للالتزام بالمبادئ وقيم الإسلام السّامية من التّوحيد والصّلاة والصّيام وكلّ المعاني العظيمة التي جاء بها الدّين الحنيف من الزّهد بالدنيا وطلب الآخرة وصلة الرّحم والتّآخي بين المسلمين والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ، وعدم الرّضوخ للظلم، ورفضه، ومقارعته وذلك من خلال رفضها أن يمشي في جنازتها (أبو بكر وعمر بن الخطاب) الذين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتأكيدها في وصيّتها على هذا الأمر.
- ونجد في كثير من مفردات الوصيّة أمورًا أخرى تنطوي بين فقراتها والتي تخصّ الأمّة الإسلاميّة والمجتمع والتي تحتاج إلى بحث وشرح وبصورة أعمق وهذه دعوة لبحث وتحليل هذه الوصية والاستفادة قدر الإمكان من عمق معناها ودلالاتها لما يفيد خير الدّنيا والآخرة .

الهوامش:

١. ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي(ت ٤٠٣ هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه عزت العطار الحسيني، ط٢ ،(لقاهرة : مطبعة المدني المؤسسة السعودية ، ١٩٨٧م)، ج٢،ص٤.

٢. ابن حنبل ،احمد أبو عبد الله بن محمد(ت٢٤١هـ) ، مسند احمد ،(د- م، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، د.ت)، رقم الحديث (١٩٧٧٤).

٣. ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي ، (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق محمد عبد القادر شاهين ، (بيروت : المطبعة العصرية، ٢٠٠٩) ، ج٤ ، ص١٢٤.

٤. ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج١،ص١١.

٥. ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج٣،ص٨٨.

٦. ابن قتيبة ، أبو محمد بن مسلم الدينوري ، (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ،تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة :مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠)، ص٢٤٠، ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر(ت ٣٠١ هـ) ، الأعلاق النفيسة ، وضع حواشيه خليل منصور ،بيروت : دار الكتب العلمية ، (١٩٩٨)،ص١٩١.

٧. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، لسان العرب ،(بيروت : دار صادر للطباعة، د.ت)، ج١٥،ص٢٢٧ .

٨. أبو خليل ،شوقي ، في التاريخ الإسلامي ، (دمشق :دار الفكر،١٩٩٦)،ص٣٤.

٩. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن الأحنف الجعفي ، (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ،(بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٤) ، ك٢ ،ب٢٥ ، رقم الحديث (٣٣) ، ص١٨ .

١٠. بن شهر آشوب المازندراني، ابو جعفر رشيد بن علي(ت٥٨٨هـ)،المناقب، منشورات علامة ،قم ،د - ت، ج٣، ص٣٣٦.

١١. الحكيم، محمد باقر، الزهراء أهداف. مواقف. نتائج،(ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف، ٢٠٠٦م)،ص٣٦-٣٩.

١٢. الرازي، زين الدين محمد بن أبو بكر بن عبد القادر(ت ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح ،تحقيق : حمزة فتح الله وآخرون ،(بيروت : دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، ص٧٢٥.

١٣. شريعتي، علي، فاطمة ﷺ هي فاطمة، (ط١، دار الكتاب الاسلامي، د- م ، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ)،

ص٢٧.

١٤. الصنهاجي ، عبد الحميد بن محمد (ت١٣٥٩ه)، آثار ابن باديس ، تحقيق عمار الطالبي، (الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ،١٩٦٨)،ج١،ص١٨٤.

١٥. الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)،آمالي الطوسي، ط١(دار الثقافة، قم،١٤١٤هـ)،ج١،ص١٠٧.

١٦. الحر العاملي ، محمد بن الحسن ت١١٠٤هـ ، وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة ، (ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣١٩هـ) ، باب الوصايا، ح١.

١٧. العاملي، أكرم بركات ، حقيقة مصحف فاطمة، ط١، (دار الصفوة، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص ١١٠.

١٨. العايد، احمد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي ،(د- م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت) ،ص١١١٣.

١٩. القمي (ت١٣٥٩هـ) ، عباس، بيت الاحزان، ط١، دار الحكمة ،قم- ايران، ١٤١٢هـ ،ص١٨٤.

٢٠. الكبيسي ، احمد ، الوجيز في شرح قانون الأحوال الشخصية (الوصايا والمواريث) ،(جامعة بغداد : كلية القانون ، د.ت) ، ج٢،ص١٣ .

٢١. الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩) ، اصول الكافي ، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٤ (مطبعة چاپخانه حيدري، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران، ٣٦٢١هـ)،ص٢٤١، ح٤.

٢٢. كنعان ، محمد بن احمد ، السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير) ،ط٣(بيروت :،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م)،ص٤٤٣.

٢٣. المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر الائمة الاطهار ، ط٣،(دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ج٤٣، باب ما وقع عليها من الظلم، ص٢٠٤

٢٤. مجموعة من المؤلفين، كتاب الإسلام دين البشرية ، ط٢ ،(د.ط: مؤسسة البلاغ للتأليف والنشر ، ٢٠٠٦) ، ص١٧١.

٢٥. المسعودي، محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية، ط٢، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة، قم،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠، ص٣٣١ .

٢٦. مسلم ،أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١)، صحيح مسلم ،(القاهرة : إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧)، ك٣٥ ، رقم الحديث (١٦٢٧) ، ص٧٢٢.

٢٧. المقدس الغريفي ، محمود، قراءات في وصية الزهراء فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ،ط١ (مؤسسة بني الزهراء للطباعة والنشر ،قم ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص١٢.

٢٨. النحوي ، عدنان علي رضا ، أدب الوصايا والمواعظ - منزلته – ومنهجهُ – وخصائصه الإيمانية ، نشر دار النحوي ، (المملكة العربية السعودية – الرياض – ١٤١٨هـ)، ص٣.

٢٩. اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر(ت٢٩٢ه) ،تاريخ اليعقوبي، (النجف الاشرف : منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٤)، ج٢،ص٣٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١. ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي(ت ٤٠٣ هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه عزت العطار الحسيني، ط٢ ،(لقاهرة : مطبعة المدني المؤسسة السعودية ، ١٩٨٧م).

٢. ابن حنبل ،احمد أبو عبد الله بن محمد(ت٢٤١هـ) ، مسند احمد ،(د- م، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، د.ت) .

٣. ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي ، (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق محمد عبد القادر شاهين ، (بيروت : المطبعة العصرية، ٢٠٠٩).

٤. ابن قتيبة ، أبو محمد بن مسلم الدينوري ، (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ،تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة :مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠)، ص٢٤٠؛ أبن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، (ت ٣٠١ هـ) ، الأعلاق النفيسة ، وضع حواشيه خليل منصور ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م).

٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، لسان العرب ،(بيروت : دار صادر للطباعة، د.ت).

٦. أبو خليل ،شوقي ، في التاريخ الإسلامي ، (دمشق :دار الفكر،١٩٩٦).

٧. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن الأحنف الجعفي ، (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ،(بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٤).

٨. بن شهر آشوب المازندراني، ابو جعفر رشيد بن علي(ت٥٨٨هـ)،المناقب، (منشورات علامة ،قم ،د – ت).

٩. الحكيم، محمد باقر، الزهراء أهداف. مواقف. نتائج،(ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف، ٢٠٠٦م).

١٠. الرازي، زين الدين محمد بن أبو بكر بن عبد القادر(ت ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح ،تحقيق : حمزة فتح الله وآخرون ،(بيروت : دار البصائر، مؤسسة الرسالة،١٩٨٧م).

١١. شريعتي، علي، فاطمة ﷺ هي فاطمة، (ط١، دار الكتاب الاسلامي، د- م ، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ).

١٢. الصنهاجي ، عبد الحميد بن محمد (ت١٣٥٩ه)، آثار ابن باديس ، تحقيق عمار الطالبي، (الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ،١٩٦٨).

١٣. الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)،آمالي الطوسي، ط١(دار الثقافة، قم،١٤١٤هـ).

١٤. الحر العاملي ، محمد بن الحسن ت١١٠٤هـ ، وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة ، (ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣١٩هـ) .

١٥. العاملي، أكرم بركات ، حقيقة مصحف فاطمة، ط١، (دار الصفوة، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٦. العايد، احمد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي ،(د- م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت).

١٧. القمي (ت١٣٥٩هـ) ، عباس، بيت الاحزان، ط١،(دار الحكمة ،قم- ايران، ١٤١٢هـ).

١٨. الكبيسي ، احمد ، الوجيز في شرح قانون الأحوال الشخصية (الوصايا والمواريث) ،(جامعة بغداد : كلية القانون ، د.ت).

١٩. الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩) ، اصول الكافي ، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٤ (مطبعة چاپخانه حيدري، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران، ٣٦٢١هـ)

٢٠. كنعان ، محمد بن احمد ، السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير) ،ط٣(بيروت :،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م).

٢١. المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر الائمة الاطهار ، ط٣،(دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٢. مجموعة من المؤلفين، كتاب الإسلام دين البشرية ، ط٢ ،(د.ط: مؤسسة البلاغ للتأليف والنشر ، ٢٠٠٦).

٢٣. المسعودي، محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية، ط٢، (مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة، قم،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠).

٢٤. مسلم ،أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١)، صحيح مسلم ،(القاهرة : إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧).

٢٥. المقدس الغريفي ، محمود، قراءات في وصية الزهراء فاطمة بنت رسول الله محمد Sأط١ (مؤسسة بني الزهراء للطباعة والنشر ،قم ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٢٦. النحوي ، عدنان علي رضا ، أدب الوصايا والمواعظ - منزلته – ومنهجهُ – وخصائصه الإيمانية ، نشر دار النحوي ، (المملكة العربية السعودية – الرياض – ١٤١٨هـ).

٢٧. اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر(ت٢٩٢ه) ،تاريخ اليعقوبي، (النجف الاشرف : منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٤).

شهر
جمادی الأولی

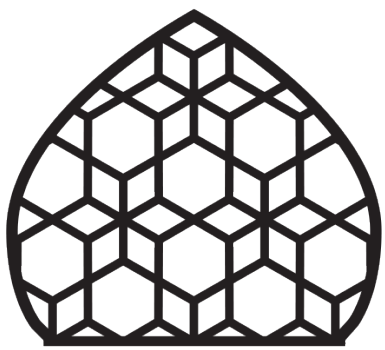

- جعفر الطيار ناقل الإسلام للحبشة
- دور خطب السيدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء
- محاور هويّة المجتمع الإسلامي في فكر الصدّيقة الزهراء عليها السلام (خطبتها عليها السلام أنموذجاً)

جعفر الطيار ناقل الإسلام للحبشة

الشيخ فوزي آل سيف

لنبدأ الحديث بإسلامه المبكر؛ فقد أشار عليه والده أبو طالب وهو يلاحظ رسول الله ﷺ يصلي ومعه علي وخديجة عليهما السلام علي عن يمين رسول الله ﷺ وخديجة خلفهما؛ فقال أبو طالب لجعفر (صَل جناح ابن عمك وصل معه) صلة الجناح يعني أن تقف على الجهة الأخرى إذ علي على يمين النبي ﷺ فقف على شماله؛ وهذه الرواية تشير الى عدة حقائق:

١/ إنَّ تشريع الصلاة كان موجوداً في ذلك الوقت حين لم يكن قد آمن بالنبي ﷺ سوى علي بن أبي طالب وخديجة عليهما السلام.[١]

٢/ إنَّ موضوع استقبال الكعبة، وكونها القبلة الأولى، والدائمة للمسلمين هو الثابت في جميع مراحل الدعوة، وأن القول بأن المسلمين كانوا يتجهون في صلاتهم من البداية لبيت المقدس قول لا يعضده الدليل، وان الصحيح هو ان التوجه لبيت المقدس كان في فترة ما بعد الهجرة ولظروف معينة ومدة محدودة [٢]، وعلى كل حال لم يستدبر النبي الكعبة ما دام في مكة كما تفيد الروايات بذلك.

٣/ إنَّ أبا طالب الذي لم يكن يستطيع إظهار إسلامه، وكان عليه ان يكتمه ليواصل نصرة النبي بشكل افضل، كان يأمر أبناءه بالإيمان بالنبي ﷺ ومتابعته، ونصرته، وشاهد ذلك أمره ابنه جعفر بالإيمان برسول الله ﷺ والصلاة معه.

ويستفاد من هذا أنه كان ثالث المصلين مع النبي ﷺ بعد أخيه علي وخديجة عليهما السلام.

بالرغم من هذا إلَّا انه كان كأبيه وجده من الحنفاء أتباع الشريعة الإبراهيمية؛ فلم يكن يؤمن بالأصنام، ولا يسجد لها؛ لأنها لا تضر، ولا تنفع، ولم يكن يمارس الفواحش كالزنا، أو يشرب الخمر.[٣]وقد ورد في بعض

(١) وللتفصيل يراجع موضوع تشريع الصلاة في الإسلام في سلسلة قصة تشريع العبادات.

(٢) للاطلاع التفصيلي يراجع محاضرتنا في سلسلة قصة تشريع العبادات: تحويل القبلة آراء وادلة.

(٣) الصدوق ؛ محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع ٢/ ٥٥٨ (عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر (ع) قَالَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِ اللهِ عليه السلام أَنِّي شَكَرْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَرْبَعَ خِصَالٍ فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ؛ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَوْ لَا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَخْبَرَكَ مَا أَخْبَرْتُكَ مَا شَرِبْتُ خَمْراً قَطُّ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ شَرِبْتُهَا زَالَ عَقْلِي وَمَا

الروايات أنَّ النبي ﷺ خاطب جعفر؛ فقال أشبهت خَلقي وخُلقي..

وبالرغم من أن الذين ذكروا بشبههم لرسول الله متعددون[1] إلاَّ أنّ من ذكر بالشبه في الأخلاق والجسم معاً قلة كان منهم جعفر بن أبي طالب وعلي بن الحسين شهيد كربلاء عليهما السلام.

بعد إيمانه برسول الله ﷺ وقد اشتد كلَب قريش ضاقت بالمسلمين أرض مكة بما رحبت، وقد شمّر كفار قريش عن أيدي عداوتهم فنكلوا بضعفاء المسلمين، وراح إثر ذلك آل ياسر شهداء، وأخذت السياط مأخذها من بلال وأمثاله. رأى النبي ﷺ الرحيم حال أولئك المسلمين، وساءه ما أصابهم فأمر بالهجرة الى الحبشة.

وكان لهذه المهمة جعفر عليه السلام، ولم تكن الهجرة مع جمع غفير سفرة عادية! خاصة وأنَّ الكثير منهم كانوا فقراء فلا بُدَّ من التفكير في وضعهم المادّيّ؛ كما أنَّ هناك التحديات الدّينية مع معيشتهم في بيئات غير مساعدة، وقد حصل أنَّ بعض ما هاجر قبلئذ إلى الحبشة تنصر ومات على النصرانية [2]. كما تترافق الهجرة مع عدد من الضغوط النفسية تبعاً للبعد عن الوطن، والأهل والأقارب.

مما زاد الموقف حرجاً أنَّ القرشيين لاحقوا المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وحاولوا استعادتهم إلى مكة ليواصلوا فتنتهم عن دينهم فأرسلوا أدهى دهاتهم عمرو بن العاص ومعه الهدايا ليستميل الحاشية ويسترجع المهاجرين!!

وينقل ابن هشام في السيرة ما حصل بعد ذلك عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت[3] ما نصه:

« لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأُدم[4]، فجعلوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلَّا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم،

كَذَبْتُ قَطُّ لأَنَّ الْكَذِبَ يَنْقُصُ الْمُرُوءَةَ وَمَا زَنَيْتُ قَطُّ لأَنِّي خِفْتُ أَنِّي إِذَا عَمِلْتُ عُمِلَ بِي وَمَا عَبَدْتُ صَنَماً قَطُّ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ قَالَ فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَاحَيْنِ تَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ).

(١) ذكر من بينهم الحسنان عليهما السلام وقثم بن العباس، وجعفر بن أبي طالب وعلي الأكبر بن الحسين بن علي.

(٢) عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان.

(٣) يلاحظ على هذه الرواية أن أم سلمة لا بد أن تكون قد نقلتها عن غيرها، وإلا فهي لم تكن حين حصول الحدث في الحبشة، إذ أنها كانت في الهجرة الأولى التي قيل إنها في السنة الخامسة للبعثة، وأن هذه المجموعة المهاجرة بقيت في الحبشة من شهر رجب إلى شوال وعادت فيه على أثر الخبر الكاذب من أن قريشا آمنت ورفعت الأذى عن المسلمين، فرجع المهاجرون هؤلاء لمكة ليواجهوا عنت قريش.. وبقيت أم سلمة في مكة إلى أن يسر الله لها أمر هجرتها للمدينة كما سيذكر في ترجمتها وسيرتها.. فالمفروض أنها تنقله عمن كان في الحبشة في الهجرة الثانية..

(٤) الجلود المدبوغة.

وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت:

فخرجا حتَّى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلَّا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شئ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي!

فقالت بطارقته حوله: صدقاً أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاها الله، إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟

قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا – وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله – سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب [رضوان الله عليه]، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن

الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصّلاة والزكاة والصيام[1] .

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن الا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي:

فاقرأه علي، قالت: فقرأ عليه صدرا من « كهيعص « قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط.

فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، قالت:

فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي – والشيوم: الآمنون – من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً من ذهب،

---

(١) هناك بحث في أن هل كل هذه الأحكام تفصيلا قد تم تشريعها إلى ذلك الوقت أو لا ؟ وتفصيل هذا مذكور في سلسلة للمؤلف بعنوان: قصة تشريع العبادات.

وأنى آذيت رجلاً منكم – قال ابن هشام: ويقال دبرا من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم (والدبر الحبل بلسان الحبشة، وسيوم يعني آمنون).. ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.[1]

وقد قيل إنَّ هجرة المسلمين بقيادة جعفر بن أبي طالب كانت هي الهجرة الثانية، وكان عدد المهاجرين معه كبيرًا؛ أكثر من مائة(٨٣ رجلا و١٩ امرأة).ولعلنا نعرف صعوبة الهجرة وظروفها ولا سيما مع هذا العدد وإدارتهم إذا نظرنا إلى ما نقله أرباب السير من أنَّ أصحاب الهجرة الأولى رجعوا إلى مكة بعد ثلاثة أشهر من خروجهم منها بمجرد أن وصل لهم خبر كاذب عن أنَّ قريشا كفّت أذاها عن النبي وأصحابه، وأنَّ المسلمين في مكة أصبحوا آمنين، فرجع هؤلاء ليواجهوا عنف قريش الذي يزداد يومًا بعد يوم.

وكذلك نعرف صعوبات الهجرة وتحدّياتها عندما نطّلع على التأثيرات التي تركتها ثقافة بلاد المهجر وعاداتهم على قسم من الجاليات الإسلامية، فتحوّلت ثقافة بعضهم وديانتهم ونمط حياتهم إلى ما يناسب تلك الدّول والبلاد! بل ما نلاحظه في سلوك وثقافة بعض من يذهب للدراسة الجامعية العالية في بلاد الاغتراب، من تأثر قسم من هؤلاء الكبير في تركهم لإيمانهم وتشكيكهم في عقائدهم..

بعد أن أمن المهاجرون للحبشة وأميرهم[2] جعفر من جانب الحكومة الحبشية والمؤسّسة الدّينية المسيحية فيها، انطلقوا في ترتيب أمورهم، والدعوة إلى دين الله عز وجل، ويظهر أنَّ جعفرًا رضوان الله عليه، كان له اتصال مستمر مع النجاشي (ملك الحبشة) بحيث أطلعه على ما أتى به النبي من الآيات والبينات، الأمر الذي تطابق مع ما كان لدى ذلك الملك من التباشير بالنبي محمد، ويقول الباحثون في الأديان أنَّ الكنيسة المسيحية وتراثها كان أقلّ تعرّضًا للتحريف من سائر الكنائس فيما يرتبط بالتباشير بالنبي ﷺ، وقد توّج هذا في الأخير برسائل متبادلة بين النبي والنجاشي، انتهت بإسلام النجاشي واعلانه ذلك، حيث كان يكرّر أمام بطارقة الكنيسة وأساقفتها أنَّ محمّدًا يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى! ولا ريب أنّه كان لجعفر في هذا دور كبير ومهم، في إيصال ما كان يأتيهم من النبي ﷺ، إلى النَّجاشي.

وينقل أرباب السير خطابين تم تبادلهما بين النبي والنجاشي: فقد أرسل النبي إليه خطابًا يوصيه فيه بجعفر

---

(١) الحميري ؛ ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٢٢٥

(٢) ذكر ذلك غير واحد من الباحثين، منهم الشيخ الأحمدي في كتابه مكاتيب الرسول ١/ ٣٠١ حيث قال: والذي يظهر بالتدقيق أن جعفرا ﷺ كان له رئاسة مهاجري الحبشة من قبل رسول الله ﷺ ، هاجر لذلك لا من إيذاء قريش، وهو المتولي لأمورهم من قبل رسول الله ﷺ..

والمسلمين، ويدعوه فيه إلى الإسلام، بهذا النص:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الملك القدوس، المؤمن، المهيمن، وأشهد أنَّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخته، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإنِّي رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا، ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقْرِهم ودع التجبر، فإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى[1]».

فكان ردّ النجاشي بعد مدّة معربًا فيه عن إيمانه وتصديقه، بهذا النّص:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام عليك يا نبي الله ورحمته وبركاته الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد، فقد أتاني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فو ربّ السماء والأرض إنّ عيسى لا يزيد على ما قلت ثفروقا،[2] وإنه كما قلت، ولقد عرفنا ما بعثت به إلينا، ولقد قربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنّك رسول الله صادقًا مصدوقًا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك[3]وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وبعثت إليك بابني أرمى بن الأصحم، فإنّي لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت، فإنّي أشهد أنَّ ما تقوله حقّ، والسلام عليك يا رسول الله».[4]

وكان من جملة رسائل النبي إليه تكليفه في العقد على أمّ حبيبة بنت أبي سفيان التي كانت وزوجها من المهاجرين للحبشة، وتنصر زوجها وترك الإسلام، فكان وكيلاً لرسول الله في العقد عليها وإعطائها المهر.

وأخيرًا عندما حان وقت الهجرة الثانية من الحبشة إلى المدينة، قام النجاشي بتجهيز سفينة خاصّة للمسلمين لكي يرحلوا بواسطتها إلى جدّة ومنها إلى المدينة.

خمس عشرة سنة هي الفترة التي قضاها جعفر بن أبي طالب في الحبشة، مديرًا لشؤون المسلمين المهاجرين معه، وداعية إلى الدِّين، وكان من نتيجة هذه الأخرى إيمان النجاشي أصحمة برسول الله، ومن المعلوم أنَّ إيمان الحاكم الأعلى لا بُدَّ أن ينعكس على مملكته وشعبه.. فانظر بين ما قبل الخمسة عشر عامًا وما بعدها، بينما هم مطاردون خائفون على أنفسهم أن يسلموا مكتوفين إلى مبعوثي قريش لتأكل السياط متونهم، وبين ما حصل

(١) الأحمدي ؛ الميانجي: مكاتيب الرسول ٢/ ٤٣٠

(٢) الثفروق: القمع الذي يلزق بالبسر..

(٣) يعني جعفر بن أبي طالب.

(٤) الأحمدي ؛ الميانجي: مكاتيب الرسول ٢/ ٤٤٨

لهم بنصر الله إذ آمن حاكم البلاد برسالتهم، وزوج نبيهم، وقبلها آواهم وحماهم، وبعدها زوّدهم بما يوصلهم إلى مدينة رسول الله ﷺ .

وبعدها ألا يستحق جعفر هذا الوسام الذي منحه رسول الله إيّاه؟ (ما أدري بأيّهما أسر أكثر بفتح خيبر أو بقدوم جعفر ؟.

في السّنة السّابعة للهجرة، وبعد أن نصر الله سبحانه وتعالى نبيّه، بفتح خيبر على يد رجل يحبّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كرّار غير فرّار فلم يبرح حتى فتح الحصن للمسلمين، ولم يكن ذاك سوى أخ جعفر لأمّه وأبيه علي بن أبي طالب !

تقاسمها! يا آل أبي طالب! فهذا فاتح الحبشة للإسلام قد أقبل، وهذا فاتح حصن اليهود في خيبر قد رجع مكللا بالنصر!

يقولون إنَّ النبي لما جاء جعفر، وتعانقا قال له: ألا أعطيك ؟ ألا أحبوك ؟

ظن المسلمون أنَّ النبي سيعطيه من الغنائم مما حازه المسلمون من حصون خيبر! وغفلوا أن حبوة هؤلاء السادة ليست حطام الدنيا، فهي عندهم لا تعدل جناح بعوضة.. وإنَّما الدين والآخرة، فإذا أراد النبي أن يعطي فاطمة الزهراء فإنما يعطيها في البداية: تسبيحة الزهراء.. إذا أويتما إلى فراشكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين واحمداه ثلاثاً وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين!!

وإذا أراد أن يحبو جعفر، الذي صنع مقدمه في قلب رسول الله سروراً يعادل فتح خيبر.. تُرى ماذا سيعطيه ؟

إنها صلاة جعفر الطّيّار..

ما هي صلاة جعفر؟

« تُسمّى صلاة التسبيح وصلاة الحبوة، وهي من المستحبّات الأكيدة، ومشهورة بين العامّة والخاصّة، والأخبار متواترة فيها، فعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام أنّه قال رسول الله ﷺ لجعفر: ألا أمنحك ألا أعطيك ألا أحبوك؟ فقال له جعفر: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: فظن النّاس أنّه يعطيه ذهبًا وفضّة، فتشوَّف الناس لذلك، فقال له: إنّي أعطيك شيئا إن أنت صنعته كلّ يوم كان خيرًا لك من الدنيا وما فيها، فإن صنعته بين يومين غفر الله لك ما بينهما، أو كلّ جمعة أو كلّ شهر أو كلّ سنة غفر لك ما بينهما »، وفي خبر آخر قال: « ألا أمنحك ألا أعطيك ألا أحبوك ألا أعلمك صلاة إذا أنت صلّيتها لو كنت فررت من الزّحف وكان عليك مثل رمل عالج وزبد البحر ذنوبًا غفرت لك؟ قال. بلى يا رسول الله » والظاهر أنّه حباه إياها يوم قدومه من سفره وقد بشّر ذلك اليوم بفتح خيبر، فقال ﷺ : والله ما أدري بأيّهما أنا أشدّ سرورًا بقدوم جعفر أو بفتح خيبر، فلم يلبث أن جاء جعفر

فوثب رسول الله ﷺ فالتزمه وقبّل ما بين عينيه، ثم قال: ألا أمنحك (الخ).

وهي أربع ركعات بتسليمتين، يقرأ في كل منها الحمد وسورة، ثم يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » خمس عشرة مرة، وكذا يقول في الركوع عشر مرّات، وبعد رفع الرأس منه عشر مرّات، وفي السجدة الأولى عشر مرات، وبعد الرفع منها عشر مرات، وكذا في السجدة الثانية عشر مرات، وبعد الرفع منها عشر مرات، ففي كل ركعة خمسة وسبعون مرة، ومجموعها ثلاثمائة تسبيحة»[1].

ولها طريقة أخرى لو كان مستعجلا، وهي أن يصلي الركعات الأربع ؛ ركعتين ركعتين كصلاة الصبح ثم يسبح التسبيحات الثلاثمائة، وهو جالس أو ماش أو غير ذلك!

جعفر وأسرته:

عاد جعفر بن أبي طالب إلى المدينة تصحبه زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية وأبناؤه الذين قيل إنَّهم كلّهم قد ولدوا في الحبشة (خلال فترة السنوات الخمسة عشر التي كان فيها) ؛ عبد الله وسيأتي عرض لسيرة حياته في صفحات قادمة. ومحمد بن جعفر. وعون.

الشهادة في مؤتة:

لم يكن جعفر بالذي يجلس في منزله ويتقاعد (!) بعد الجهد الموفق والدور المهم الذي قام به في الحبشة، وإنَّما يعمل بما جاء في كتاب ربّه (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) بناء على تفسيرها بأنّ المؤمن إذا فرغ من عمل فلينتصب لعمل آخر!

وهكذا كان فما هي إلا بضعة أشهر، حتى تجهّز لقيادة الجيش الذّاهب لقتال الروم، وليلتقوا في مؤتة.

ومؤتة: بلدة قرب البحر الميّت، تقع في داخل الاردن ـــ حاليًّا ـــ. شهدت معركة قويّة بين المسلمين وبين مشركي الرّوم وأتباعهم من العرب من حلفاء الغساسنة، وقيل إنّ السبب في نشوبها أنَّ النبي كان قد وجه رسله ومبعوثيه بعد صلح الحديبية إلى قادة ورؤساء المناطق والدول في تلك الفترة، يدعوهم فيها إلى الإيمان بالله وترك الحرّيّة للناس في أن يختاروا الدّين الإلهي، فبعث إلى قيصر الشام وكسرى الفرس ومقوقس الاسكندرية وبينما رد قيصر والمقوقس وغيرهم باحترام على كتب رسول الله ﷺ، أساء كسرى الرّدّ، وأفحش شرحبيل بن عمرو الغساني عامل هرقل على بصرى (الشام) في الرّدّ عندما أمر بقتل رسول النبي ﷺ، وكانت الرسل لا تقتل عندهم، مهما كانت عداوة الطرفين..

على أثر ذلك أمر النّبي بتجهيز جيش لمواجهة هذا الاعتداء الغاشم، فاجتمع لهذا الغرض ثلاثة آلاف مقاتل،

(١) السيستاني ؛ السيد علي: تعليقة العروة الوثقى ٢/ ٣٤٨

وساروا باتجاه الموضع الذي قتل فيه رسول النبي، وقد أمّر النبي ﷺ ثلاثة من القادة على هذا الجيش بالترتيب، كلما استشهد أحدهم قام الثاني مكانه، وقد اختلف فيمن كان الأوّل هل هو زيد بن حارثة الشّيباني والثاني جعفر بن أبي طالب أو العكس، لكن الثالث بالاتفاق كان عبد الله بن رواحة.

وقد وصلت أخبار هذا الجيش إلى الغسانيين بل إلى الرّوم فجمعوا عددًا ضخمًا جدًّا من المقاتلين لمواجهة المسلمين.. ويرى بعض الباحثين أنّ العدد الذي يذكر عن جموع المشركين من عرب وروم مبالغ فيه للغاية حيث يذكر أنَّهم من مائتي ألف إلى أربعمائة وخمسين ألفا!![1]

ويقال أنَّ المسلمين قبل المواجهة تناقشوا وقد رأوا جموع الرّوم وأحلافهم، عظيمة العدد في جدوى الاقدام على القتال، ولكن القائد عبد الله بن رواحة حسم الأمر في أنَّ المسلمين لم يكن نصرهم بكثرة عدو وإنَّما بصدق نيّة وعون من الله.. فكان هذا صاعق الحماس، والتحم الجيشان في ملحمة بطولية سطّرها المسلمون ــ على قلة عددهم ــ وكثرة عدوّهم فإنَّنا وإن شككنا في دقّة الأعداد التي ذكرها المؤرخون إلا أنّها كانت أضعاف عدد المسلمين بلا ريب!

وضحّى المسلمون بالكثير من الشهداء في هذه المواجهة، ولم يكن متوقّعًا غير ذلك فإنّه (إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا).[2]

لا ينبغي أن يتوقّع المسلم أنّه في حالة نصر خارجي دائمة، وإنَّما الدنيا دول، فتارة للمسلمين وأخرى لعدوّهم، والمسلمون في كلتا الحالتين فائزون!

ولم يكن القادة المخلصون في آخر الصفوف، بل متى اقتضى الأمر كانوا في المقدّمة يبعثون الحماس والنشاط ويسابقون غيرهم للشهادة، وهكذا فقد استشهد زيد بن حارثة، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وواجه الروم وهو ينشد:

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دَنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

---

(١) تشير بعض الدراسات إلى أن المبالغة في العدد لها أسباب مختلفة، فمنها عدم انتهاج منهج علمي في الاحصاء والتقدير وإنما هو الاعتماد على البصر المجرد، ولهذا تجد الاختلاف الكبير الذي قد يصل أحيانا إلى الضعف في العدد! ومنها ما يرتبط بالتوظيف المطلوب للعدد فإن العدد الضخم الذي يتجاوز الواقع يخدم من يعظمه وذلك إنه إن انتصر عليه سيكون بطلا عظيما أن ينتصر بالعدد القليل على العدد الكثير، ولهذا نعتقد أنهم في الغالب يعظمون من خسائر العدو ويقللون من خسائر الذات، لهذا قال الأكثر أن عدد قتلى المسلمين في معركة مؤتة كانت بحوالي ١٠ شهداء، بينما عدد قتلى المشركين كان ٣٠٠٠ قتيل وهو أمر يصعب تصديقه! وإن انهزموا إمامهم فإن كثرة العدو المبالغ فيها قد تكون شفيعا لهم في هذه الهزيمة، فسيكون من التبرير المنطقي أن ٣٠٠٠ مقاتل لا يمكن أن يثبتوا إمام أربعمائة ألف أو مائتي ألف!!على أن تجهيز هذا العدد ـ إذا فرضناه ٤٠٠ ألف ـ من الناحية البشرية والعسكرية واللوجستية خلال فترة قصيرة من الزمان هي ما بين حركة جيش المسلمين من المدينة إلى وصوله إلى قرب منطقة المواجهة ووصول الخبر للعدو وهي قد لا تصل إلى شهر من الزمان، مما يكون غير معقول بالنظر العسكري، كما يراه الخبراء في هذا الجانب!

(٢) النساء / ١٠٤

وحمي وطيس القتال، ولم يبقَ فيه أمل في النجاة والحياة، فنزل عن فرسه وعقرها (أو عرقبها)[1] وقاتل فقطعت يمينه فأخذ السيف بشماله وظل يقاتل فقطعت الشمال.. وقاتل حتى استشهد.

عقر الفرس أو عرقبها ؟

المشهور في الروايات أنَّ جعفراً ﷺ، قد عرقب الفرس يعني ضرب بالسيف قوائمها الخلفية، وهنا دار كلام بين الباحثين في مشروعية هذا العمل على فرض حصوله! وقد أشار السيد جعفر العاملي إلى هذا الخلاف ونقل جملة من أقوال وآراء الفريقين، فقد علّل القائلون بحصول ذلك ــ وهو المشهور ــ بأنّه لو غلب على ظنّ المقاتل المسلم أنَّ العدو الكافر يمكن أن يستفيد من فرس المسلم في قتال المسلمين، وأن يتقوّى به عليهم، جاز له قتل ذلك الفرس، لتعارض المصلحتين هنا، فمن جهة: مفسدة إيذاء الحيوان بعرقبته وقطع رجله، تعارضها مفسدة تقوي وانتصار الكفار على المسلمين، ولا ريب أنَّ الثانية أشدّ وأقوى، وأنّ الأولى أضعف وأهون!

بينما ذهب غيرهم ــ ومنهم السيد العاملي ــ إلى أنّه لم يحصل ذلك، وإنّما عقر جعفر فرسه أي ذبحها لأنّه هو الأنسب بأخلاق جعفر الطيار.. لوجود النّهي الشرعي عن إيذاء الحيوان (رسول الله ﷺ : إذا حرنت على أحدكم دابّته، يعني إذا قامت في أرض العدو فليذبحها، ولا يعرقبها).[2] وعقر الفرس أي ذبحها فيه معنى إفهام عدوّه مدى تصميمه في حربهم، و مدى تفانيه في الأهداف التي يُحارب من أجلها..[3]

والذي يبدو بالنظر أنَّه لا مانع من الالتزام بما ورد من عرقبته فرسه، للجهة التي أشار إليها غير واحد من أنّه لو غلب على ظنّ المقاتل أنَّ العدو سينتفع بالفرس للتقوي ضد المسلمين، فإنّه يجوز له عرقبته ومسح رجليه بالسيف ـ وبهذه الجهة يرتفع النّهي، وقد أشار إليه الشهيد الثاني في شرح اللمعة فقال في أحكام القتال في ذكر المكروهات «.. وأن يعرقب المسلم الدّابة ولو وقفت به، أو أشرف على القتل، ولو رأى ذلك صلاحًا زالت (الكراهة) كما فعل جعفر بمؤتة. وذبحها أجود «.[4]

هذا مع وجود رواية صريحة بفعله ذاك، فعن أبي عبد الله الصادق ﷺ أنّه قال:(لما كان يوم مؤتة كان جعفر بن أبي طالب على فرس فلما التقوا نزل عن فرسه فعرقبها بالسيف، فكان أول من عرقب في الإسلام).[5]

---

(١) عَرْقَبَ الدَّابَّةَ: قطعَ عُرْقوبَها وعُرْقوبُ الدَّابةِ في رِجْلِها: بمنْزِلَةِ الرُّكْبَةِ في يَدِها.. وعقرها: ذبحها

(٢) العاملي ؛ الحر: وسائل الشيعة ٢٤/ ٩١ (آل البيت)

(٣) العاملي: جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢٠/ ٣٠

(٤) الشهيد الثاني: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ٢ / ٣٩٤ طبعة السيد كلانتر

(٥) الكليني ؛ محمد بن يعقوب: الكافي ٥/ ٤٩ طبع دار الإسلامية وتهذيب الأحكام ٦/ ١٧٠.. وهي معتبرة على مسلك القائلين بتوثيق رواة كامل الزيارات وتفسير القمي، وليس فيها من يتوقف فيه غير الحسين بن يزيد النوفلي، وقد رأى البعض قبول رواياته، بغض النظر عن مسلك التوثيق العام لما في الكتابين. وأما في مصادر مدرسة الخلفاء فتكاد لا تجد ذاكرا لمعركة مؤتة منهم إلا وذكر هذه القضية.

استشهد جعفر بن أبي طالب، ولم يكن يليق به غير ذلك، ولم يخلق هؤلاء الأفذاذ إلا ليكونوا قدوات للإنسان على مرّ التاريخ، في الفداء والتّضحية..وحاز منزلة لم يسبقه بها أحد حتى ذلك الوقت، فقد عوّضه الله جناحين يطير بهما في الجنة!

ويشير مولانا أمير المؤمنين ﷺ إلى هذه الخصيصة الثابتة لأهل البيت من الله عز وجل فيقول: " أوَ لا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلٍّ فضلٌ حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين"؟[1]

سلام على أبي المساكين، ذي الجناحين، أخي الوصي أمير المؤمنين!

(١) الرضي ؛ الشريف: نهج البلاغة (ط دار الكتاب اللبناني) ١/ ٣٨٦

دور خطب السيدة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء

د. خديجة حسن علي القصير

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صحابته الغر الميامين.

تعدّ الخطب وسيلة لنقل الأفكار والمعاني التي يترجمها الفرد معبره عن سلوكه وتحمل بين حروفها دلالات مختلفة تبعاً لقصد المتكلم، فهي أداة للتواصل بين ملقي الكلام (الخطب) ومتلقيه ونتاج الفكر ووسيلة التوصيل. وخطب السيدة زينب عليها السلام كانت تحمل في مضمونها رسالة إعلامية هدفها هو المستقبل وهو أن تحدث تاثيراً كاملاً في المجتمع الذي تبلغ فيه، فخطبتها التي ألقتها في مجتمع الكوفة الذي هو أوّل التجمعات البشرية المنشودة في رسالة السيدة زينب عليها السلام فهو تجمّع بشري قد جلس تحت منبر أمير المؤمنين علي عليه السلام فلا يحتاج إلى من يرشده إلى مكانة الإمام علي عليه السلام وولديه الحسنين عليهما السلام، فهم يعون جيّداً أنَّ البيت العلوي أولى من غيره في إدارة شؤون المسلمين عسكريّاً واقتصادياً ودينياً، ولكنهم اعترتهم حالة نسوا فيها أنفسهم بفعل تأثير الإرهابي الحاقد ابن مرجانة والي يزيد على الكوفة آنذاك، فسقاهم الذّلّ والهوان، ففرّق شعورهم بالقتل مرة، وبشراء مشاعرهم بالأموال مرَّة أخرى، وبالمناصب ثالثاً، فهووا للحضيض من جرّاء الخلل النفسي الذي انتابهم، وفقدوا إرادتهم حتَّى صاروا لايشعرون[1] حيث بيّنت لهم أنَّ الحكم الأموي قد انحرف عن الخط الذي رسمه النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فحكم باسم الإسلام؛ لا في تشريعاته ومعطياته .

لقد كان للخطاب الزينبي دورٌ واضحٌ في تأليب الرّأي العام ضدّ الأمويين من خلال اتجاهين يشكّلان النواة الرّئيسية لمدرسة السّيّدة زينب عليها السلام التي عرفت بمدرسة عاشوراء المتجولة ألا وهما: الاتجاة الاجتماعي، والاتجاه الفكري، ولا عجب في ذلك فهي غراس علي عليه السلام وبذلك فقد مارست دورها بكلّ ثبات .

---

(١) أبو سعيدة، السيد حسين، هكذا انت.. يا بطلة كربلاء، ط٤، مؤسسة عاشوراء،مؤسسة المكتبة الوثائقية التاريخية، النجف الاشرف، ٢٠٠٤، ص٦٩.

المبحث الأوّل: مفهوم الخطب

أوّلًا: الخطب في اللغة والاصطلاح

الخطبة في اللغة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع [١].

وخطب الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح، وخطبة، بالضم، وذلك الكلام:خطبة أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة [٢]. وقال الأزهري: الخطبة مثل الرّسالة التي لها أوّل وآخر، وأن الخطبة مصدر الخطيب: لايجوز إلَّا على وجه واحد، وهو أنَّ الخطبة:اسم للكلام الذي يتكلّم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر. وقال الليث: الخطاب: مراجعة الكلام، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطاب[٣] .

وخطب الناس، وفيهم وعليهم خطابة، وخطبة: ألقى عليهم خطبة، وخطب خطابة صار خطيباً والخطيب الحسن الخطبة ومن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره والمتحدث عن القوم[٤].

والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً، وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب: يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة[٥]. وذكر الزمخشري في ذات المادة: خاطبه فأحسن الخطاب أي: المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة وكثر خطابها[٦].

والخطبة هي الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم . والخُطبة: كلام يُلقى في جموع الناس، بهدف إقناعهم بالفكرة التي يدعو إليها الخطيب، والتأثير فيهم بما يبديه من حُجَج وغيرها، ومن ثَمَّ استمالة عواطفهم للوقوف إلى جانبه في تأييد فكرته، والعمل على حسب ما يدعو إليه. والخطبة بالضم هي

---

(١) ينظر: ابن منظور، العلامة ابن منظور (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، نسق وعلق عليه ووضع فهارسه:علي شيري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٨، ج٤، ص ١٣٦ .

(٢) الفيروز أبادي، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨٠٧هـ)، معجم القاموس المحيط، رتبه وصححه: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ٢٠١٢، ص ٣٩٣ .

(٣) ينظر: الأزهري، ابي منصور محمد بن احمد (ت:٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، إشراف: محمد عوض مرعب، علق عليها:عمر سلامي،عبد الكريم حامد، تقديم: الأستاذة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠١، المجلد السابع، ص ١١٢؛الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:الدكتور نواف الجراح، مراجعة: الدكتور سمير شمس، دار صادر، بيروت- لبنان، ٢٠١١، ج٣، ص ٧٢٢ .

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر،محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول- تركيا، بلا.ت، ج١، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٥) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خطب .

(٦) أساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت،د.ت، ص ١١٤ .

عبارة عن كلام مشتمل على البسملة، والحمدلة، والثناء على الله تعالى بما هو أهله، والصلاة على النبي ﷺ وتكون في أول الكلام . ثم إنَّ خطبة المنابر غير خطبة الدّفاتر، لأنَّ خطبة المنابر تشتمل على ماذكرنا، مع اشتمالها على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكير ونحو ذلك، بخلاف خطبة الدفاتر، فإنَّها بخلاف ذلك. وأنّ خطبة الكتب، إن ألحقت بها بعد تصنيفها وتأليفها بان ألف المؤلف كتابه أوّلاً، ثم ألحقه الخطبة تسمّى خطبة الحاقية، وإن كتب أولا ثم ألف الكتاب تسمى خطبة ابتدائية [1].

وعرَّف عبد الجليل شلبي (الخطابة) بأنَّها: « أصول وقواعد ترشد الإنسان إلى فن مخاطبة الجماهير، بطريقة إلقائية، تشتمل على الإقناع والاستمالة». وعرَّفها أبو زهرة، بأنَّها: «صفة راسخة في نفس المتكلِّم، يقتدر بها على التصرُّف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم"[2].

ثانياً: شروط الخطبة

لكي يكون الإلقاء الخطابي ناجحاً لا بُدَّ من وجود شرطين أساسين فيه، وهما: الإقناع والاستمالة؛ وذلك أنَّ كثيراً من الناس قد يقتنعون بأشياء في قرارة أنفسهم، ويوقنون بخطورة ما يصنعون، كشارب الخمر والدخان؛ ولكن هذه القناعة لا تغيِّر في سلوكهم شيئاً، ولا تدفعهم إلى التخلي عما هم فيه وَفق هذه القناعة، والعمل بما فيها. بل يحتاجون إلى قوة تأثيرية معيَّنة تدفعهم إلى الإقدام والصمود، ومغالبة العادة والإغراء الذي يوقعهم في الباطل[3].

لعبت الخطبة دوراً أساسياً في مجال الإعلام ومجال الدعاية في تاريخ العرب الديني والسياسي إذ لا يقلّ في خطورته عن دور القصيدة الشعرية ما لم يكن أكبر منه، فالخطبة منذ ظهور الإسلام وهي الوسيلة الأولى من وسائل الإعلام التي اعتمد عليها صاحب الدعوة الرسول الأعظم محمد ﷺ في نشر الدين الجديد وفي شرح المبادئ التي نادى بها في الجزيرة العربية[4].

مما تقدم يتبين لنا أهمّيّة الخطبة كونها من حيث المساحة الأدبية تأتي في الدرجة الثانية بالقياس مع الشعر؛ لأنَّها تمتاز بالمواجهة المباشرة مع الجمهور لذلك لابُدَّ أن يراعي الخطيب الآداب العامّة للمخاطبة لكي يصل تأثير خطبته سريعًا إلى الجمهور .

---

(١) التهانوي، الشيخ العلامة محمد علي بن علي بن محمد الحنفي(ت: ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه: احمد حسن سبج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨، ج٢، ص ٩.

(٢) شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، دار القلم، ١٩٨٢، ص ١٥.

(٣) انظر: خالد القريشي، الإلقاء الخطابي، دار العاصمة، ٢٠٠١م، ص ١٥.

(٤) حمزة، الدكتور عبد اللطيف، الاعلام والدعاية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨، ص٨٠ .

أنواع الخطب:

أنواع الخطب كثيرة إلَّا أنّه يمكن إرجاعها الى ثمانية أنواع، وهي تشترك فيما بينها بأمور، وتختلف في أخرى . أما الأمور التي تتفق فيها فهي القواعد العامة للخطابة؛ والأنواع الثمانية هي:

- الخطب الدينية: ويلحق بها مجالس التعزية.
- الخطب السياسية، ويلحق بها الخطب البرلمانية.
- الخطب العسكرية:ويلحق بها خطب الفتوحات.
- خطب المنافرات والمفاخرات.
- خطب المناسبات والأعياد وتشمل:
- خطب المحافل
- خطب التكريم والمدح والتهنئة
- خطب النكاح والأصهار
- خطب الرثاء والعزاء
- الخطب الشرعية وتشمل:
- خطب صلاة الجمعة
- خطب الأعياد (عيد الأضحى وعيد الفطر)
- خطب المرافعة والاتهام: وتشمل الخطب القضائية
- الخطب العلمية:وتشمل خطب المناظرات [1].

وأوجه التداخل بين هذه الخطب أنَّ الخطبة الاجتماعية تشمل السياسية والقانونية، والخطبة الدينية تشمل كل تلك الأنواع بما فيها الخطبة القضائية؛ لأنَّ القانون من الدّين وهكذا[2].

---

(١) انظر: البدوي، الشيخ إبراهيم، فن الخطابة، ط٣، دار المحجة البيضاء، بيروت-لبنان،٢٠٠٨، ص ٨٣-٨٤ .

(٢) شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٠٣ .

المبحث الثاني: خطب السيدة زينب عليها السلام

المطلب الأول: شخصية السيدة زينب ويشمل

أولًا: اسم السيدة زينب عليها السلام وولادتها

وضعت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وليدتها المباركة التي لم تولد مثلها امرأة في الإسلام إيماناً وشرفاً وطهارة وعفة وجهاداً، وقد استقبلها أهل البيت عليهم السلام وسائر الصّحابة بمزيد من الابتهاج والفرح والسرور، وأجرى أمير المؤمنين عليه السلام على وليدته المراسيم الشرعية، فأذّن في أذنها اليمنى، وأقام في اليسرى . لقد كان أوّل صوت قرع مسامعها هو: الله اكبر، لا إله إلا الله «، وهذه الكلمات أنشودة الأنبياء، وجوهر القيم العظيمة في الأكوان[1].

لما ولدت السّيّدة زينب عليها السلام جاءت بها أمّها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت سمّ هذه المولودة، فقال ماكنت لأسبق رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وكان في سفر له ولمّا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأله علي عليه السلام عن اسمها فقال ماكنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل وقال له سمّ هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين[2].

أمّا عن ولادتها فقد اختلف المؤرّخون في تاريخ ولادتها عليها السلام الميمونة، فالبعض منهم قال إنَّها ولدت في السنة الخامسة للهجرة في الخامس من جمادى الأولى، وهو القول المشهور في ولادتها[3]، والبعض الآخر يورد أنَّ ولادتها في السنة الخامسة للهجرة دون تحديد اليوم[4]، كما قيل في ولادتها مطلع شعبان[5]، وأورد البعض أنَّ ولادتها في السنة السادسة للهجرة[6]، وذكر البعض أنَّ ولادتها كانت قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين[7]، وأشار البعض الآخر إلى أنَّ ولادتها في رجب سنة تسع للهجرة، وتفنّد الباحثة هذا الرأي وتعتمد في ذلك على ما أورده جعفر النقدي بقوله: وهذا القول غير صحيح؛ لأنَّ فاطمة عليها السلام استشهدت بعد والدها في السنة

(١) انظر: القرشي، باقر شريف، السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام،بلا.مط،بلا.م،بلا.ت، ص ٣٤.

(٢) النقدي، الشيخ جعفر، زينب الكبرى عليها السلام بنت الإمامأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام،ط٣، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، بلا.ت، ص ١٦ – ١٧ .

(٣) النقدي، زينب الكبرى عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ص ١٨ .

(٤) بحر العلوم، محمد، في رحاب السيدة زينب، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٧٥،ص ١٤.

(٥) انظر: عيسى، د.زينب محمد، الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام بعد وقعة كربلاء، أطروحة دكتوراه منشورة، الجامعة الإسلامية، جمعية السيدة زينب عليها السلام الخيرية، ٢٠١٢، ص ١١٧ .

(٦) عبد الرحمن،عائشة(بنت الشاطئ)، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء عليها السلام، ط٢، منشورات مكتبة الأندلس، بيروت-لبنان، بلا.ت، ص ١٣ .

(٧) ابن كحالة، عمر رضا، اعلام النساء، المطبعة الهاشمية، دمشق-سورية، ١٩٤٠م، ج١، ص٥٠١ .

العاشرة أو الحادية عشرة على اختلاف الرّوايات، فإذا كانت ولادة السيدة زينب في السنة التاسعة وهي كبرى بناتها فمتى كانت ولادة أم كلثوم، ومتى حملت بالمحسن وأسقطته لستة أشهر»[١]. وأشارت بعض الروايات إن النبي محمد ﷺ ضمها عند ولادتها، وأخذ يقبلها ثم قال: أوصيكم بها، فإنها شبيهة جدتها خديجة الكبرى» [٢].

ثانياً: كناها وألقابها

كُنّيت الصّدّيقة الطاهرة زينب عليها السلام بـ(أم كلثوم) [٣]، وقد وُجِدَ في كتب التراجم اضطراب شديد حول هذا الاسم وهذه الكنية، فالمشهور إنَّ السيدتين: زينب وأم كلثوم بنتان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من السيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام [٤]، لذلك فقد جهد المحققون في إثبات هذه الكنية، وذلك للتأكيد على أنَّها التي رافقت أخاها الإمام الحسين عليه السلام خلال مسيرته إلى كربلاء، وشهدت معه كربلاء، ذلك أنَّ التي ألقت الخطب أمام أهل الكوفة وأمام عبيد الله بن زياد وأمام يزيد هي نفسها المكنّاة أم كلثوم وذلك للتمييز بينها وبين أختها الصغرى المسمّاة أم كلثوم[٥]، وقيل: أنّها تُكنى (أم الحسن) [٦]، ويورد النقدي في ذلك: لم نقف له على حقيقة»[٧].

أما ألقابها عليها السلام فأشهرها العقيلة[٨]، وهو وصف للسّيّدة زينب وليس اسمًا، ونجد في كتب اللغة معاني عديدة لكلمة «العقيلة» فمنها المرأة الكريمة على قومها النفيسة، المخدرة، ومعنى الكريمة: المحترمة [٩] .

كما عرفت بالعارفة، العالمة غير معلمة، الفاضلة، الكاملة، عابدة آل علي، الموثقة، وعقيلة بني هاشم، وعقيلة الطالبيين[١٠].

---

(١) النقدي، زينب الكبرى عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ص ١٨ .

(٢) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام بعد وقعة كربلاء، ص١١٨ .

(٣) القرشي، السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام،ص ٣٥.

(٤) القرشي، السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الاسلام،ص ٣٥.

(٥) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام بعد وقعة كربلاء، ص ١١٨.

(٦) القرشي، السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام،ص ٣٥.

(٧) النقدي، زينب الكبرى عليها السلام بنت الأمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ص ١٧.

(٨) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام بعد وقعة كربلاء، ص١٢١ .

(٩) القزويني، السيد محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، حققه وعلق عليه ولده: السيد مصطفى القزويني، ط٢، الناشر: دار الغدير، قم المقدسة – إيران، ٢٠٠٣، ص٣٩-٤٠ .

(١٠) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام بعد وقعة كربلاء، ص١٢١ .

ثالثاً: زواجها

لما بلغت زينب ﷺ مبلغ النساء ودخلت من دور الطّفولة إلى دور الشّباب خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل فكان أمير المؤمنين ﷺ يردّهم ولم يجب أحداً منهم في أمر زواجها، وممن خطبها ﷺ الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة فزبره أمير المؤمنين ﷺ وقال يابن الحائك أغرك ابن أبي بكر حين زوجك أخته والحائك هنا المحتال أو الكذاب وكان أبو بكر زوج أخته أم فروة بنت أبي قحافة من الأشعث وذلك إن الأشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين واسر فاحضر الى أبي بكر فاسلم وأطلقه وزوجه أخته المذكورة فأولدها محمد بن الأشعث وهو احد قتلة الإمام الحسين ﷺ، إن الذي كان يدور في خلد أمير المؤمنين ﷺ أن يزوج بناته من أبناء إخوته ليس إلا امتثالاً لقول النبي ﷺ حين نظر الى أولاد علي وجعفر وقال بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا ولذلك دعا بابن أخيه عبد الله بن جعفر وشرفه بتزويج تلك الحوراء الإنسية إياه على صداق أمها فاطمة ﷺ أربعمائة وثمانين درهماً ووهبها إياه من خالص ماله ﷺ[1].

وبهذا فقد حاز عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، والدته أسماء بنت عميس، شرف المصاهرة مع الإمام علي بن أبي طالب ﷺ[2].

وقد حفلت المصادر التاريخية في الحديث عن سيرة عبد الله بن جعفر وعرفته بأنه شخصية فذّة لها مكانتها ومنزلتها وعد تارة من أصحاب الرسول ﷺ، وأخرى من أصحاب الإمام علي ﷺ، وثالثاً من أصحاب الإمام الحسن ﷺ، وأخيراً من أصحاب الإمام الحسين ﷺ[3]. فكان عبد الله شخصية لامعة في عصره، يمتاز عن غيره نسباً وحسباً، وجوداً وكرماً، وقد كان رابط الجأش قوي القلب، شجاعاً، شملته في طفولته بركة دعاء رسول الله ﷺ وامتدّت الى آخر حياته[4]، والكرم والجود من شمائل عبد الله، حتى لقّب(بحر الجود) [5]، وقد كانت ولادته بأرض الحبشة، وكان أبو هاجر إليها، وهو أوّل مولود في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة، وكان له مع النبي ﷺ صحبه وروى عنه، وفي رواية مرفوعة الى عبد الله أنّه قال: اردفني رسول الله ﷺ وراءه ذات يوم، فاسر إلي حديثاً لا أحدّث بها أحدًا من الناس»، وفي رواية أنّه قال:" مسح رسول الله ﷺ

---

(١) النقدي، زينب الكبرى ﷺ بنت الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ، ص ٧٥-٧٦ ؛مغنية، محمد جواد، الحسين وبطلة كربلاء ﷺ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان،١٩٧٣، ص١٨٢ .

(٢) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب ﷺ بعد وقعة كربلاء، ص١٢٢ .

(٣) بحر العلوم، في رحاب السيدة زينب، ص ٣٤ .

(٤) القزويني، زينب الكبرى ﷺ من المهد الى اللحد، ص ٨٥-٨٦ .

(٥) بحر العلوم، في رحاب السيدة زينب، ص ٣٤ .

رأسي وقال:" اللهم اخلف جعفرًا في ولده"[١].

وكان عبد الله قد أذن للسيدة زينب ﷺ مرافقة أخيها الإمام الحسين ﷺ عند خروجه من المدينة، حيث أثرت المصاعب والآلام على حياة الرّخاء، مع علمها المسبق بمجريات الأحداث اللاحقة، لأخبار النبي ﷺ لها، وكذلك أبويها عنها . ومع ذلك لازمت أخاها حتى مضى شهيداً في كربلاء. وبدأت مسيرتها الجهادية التي منحتها لقب «بطلة كربلاء»[٢]، في حين إن عبد الله قد شهد الجمل وصفّين والنهروان وله فيهم ذكر مشهور[٣]، في حين لازم المدينة، وقد ردّ البعض عدم خروجه مع الإمام الحسين ﷺ لكونه كان كفيفاً، قد فقد بصره آنذاك، ويذكر الرّواة أنّه لمّا ورد عبد الله بن جعفر نعي الإمام الحسين ﷺ ونعي ولديه محمد وعون كان جالسًا في بيته، فدخل عليه الناس يعزّونه، وكان له غلام اسمه السلاس، فقال ماذا لقينا من الحسين؟ فحذفه عبد الله بنعله، وقاله له:" ياابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لما فارقته حتى أقتل معه، وقد هوّن عليّ مصابهما إنّهما قتلا مع أخي وابن عمّي، مواسين له صابرين معه، ثم قال:الحمد لله، لقد عزّ عليّ مصرع الحسين، إذا لم أكن قد واسيته بيدي، فقد واسيته بولدي[٤] .

رابعاً: أولاد السيدة زينب ﷺ

اختلف المؤرخون في عددهم وأسمائهم، فمنهم من قال إنَّها أنجبت ثلاثة ذكور وأنثى وهم علي وجعفر وعون الأكبر وأم كلثوم([٥])، ويؤيّد الطبرسي ذلك بقوله:" عليّ وجعفر وعون الأكبر، وأم كلثوم "[٦]. وأورد الدّيار بكري([٧]) أنَّ السّيّدة زينب بنت علي بن أبي طالب ﷺ أمّها فاطمة ﷺ بنت رسول الله محمد ﷺولدت عليًّا وعونًا وعبّاسًا وام كلثوم بني عبد الله بن جعفر.وذكر إنَّ علياً المعروف بالزينبي وفي نسله الكثرة والعدد، وفي ذرّيّته الذيل الطّويل والسّلالة الباقية وهو أحد إرجاء آل أبي طالب الثلاثة، كما روي إن أم كلثوم خطبها معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد، فزوّجها خالها الإمام الحسين ﷺ الى ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعمائة وثمانين درهماً ونحلها ضيعته بالمدينة[٨].وهناك من يختلف مع هذا الرّأي فيذكر أنَّ السّيّدة زينب قد

---

(١) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب ﷺ بعد وقعة كربلاء، ص١٢٢

(٢) عيسى، المرجع نفسه، ص١٢٤ .

(٣) النقدي، زينب الكبرى ﷺ بنت الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ،ص٨٧ .

(٤) النقدي، المرجع السابق،ص٨٧ ؛ عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب ﷺ بعد وقعة كربلاء، ص١٢٤-١٢٥ .

(٥) عيسى، المرجع نفسه، ص١٢٥.

(٦) أبي علي الفضل بن الحسن، إعلام الورى، قدم له: العلامة الجليل السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٣، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، النجف الأشرف، ١٩٧٠، ص ٢٠٤ .

(٧) الشيخ حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، بلا.ت، ج١، ص٢٨٤ .

(٨) عيسى، الخطاب الرسالي للسيدة زينب ﷺ بعد وقعة كربلاء، ص١٢٦؛ مغنية، الحسين وبطلة كربلاء ﷺ، ص ١٨٤ .

ولدت أربعة ذكور وأنثى وهم محمد وعلي وعباس وام كلثوم وعون الأكبر[١]. في حين البعض الآخر من المصادر لم يورد عدد أولادها ﷺ ويكتفي بذكر زوّجها أبوها علي بن أبي طالب ﷺ ابن أخيه عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً»[٢]، ويكتفي الزركلي في كتابه الأعلام بأنَّ السّيّدة زينب ﷺ ولدت بنتًا تزوّجها الحجاج بن يوسف ولم يورد أيّ ذكر لأولادها ﷺ الآخرين[٣].

خامساً: وفاة السّيّدة زينب ﷺ

تعدّدت المرويّات التاريخية واختلف رواتها فيما بينهم حول تحديد تاريخ محدّد لوفاة السيدة زينب ﷺ بنت علي بن أبي طالب ﷺ فلم تتّفق رواياتهم على تاريخ واحد لوفاتها، ومنهم الدّيباجي الذي صرّح بأنَّ وفاتها ﷺ كانت سنة ٦٢ هـ معتمداً في ذلك على رواية نقلها عن النّسّابة العبيدي المتوفى في سنة ٢٧٧هـ في كتابه «أخبار الزّينبيّات»[٤] .

في حين يورد البعض الآخر أنَّها ﷺ توفّيت في يوم الخامس عشر من رجب عام ٦٥ هـ أي أنَّها عاشت بعد أخيها ﷺ أربع سنوات وستّة أشهر وخمسة أيّام [٥].

ويذكر البعض الآخر أنَّ بعد رجوع أهل البيت ﷺ من الشام إلى المدينة بأربعة أشهر توفّيت السّيّدة أمّ كلثوم ﷺ وبعد وفاة السيدة أمّ كلثوم ﷺ بثمانين يوماً توفّيت السيدة زينب ﷺ [٦].

وعليه يكون عمرها عند وفاتها ٥٦ عاماً وبضع شهور وعمرها حين كانت في كربلاء ٥٥ عاماً .

المطلب الثاني:خطب السّيّدة زينب ﷺ

قبل البدء لابُدَّ لنا من القول إنَّ خطب السيدة زينب ﷺ وماجاء فيها من نصّ يأتي بعد القرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف، ويضارع خطب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكيف لا وهي ابنته وتلميذته في الحياة، وقد ارتقى نصّها رُقيّاً رائعاً في التراث الإسلامي، وكانت الفنية والعناية بالألفاظ من أبرز سماته، فكان بياناً رائعاً مؤثراً في النفوس وسيبقى تتداوله ألسن محبّي آل بيت رسول الله ﷺ حتى يوم القيامة؛ لأنَّه خير دليل على انتصار الثورة الحسينية ورسوخها في النفس، يتمثل هذا المطلب في خطبها الثلاث الشهيرة التي ألقتها ﷺ بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ على الناس لتوضح لهم مظلومية الإمام الحسين وبأنَّه لم يكن خارجيًّا كما صوّره

---

(١) ابن كحالة، اعلام النساء، ج١، ص٥٠١ .

(٢) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي (ت:٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمر القرطبي (ت: ٤٦٣ ه)، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٣٢٨هـ، ج٤، ص٣٢١ .

(٣) خير الدين، ط٣، بلا مط، بلام، بلا.ت، ج٣، ص١٠٨ .

(٤) الديباجي، زينب الكبرى ﷺ بطلة الحرية، ص٢١١ ؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص١٠٨ .

(٥) مغنية، محمد جواد، بطلة كربلاء،ط٤، دار التيار الجديد، بيروت، ١٩٨٤ م، ص٩٠ .

(٦) الديباجي، زينب الكبرى ﷺ بطلة الحرية، ص٢١١

الأمويون فكانت بحق النّاطق الإعلامي الذي كشف زيفهم واغتصابهم للسلطة وانتهاكهم للشرعيّة.

ونظراً لسعة الموضوع واتساعه ولأنَّ خطب السيدة زينب ﷺ قد حازت على اهتمام المؤلّفين والكُتّاب المحدثين بالدراسة والتحليل لمحتوى تلك الخطب ولما كان لها من تأثير في مجتمع ذلك العصر وحتّى عصرنا الحالي ارتأت الباحثة أن تقوم في هذا المبحث بالإشارة الطفيفة إلى نصّ كلِّ خطبة من هذه الخطب بدون تحليل، والتركيز على خطبة واحدة سوف تكون موضوع الدِّراسة ألا وهي خطبتها في أهل الكوفة؛ لما احتوته من قيم ولما رسخته في عقيدة المجتمع الكوفي[1].

أوّلاً: خطبة السّيّدة زينب ﷺ في أهل الكوفة

نص الخطبة:" الْحَمْدُ لله، وَالصَّلاَةُ عَلَىَ جَدِّي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ.اَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ والْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟! فَلَا رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ، ولَا هَدَأَتِ الرَّنَّةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ.أَلاَ وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالنَّطَفُ، وَالصَّدْرُ الشَّنِفُ، وَمَلَقُ الإِمَاءِ، وَغَمْزُ الْأَعْدَاءِ؟! أَوْ كَمَرْعىً عَلَىَ دِمْنَةٍ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَىَ مَلْحُودَةٍ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ.أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟! إِيْ وَاللهِ فَابْكُوا كَثِيراً، واضْحَكُوا قَلِيلاً، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا، وَلَن تَرْحَضُوهَا بِغَسْلٍ بَعْدَهَا أَبداً، وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلاَذِ خِيرَتِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَارِلَتِكُمْ، وَمَنَارِ حُجَّتِكُم، وَمِدْرَةِ سُنَّتِكم.أَلاَ سَاءَ مَا تَزِرُونَ، وَبُعْداً لَكُمْ وَسُحقاَ، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ الله، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ.وَيْلَكُمْ يَا أَهلَ الْكُوفَةِ، أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ الله فَرَيْتُم؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟! وَأَيِّ حُرْمَةٍ لَهُ انتَهَكْتُمْ؟! لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا صَلعَاءَ عَنْقَاءَ سَوْدَاءَ فَقْمَاءَ.وَفِي بَعْضِهَا:خَرْقَاءَ شَوْهَاءَ، كَطِلاَعِ الأَرْضِ وَمِلاءِ السَّمَاءِ.أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَماً، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزىَ وَأَنْتُمْ لاَ تُنْصَرُونَ، فَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكُمْ الْمُهلُ، فَإِنَّهُ لاَ يَحْفُزُهُ الْبِدَارُ وَلا يَخَافُ فَوْتَ الثَّارِ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالأِمْرِصَادِ»[2].

ثانياً: خطبة السيدة زينب ﷺ في مجلس عبيد الله بن زياد

روى السيّد ابن طاووس: «أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ جَلَسَ فِي الْقَصْرِ لِلنَّاسِ وَأَذِنَ إِذْناً عَامّاً، وَجِيءَ بِرَأْسِ الحُسَيْنِ ﷺ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُدْخِلَ نِسَاءُ الحُسَيْنِ وَصِبْيَانُهُ إِلَيْهِ، فَجَلَسَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ ﷺ مُتَنَكِّرَةً، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ:

(١) وقد اشير لذلك في العدد السابق.

(٢) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ص ١٩٢-١٩٣ ؛ حساني، محمد شراد، قصص السيدة زينب ﷺ، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٢٤-١٢٥ .

هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي فَضَحَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ. فَقَالَتْ: إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا. فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ الله بِأَخِيكِ وَأَهْلِ بَيْتِكِ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ الله بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلْجُ[١] يَوْمَئِذٍ، هبلتك[1] امك يا ابن مرجانة . قَالَ: فَغَضِبَ وكَأَنَّهُ هَمَّ بِهَا، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ حُرَيْث: إِنَّهَا امْرَأَةٌ، وَالمَرْأَةُ لَا تُؤَاخَذُ بِشَيْءٍ مِنْ مَنْطِقِهَا. فَقَالَ لَهَا ابْنُ زِيَادٍ: لَقَدْ شَفَى الله قَلْبِي مِنْ طَاغِيَتِكِ الحُسَيْنِ وَالْعُصَاةِ المَرَدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكِ. فَقَالَتْ: لَعَمْرِي، لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي، وَقَطَعْتَ فَرْعِي، وَاجْتَثَثْتَ أَصْلِي، فَإِنْ كَانَ هَذَا شِفَاءَكَ فَقَدِ اشْتَفَيْتَ. فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: هَذِهِ سَجَّاعَةٌ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ سَجَّاعاً شَاعِراً.فَقَالَتْ: يَا بْنَ زِيَادٍ مَا لِلْمَرْأَةِ وَالسَّجَاعَةَ[2].

ثالثاً: خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد بن معاوية الرواية التي نقلها ابن طاووس:" الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ، وَصَلَّى لله عَلَى جَدِّي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَدَقَ لله سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ يَقُولُ:

(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ الله... أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهَّ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ).

أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقاً فِي قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ، أَنَّ بِنَا مِنَ الله هَوَاناً وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةً وَامْتِنَاناً؟؟ وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ؟؟ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عِطْفٍ، تَضْرِبُ أَصْدَرَيْكَ فَرِحاً وَتَنْفُضُ مِدْرَوَيْكَ مَرِحاً حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَّسِقَةً وَحِينَ صَفِيَ لَكَ مُلْكُنَا وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا.

فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلًا! أَنَسِيتَ قَوْلَ الله:

(وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ)

أَمِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ الله سَبَايَا؟؟ قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ يَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاقِلِ وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ الْمَنَاهِلِ وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ وَالدَّنِيُّ وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ، عُتُوّاً مِنْكَ عَلَى اللهَّ وَجُحُوداً لِرَسُولِ اللهَّ وَدَفْعاً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهَّ، وَلَا غَرْوَ مِنْكَ وَلَا عَجَبَ

---

(١) وقد وردت: ثكلتك امك يا ابن مرجانة وذلك في رواية ابن اعثم: الكوفي، ابن اعثم، مقتل الحسين عليه السلام وقيام المختار، انتشارات انوار الهدى، ط٢، المطبعة مهر، ١٤٢٤ هـ.ق،ص ١٥٦ .

(٢) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ص ٢٠١-٢٠٢ .

مِنْ فِعْلِكَ.

وَ أَنَّى يُرْتَجَى مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعَدَاءِ وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمَعَ الْأَحْزَابَ وَشَهَرَ الْحِرَابَ وَهَزَّ السُّيُوفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ أَشَدُّ الْعَرَبِ للهِ جُحُوداً وَأَنْكَرُهُمْ لَهُ رَسُولًا وَأَظْهَرُهُمْ لَهُ عُدْوَاناً وَأَعْتَاهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْراً وَطُغْيَاناً.

أَلَا إِنَّهَا نَتِيجَةُ خِلَالِ الْكُفْرِ، وَضَبٌّ يُجَرْجِرُ فِي الصَّدْرِ لِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ! فَلَا يَسْتَبْطِئْ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ كَانَ نَظَرُهُ إِلَيْنَا شَنَفاً وَشَنْآناً وَأَحَناً وَضَغَناً يُظْهِرُ كُفْرَهُ بِرَسُولِهِ وَيُفْصِحُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ فَرِحاً بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَسَبْيِ ذُرِّيَّتِهِ غَيْرَ مُتَحَوِّبٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ:

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً وَ لَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلَّ

مُنْتَحِياً عَلَى ثَنَايَا أَبِي عَبْدِ اللهِ وَكَانَ مُقَبَّلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَنْكُتُهَا بِمِخْصَرَتِهِ، قَدِ الْتَمَعَ السُّرُورُ بِوَجْهِهِ! لَعَمْرِي لَقَدْ نَكَأْتَ الْقُرْحَةَ وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأفَةَ بِإِرَاقَتِكَ دَمَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَابْنِ يَعْسُوبِ الْعَرَبِ وَشَمْسِ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهَتَفْتَ بِأَشْيَاخِكَ وَتَقَرَّبْتَ بِدَمِهِ إِلَى الْكَفَرَةِ مِنْ أَسْلَافِكَ ثُمَّ صَرَخْتَ بِنِدَائِكَ وَلَعَمْرِي قَدْ نَادَيْتَهُمْ لَوْ شَهِدُوكَ وَوَشِيكاً تَشْهَدُهُمْ وَيَشْهَدُوكَ، وَلَتَوَدُّ يَمِينُكَ كَمَا زَعَمْتَ شُلَّتْ بِكَ عَنْ مِرْفَقِهَا، وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْمِلْكَ وَأَبَاكَ لَمْ يَلِدْكَ، حِينَ تَصِيرُ إِلَى سَخَطِ اللهِ، وَمُخَاصِمُكَ وَمُخَاصِمُ أَبِيكَ رَسُولُ اللهِ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا، وَنَقَصَ ذِمَامَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا وَهَتَكَ عَنَّا سُدُولَنَا، وَفَعَلَتْ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَمَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَمَا جَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَسَتَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ بِمَا تَحَمَّلْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ وَسَفَكْتَ مِنْ دِمَاءِ عِتْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ بِهِ شَمْلَهُمْ وَيَلُمُّ بِهِ شَعَثَهُمْ وَيَنْتَقِمُ مِنْ ظَالِمِهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.

(وَ لَا يَسْتَفِزَّنَّكَ الْفَرَحُ بِقَتْلِهِ، وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ).

وَ حَسْبُكَ بِاللهِ وَلِيّاً وَحَاكِماً وَبِرَسُولِ اللهِ خَصِيماً وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً. وَسَيَعْلَمُ مَنْ بَوَّأَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وَأَنَّكُمْ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ سَبِيلًا.

وَ مَا اسْتِصْغَارِي قَدْرَكَ وَلَا اسْتِعْظَامِي تَقْرِيعَكَ تَوَهُّماً لِانْتِجَاعِ الْخِطَابِ فِيكَ بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ عُيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ عَبْرَى وَصُدُورَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَّى فَتِلْكَ قُلُوبٌ قَاسِيَةٌ وَنُفُوسٌ طَاغِيَةٌ وَأَجْسَامٌ مَحْشُوَّةٌ بِسَخَطِ اللهِ وَلَعْنَةِ الرَّسُولِ قَدْ عَشَّشَ فِيهِ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ وَمَنْ هُنَاكَ مِثْلُكَ مَا دَرَجَ وَنَهَضَ. فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ الْأَتْقِيَاءِ

وَأَسْبَاطِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَلِيلِ الْأَوْصِيَاءِ بِأَيْدِي الطُّلَقَاءِ الْخَبِيثَةِ وَنَسْلِ الْعَهَرَةِ الْفَجَرَةِ تَنْطِفُ أَكُفُّهُمْ مِنْ دِمَائِنَا وَتَتَحَلَّبُ أَفْوَاهُهُمْ مِنْ لُحُومِنَا وَلِلْجُثَثِ الزَّاكِيَةِ عَلَى الْجُبُوبِ الضَّاحِيَةِ تَنْتَابُهَا الْعَوَاسِلُ وَتُعَفِّرُهَا الْفَرَاعِلُ فَلَئِنِ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَماً لَتَتَّخِذُنَا وَشِيكاً مَغْرَماً، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمُؤَمَّلُ.

ثُمَّ كِدْ كَيْدَكَ وَاجْهَدْ جُهْدَكَ! فَوَ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ وَالنُّبُوَّةِ وَالِانْتِجَابِ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا. وَلَا تَمْحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عَارَنَا. وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدٌ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي أَلَا لُعِنَ الظَّالِمُ الْعَادِي وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَكَمَ لِأَوْلِيَائِهِ بِالسَّعَادَةِ وَخَتَمَ لِأَوْصِيَائِهِ بِبُلُوغِ الْإِرَادَةِ نَقَلَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَمْ يَشْقَ بِهِمْ غَيْرُكَ وَلَا ابْتَلَى بِهِمْ سِوَاكَ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الْأَجْرَ وَيُجْزِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالذُّخْرَ وَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الْخِلَافَةِ وَجَمِيلَ الْإِنَابَةِ إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ. وحسبنا الله ونعم الوكيل [1].

الخاتمة

استاثر الحديث عن السيدة زينب ﷺ اهتمام العالم فقد كانت ﷺ صاحبة اليد الطولى في تكملة أشواط الحسين ﷺ ونشر دعوته، وإعلان مظلوميته على الملأ، فهي والحق شريكته في نهضته، وصوته المدوي في الآفاق.

وقد كانت خطب السيدة زينب ﷺ قد غيرت الاتجاة العام، وأقامت الدنيا على الأمويين، حتى اضطر يزيد الى لعن ابن زياد متبريا من دم الحسين ﷺ ، واقام المأتم عليه في داره ، رعاية للشعور العام الذي تركته العقيلة ﷺ في الشام.

(١) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ص ٢١٥-٢١٨ ؛ الفتلاوي، الشيخ علي، المرأة في حياة الامام الحسين ﷺ، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠٠٨، ص ١٢٠-١٢٦ .

المصادر:

١- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي (ت:٨٥٢هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمر القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ) ، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان ، ١٣٢٨هـ.

٢- ابن طاووس ، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ) ، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، دار الاسرة للطباعة والنشر، مطبعة اسوة، الناشر:دار الاسوة للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ.ق .

٣- ابن طيفور ، احمد بن ابي طاهر طيفور (ت:٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، ط٢، انتشارات مكتبة الحيدرية، ١٣٧٨.

٤- ابن كحالة ، عمر رضا، اعلام النساء ، المطبعة الهاشمية، دمشق-سورية ، ١٩٤٠م ، ج١.

٥- ابو سعيدة ، السيد حسين ، هكذا انت.. يا بطلة كربلاء ، ط٤، مؤسسة عاشوراء ،مؤسسة المكتبة الوثائقية التاريخية ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٤.

٦- أبي علي الفضل بن الحسن ، إعلام الورى، قدم له : العلامة الجليل السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان ، ط٣ ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، النجف الأشرف ، ١٩٧٠ .

٧- الأزهري ، ابي منصور محمد بن احمد (ت:٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، إشراف: محمد عوض مرعب ، علق عليها:عمر سلامي،عبد الكريم حامد، تقديم: الأستاذة فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ٢٠٠١ .

٨- الاصفي ، محمد مهدي ، الخطاب الحسيني ، ط٢، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، مطبعة مجاب، ١٤٣١ هـ .

٩- بحر العلوم، محمد ، في رحاب السيدة زينب، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٧٥.

١٠- البدوي، الشيخ إبراهيم ، فن الخطابة، ط٣، دار المحجة البيضاء ، بيروت-لبنان،٢٠٠٨ .

١١- البستاني ، الدكتور محمود ، تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي ، ط٣ ، مجمع البحوث

الاسلامية ، المطبعة دقت ، ١٣٩٣ ش ، ١٤٣٥ق .

١٢- بن طاووس ، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت: ٦٦٤هـ) ، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن) ، ط٣ ، الناشر: محمد كاظم الكتبي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف، بلا.ت .

١٣- التهانوي ، الشيخ العلامة محمد علي بن علي بن محمد الحنفي(ت: ١١٥٨هـ) ، كشاف اصطلاحات الفنون ، وضع حواشيه: احمد حسن سبج ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ١٩٩٨.

١٤- الجعيفري، دكتور مصطفى صالح ، داعش ، العالمية الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، والتجليد الفني ، النجف الأشرف ، ٢٠١٥.

١٥- حساني ، محمد شراد ، قصص السيدة زينب ﷺ ، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨ .

١٦- خالد القريشي، الإلقاء الخطابي، دار العاصمة، ٢٠٠١م .

١٧- رسن ، أ.م.دفاطمة كريم ، المنهج التربوي لخطاب الزهراء ﷺ في توجية الامة (سلطة الحجاج بالشاهد القرآني انموذجا)، وقائع المؤتمر السنوي التخصصي السابع حول فكر السيدة الزهراء ﷺ، مؤسسة الغدير للثقافة والاعلام ، بغداد ، ٢٠١٤.

١٨- الرقب، أ. د صالح حسين، الدَّولة الإسلامية ﴿داعش﴾، رسالة ماجستير ، كلية أصول االدين الجامعة الإسلامية، بلا.ت .

١٩- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:الدكتور نواف الجراح، مراجعة: الدكتور سمير شمس، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ٢٠١١.

٢٠- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٣ ، بلا مط ، بلام ، بلا.ت.

٢١- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، أساس البلاغة ، ت: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ،د.ت.

٢٢- شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، دار القلم، ١٩٨٢.

٢٣- الشيخ حسين بن محمد بن الحسن ، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، بلا.ت .

٢٤- الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥ .

٢٥- عبد الرحمن ، عائشة(بنت الشاطئ) ، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء ﷺ ، ط٢ ، منشورات مكتبة الأندلس ، بيروت-لبنان ، بلا.ت .

٢٦- العقيدي ، الاستاذ المساعد الدكتورة جنان محمد مهدي ، لغة الحكمة واقناع المخاطب في اسلوب الخطاب النبوي ، العتبة العباسية المقدسة ، البحوث التي القيت في مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع ، مطبعة دار الكفيل للطباعة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠٠٠.

٢٧- عيسى، د.زينب محمد ، الخطاب الرسالي للسيدة زينب ﷺ بعد وقعة كربلاء، أطروحة دكتوراه منشورة ، الجامعة الإسلامية ، جمعية السيدة زينب ﷺ الخيرية ، ٢٠١٢.

٢٨- الفتلاوي ، الشيخ علي ، المرأة في حياة الامام الحسين ﷺ ، العتبة الحسينية المقدسة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، ٢٠٠٨.

٢٩- الفيروز أبادي ، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨٠٧هـ) ، معجم القاموس المحيط ، رتبه وصححه: إبراهيم شمس الدين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ، ٢٠١٢.

٣٠- قاسم، الشيخ نعيم، عاشوراء مدد وحياة ، دار الهادي ، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢.

٣١- القرشي، باقر شريف، السيدة زينب ﷺ رائدة الجهاد في الإسلام،بلا.مط،بلا.م،بلا.ت .

٣٢- القزويني، السيد محمد كاظم ، زينب الكبرى ﷺ من المهد الى اللحد، حققه وعلق عليه ولده : السيد مصطفى القزويني، ط٢ ، الناشر : دار الغدير ، قم المقدسة ، إيران ، ٢٠٠٣.

٣٣- الكوفي ، ابن اعثم ، مقتل الحسين ﷺ وقيام المختار، انتشارات انوار الهدى ، ط٢، المطبعة مهر ، ١٤٢٤ هـ.ق .

٣٤- المجلسي ،الشيخ محمد باقر ،ط٣ ، مؤسسة الوفاء ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ،١٩٨٣.

٣٥- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر،محمد علي النجار ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول- تركيا ، بلا.ت.

٣٦- مجموعة من الباحثين ، دراسات تاريخية في فاجعة الطف ، دار المعارف الحكمية ، اشراف:السيد علي رضا

الواسعي ، تعريب: علي ال دهر الجزائري ، بيروت / لبنان ، ٢٠١٤ .
٣٧- مزة ، الدكتور عبد اللطيف ، الاعلام والدعاية ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
٣٨- المطهري ، الاستاذ مرتضى، الملحمة الحسينية ، مطبعة فيضية ، ايران ، ١٤٢٥هـ.ق .
٣٩- مغنية ، محمد جواد ، الحسين وبطلة كربلاء ﷺ ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان ،١٩٧٣ .
٤٠- مغنية ، محمد جواد ، بطلة كربلاء ،ط٤ ، دار التيار الجديد ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
٤١- النقدي، الشيخ جعفر، زينب الكبرى ﷺ بنت الإمامأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ،ط٣ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، بلا.ت .
٤٢- الهاشمي ، هشام ، عالم داعش ، دار الحكمة ، لندن ، دار بابل للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٥.
٤٣- ابن منظور ، العلامة ابن منظور (ت:٧١١هـ) ، لسان العرب ، نسق وعلق عليه ووضع فهارسه :علي شيري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ، ١٩٨٨.

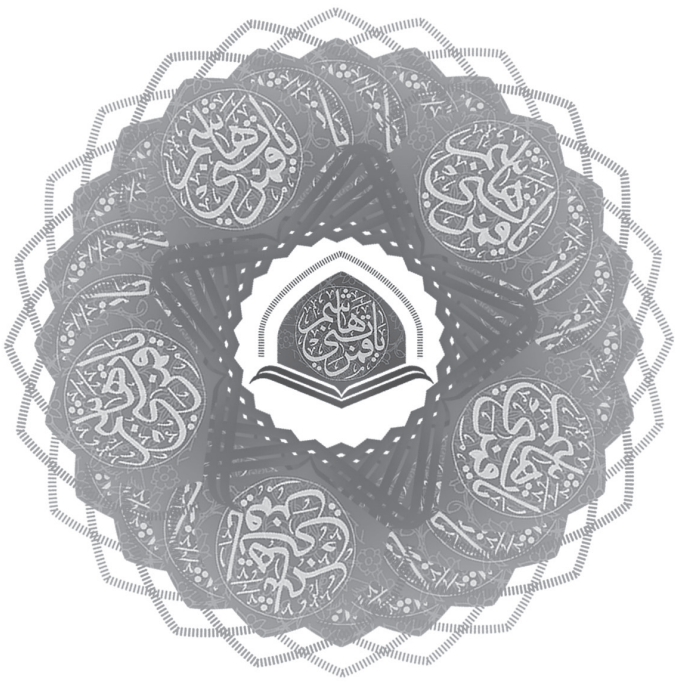

محاور هويّة المجتمع الإسلامي في فكر الصدّيقة الزهراء عليها السلام

(خطبتها عليها السلام أنموذجاً)

أم حسين دشتي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾[1].

تعتبر هذه الآية من أجلى صور التحذير، وبيان للخطر القائم ممّن يتربّص بأمّة الإسلام، ويكيد لها لتتنازل عن هويّتها الإلهيّة الأصيلة، وما الغزو الغربي لعالمنا الإسلامي في زمننا المعاصر وبكل أنواعه ووسائله الفكرية والثقافية والعسكرية لبلاد المسلمين إلا محاولةَ للقضاء على هويّة الأُمّة الإسلامية، وذوبانها في ثقافتهم ودينهم.

لقد تعرّض المجتمع الإسلامي في أطواره التاريخية المتعدّدة إلى مواجهات وتحدّيات كبيرة أدّت إلى ضعف عزيمته تارةً، وذهاب صبغته الإسلامية الخاصّة تارةً أخرى، ولعلّ أكبر تلك التحدّيات التي شكّلت تهديدًا لكياننا الإسلامي وهويّتنا الفكرية والدّينية هو الغزو الفكري الغربي المعاصر الذي كان نتيجةً لأحداثٍ تاريخيّةٍ متتاليةٍ ومتعاقبة، كان أوّلها التنازلات التي قدّمتها الدولة العثمانيّة للقوى الأجنبيّة في تاريخنا الحديث، ولم تكتف تلك القوى الغازية بنهب خيرات بلاد المسلمين، بل عاثت فساداً في أرضنا ومجتمعاتنا، وقامت بتخريب وتغريب شباب الأُمّة ومسخ هويّتهم الربّانيّة المحمديّة من خلال غزوٍ فكريٍّ وحربٍ ناعمةٍ ماكرة .

ولا شكّ أن بعض أسباب وجذور نجاحهم في مسخ هويّة الشباب بل المجتمع الإسلامي، يرجع إلى الأحداث التي جرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلب الحق من صاحب الولاية الحقيقي، فما حدث بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله كان هو الطخية العمياء التي أصيبت بها الأُمّة الغافلة، فلم تعد تعي أنها تسير بأقدامها نحو الانكفاء على وجهها والسير على غير هدى جرّها ذلك إلى اقتراف أكبر الجرائم بعد ذلك بقتل سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

---

(١) سورة البقرة ١٠٩

ما حدث وقتئذٍ ببساطةٍ مؤلمة هو أن الأُمّة استلّت روحها التي أودعها الله تعالى بين جنبيها والتي منّ بها جلّ وعلا عليها بعد أن بعث فيهم رسولاً ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] ففقدت هويّتها التي أثنى عليها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [2] بعزل من كان نفس رسول الله ﷺ وفيه نزل قوله تعالى ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾[3] .

وهذا البحث: عرض موجز يهدف لاستكشاف دور السيّدة الصّدّيقة الزّهراء ﷺ في الحفاظ على هويّة المجتمع مقتصرًا على خطبتها الشّريفة أنموذجاً .

وانطلاقًا من أنّ الأطروحات المادّيّة تعرض مفهوم الهويّة أي هويّة الأُمّة على أنّه مصطلح يشمل خصوصيات جغرافيّة ولغويّة وثقافيّة تجمع مجموعة من الناس على نحو تصبغ هويّة الأفراد ومن ثمّ المجتمع بلونها الخاصّ المميّز. يمكن إيجاز القول بأنّ السّيّدة الزّهراء ﷺ أبرزت خصوصيّات الهويّة الإسلاميّة بشكلٍ أدقّ وأبانت صبغتها السّماويّة الرّبّانيّة بالتأكيد على أنّها تتقوّم بالانتماء لله تعالى ولرسوله ولامتداد الرسالة المتمثّل في إمامة العترة الطّاهرة على مدى العصور والأزمان. لقد قدّمت الزَّهراء ﷺ للأمّة بخطبتها المباركة دستوراً حوى معالم الشخصيّة المسلمة. وجلّت بكلماتها النيّرة أنّ جوهر المسلم وحقيقته الإسلامية يكمن في تحمّل مسئولية وحمل أمانة انتمائه للدين ولرسول الله ﷺ الذي يمثّل هويّته الأصيلة .

أمّا محاور البحث فتقع في فصلين على النحو التالي:

إنّ الفصل الأول بمثابة التمهيد لعرض وتحديد المصطلحات المستعملة في هذا البحث، بتحديد المقصود من مفردتي (المجتمع) و(الهويّة) لغةً واصطلاحاً، وعرض أركان ومحاور الهويّة، ويتتابع البحث حول الهويّة الإسلاميّة، من جهة عرض النشأة التاريخيّة للمجتمع الإسلامي بهويّته الخاصة، ثم مظاهر محاور تثبيت القرآن الكريم والسنة الشريفة للهويّة الإسلامية وترسيخه في المجتمع. وأخيرًا عرض نماذج لبعض الظّواهر التي تدلّ على وجود أزمة هويّة في المجتمع الإسلامي كالتبعيّة، والتّفرّق، والعصبيّة، والتّخبّط في فهم الدّين ودوره في المجتمع.

وأما الفصل الثاني فيستعرض مواجهة السّيّدة الزّهراء ﷺ للأزمة التي أصابت المجتمع الإسلامي في هويّته، ابتداءً من عرض حقيقة السيدة الزهراء ﷺ كحجّة على الأُمّة الخاتمة، ثم استعراض شواهد من خطبتها الشريفة ﷺ تقوم خلالها بوضع الخطوط الأساسية لهويّة المجتمع القرآني وتحديد مسئولية الأُمّة في حمل الأمانة الإلهيّة،

(١) سورة ال عمران ١٦٤

(٢) سورة البقرة ١١٠

(٣) سورة ال عمران ٦١

ابتداءً من التَّأكيد على ضرورة البصيرة والوعي وتحمّل المسئولية تجاه الدّين والمجتمع. ثم عرض دور الإيمان والتقوى وعمل الصالحات في صبغ المجتمع الإسلامي بهويّته الخاصّة والمميّزة، ثم بيان محاور عزّة الإسلام التي تثبت هذه الهويّة وتؤصّلها في المجتمع: كالعدل والإمامة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخيراً تعريف الأُمّة بالتحدّيات التي تُواجه هويتها، وتُشكِّل خطرًا عليها.

الفصل الأول

هويّة المجتمع الإسلامي

معنى المجتمع لغةً واصطلاحاً:

المجتمع في اللّغة هو مشتقّ من الفعل جَمَع، وهو عكس كلمة فرّق، وهو على وزن مُفتَعَل، اسم مكان من الفعل اجتمع، فتعني موضع الاجتماع وتطلق اصطلاحاً على جماعة الناس المجتمعين في أرضٍ واحدة [١]، ويعيشون معاً وفق مجموعة من النّظم والقوانين التي تنظم العلاقات فيما بينهم، ويترابطون فيما بينهم بروابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد اجتماعية خاصة بهم، وأحكام وأعراف أخلاقيّة تميزهم عن المجتمعات الأخرى.

معنى الهويّة: لغةً

كلمة الهويّة بفتح الهاء وضمها مصدر اشتق من الضمير (هو)، ويقصد بها جواب سؤال: (ما هو)، وقال الشيخ عبد الهادي الفضلي" كلمة الهوية من الكلمات العربية المنحوتة من كلمتين هما: (ماهو) أو (ماهي) إذ نحت منهما (هوية) بفتح الهاء وضمّها وهي من التعبيرات الجديدة التي دخلت المعجم العربي الحديث" [٢]. ثم اختصت أكثر في زماننا بالبطاقات الرّسمية التي تعرّف حاملها، وورد في المعجم الوسيط: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره والهوية بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا (محدثة)" "[٣]. وورد أيضا "الهَوِيَّةُ: البئرُ البعيدةُ القعر». [٤] من هوى بمعنى سقط .

ويعلق حسن حنفي حسنين: " فالهويّة لغوياً أن يكون الشيء هو هو وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق ". [٥] ويقول مصطفى المسعودي أنَّ " الهويّة في اللغة العربية مصدر صناعي، يتكون من

---

(١) المعجم الوسيط – الجزء الاول – ص ١٣٦ مادة جمع

(٢) الإسلام و التعدد الحضاري: بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش عبد الهادي الفضلي ص٦٨

(٣) المعجم الوسيط مادة الهو ص ٩٩٨

(٤) المعجم الوسيط ص١٠٠٢

(٥) الهوية حسن حنفي حسنين القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة ط١، ٢٠١٢ ص ١٠

ضمير الغائب المفرد (هو) المعرف بـ (الـ) ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشدّدة إلى جانب تاء التأنيث. .. ويذهب معظم الباحثين إلى أنَّ اسم (الهوية) ليس عربيّاً وإنّما كلمة مولّدة اشتقها المترجمون القدامى من الـ (هو) أي حرف الرباط الذي يدلّ عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، أي فعل الكينونة في اللغات" .[1]

معنى الهويّة الاجتماعية اصطلاحاً:

كان الإنسان وما زال منذ أن خلقه الله على الأرض منتمياً إلى قوم، منتسباً إليهم ضمن أرض وبلاد وقوم وبيئة فكرية ذات عقيدة وعادات وتقاليد، تربّى عليها وتأثّر بها، وأثّرت فيه فانصبغ بصبغتها حتى عُرف بها، وتميّز بذلك عن أفراد المجتمعات الأخرى، فشكّلت كلّها شخصيته وهويّته وانتماءه، وهذه هي الهويّة الاجتماعية؛ فهي انتماء إنسان ما إلى مجتمعٍ ما انتساباً مخصوصاً .

يقول حسن حنفي:" الهويّة أن يكون الإنسان هو نفسه متطابقاً مع ذاته في حين أنّ الاغتراب هو أن يكون غير نفسه بعد أن ينقسم إلى قسمين: هويّة باقية، وغيرية تجذبها" [2].وقال:" وإذا صعب تحديد الهويّة إيجاباً فإنّه من السهل تحديدها سلباً أي فقدان الهويّة أو ما يُسمّى بالاغتراب أن تخرج الهويّة خارج الوجود تتخارج وتصبح بديلاً عنه، يرى فيها الإنسان وجوده وينسى وجوده الأصلي"[3]

ومصطلح الهويّة لفظ تراثي قديم موجود في كتب المصطلحات مثل التعريفات للجرجاني، ومعناه أن يكون الشيء هو هو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهويّة، وهو موجود أيضا في المعاجم والقواميس العربية في مصطلح Identity [4]

الأركان الأساسية للهويّة:

للهويّة أركان أساسية تجمع البنيان الاجتماعي للأمّة وأهمّها:

- **العقيدة:**

تمثل العقيدة الأولوية في الانتماء الاجتماعي – أياً كانت هذه العقيدة – باعتبار أنَّ العقيدة هي البنيان الروحي الذي يكوّن وجود الإنسان بشكل أساسيّ. لذلك فهي النقطة الجوهرية الأولى التي تتعرض لهجوم كل من يترصّد للأمّة ويقصد القضاء عليها.

---

(١) زمن التحولات الكبرى المسعودي ص١٠.

(٢) الهوية حسن حنفي حسنين القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة ط١، ٢٠١٢ ص١٢.

(٣) نفس المصدر ص١٦.

(٤) نفس المصدر ص١٧.

● **التاريخ:**

إنَّ تاريخ الأمّة ركنٌ مهمّ من أركان الهويّة، فهي تُشكّل الامتداد الزّمني السابق لوجود الأُمّة والذي أدّى إلى وجودها الحاضر وشكّلها بصورتها الفعلية، ولابُدّ من قراءة التاريخ قراءةً متأنّيةً، واستلهام عبره وعظاته لتسهل قراءة الحاضر، ورسم خريطة المستقبل اعتماداً عليها.

● **اللغة:**

وهي مكوّن رئيس من مكوّنات الهويّة، ويعتبر هدمها أهمّ طريق لهدم الهويّة، وهي الباب الذي يتم الدخول منه للتعرف إلى ثقافة أيّ أمّة، سواء بغرض الاستفادة من حضارتها أو الهجوم عليها.

● **الأرض**

وهي الجامع المكاني للقوم، ومحلّ سكناهم، وموضع نشاطاتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ولذا لا شكّ بأنّ خروجهم أو إخراجهم من أرضهم هو قتل للأمّة وهويّتها.

هويّة المجتمع الإسلامي

أوّلاً: النّشأة التّاريخية للمجتمع الإسلامي بهويّته الخاصّة:

قال الله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُم ﴾[1]، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: " كان الناس قبل نوح أمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضالّين فبعث الله النّبيين "[2].

إنَّ القرآن الكريم في سرده التاريخي لأصل وجود المجتمع البشري يؤكِّد كونه بدأ مجتمعاً قائماً على معرفة فطرية إجمالية للتوحيد، ثم مع مرور الزمن وزيادة أفراد المجتمع وتداخل الأهواء البشرية، بدأ الاختلاف يدبّ فيه، وظهرت الخلافات وتنوّع التوجّهات والأفكار، بحيث احتاج الأمر إلى تدخّل إلهي يحكم بينهم ويقيمهم على العدل والقسط، وكان هذا هو الغرض من إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى المجتمعات البشرية، لبيان منهاج الحياة ومعالم الصراط المستقيم.

ويعبّر القرآن الكريم عن جوهر وحقيقة دين الأنبياء عليهم السلام جميعًا بالإسلام لله، قال تعالى، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

---

(١) سورة البقرة ٢١٣.

(٢) تفسير الميزان – ج٢ – ص ١٤٢ – تفسير اية ٢١٣ البقرة .

مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾٣[1]، وقال تعالى وهو ينقل خطاب نبيّه نوح عليه السلام لقومه ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2]

والمقصود من الإسلام في الآية هو التسليم لله وحده والخضوع له بإطاعة أحكامه وتنفيذ شرائعه، وهذا بعينه جوهر هويّة المجتمع الإسلامي، فليس الإسلام مجرّد هويّة فارغة بل أنّ كيان ووجود هذه الأمّة يتقوم بالخضوع لله والتسليم له تعالى، وهي تسمية أطلقها شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام لتأكيد هذا المفهوم وصبغ المجتمع به، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[3]. وتزامناً مع ذلك يبشر من خلال دعائه المنقول في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ... ﴾[4] بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانياً: محاور تثبيت القرآن والسنة للهويّة الإسلامية وترسيخه في المجتمع.

- **صبغة الله تعالى:**

تتجسّد الهويّة في الأفراد والمجتمع بكمال الانتماء إلى الإسلام بكلّ أبعاده الماديّة والمعنويّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصادية، وهي تعلو وتهيمن على الانتماءات الأخرى للإنسان قبليّة كانت أو عنصريّة أو جغرافيّة، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾[5]، فكلمة الصّبغة استعارة ومجازاً يُقصد به ظهور التسليم لله ومقتضياته على جوانح وجوارح المؤمن، كما يظهر أثر الصبغ في الثّوب، أي أنَّ الإسلام يصبغ الإنسان بصبغته الخاصّة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوّراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله.

ولذلك يحذّر القرآن الكريم من العاقبة السّيّئة من الاتباع الأعمى للأفكار والاتجاهات الأخرى والانصباغ بأيّ صبغة أخرى غير الإسلام، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[6]، وهو موعود بالخسران المبين لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ

---

(١) سورة فصلت ٣٣.

(٢) سورة يونس ٧١-٧٢

(٣) سورة الحج٧٨ – ونقل القرطبي في تفسيره ج ١٤ – ص ٤٥٣ (قَالَ النَّحَّاس: وَهَذَا الْقَوْل مُخَالف لقَوْل عُظَمَاء الْأُمَّة . رَوَى عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: (سَمَّاكُمْ الله عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْل أَيْ فِي الْكُتُب الْمُتَقَدِّمَة وَفِي هَذَا الْقُرْآن) ; قَالَ مُجَاهِد وَغَيْره

(٤) سورة البقرة ١٢٩

(٥) سورة البقرة ١٣٨

(٦) سورة طه ١٢٤

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1].

- التّأكيد على الأخوّة الإيمانية والجسد الواحد:

هناك اهتمام واضح في الشّريعة في إيجاد تواصل وترابط بين مختلف أفراد وكيانات المجتمع الإسلامي يتقوّم بهويّة واحدة تجمع الكلّ، وقد عبّر رسول الله ﷺ عن ذلك بالجسد الواحد بقوله: « مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى " [2]، وانطلاقًا من ذلك رفع شعار الأخوّة بين كلّ أتباعه، وهي أخوة في الدّين أريد لها أن تكون أقوى من أخوّة الدّم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [3]. وجاء فيما روي عن النبي ﷺ: " المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم " [4]، ثمّ جعل حقوقاً لهذه الأخوّة، فقال ﷺ وهو يذكر صِفات المُؤمِنِ: " لَطيفٌ عَلى أخيهِ بِزَلَّتِهِ، ويَرعى ما مَضى مِن قَديمِ صُحبَتِهِ " [5].

- **محورية وجود رسول الله ﷺ في الأُمّة**

ثم جعلت الشريعة هذا المجتمع مؤطّراً بهويّة أبوين هما من أولدا نفوس أفراده المسلمين لله تعالى، وكبُرت تلك النّفوس الرّبّانية تحت رعاية هذين الأبوين، وهما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام .فقد روي عن النبي ﷺ قوله: " أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة، أنا وعلي موليا هذه الأُمّة "، ونقل العلامة المجلسي في ذيل قوله تعالى ﴿أن اشكر لي ولوالديك ﴾ أنّ الآية نزلت في رسول الله ﷺ وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام [6].

هذه الأبوّة من رسول الله ﷺ للأُمّة إنّما كانت لتحديد بوصلة توجّه الأمّة نحو الحقّ والخير، لا فقط لأصحابه ومن عاصره، بل هي بوصلة لكلِّ من يأتي بعد ذلك في العصور المتوالية، ليُشكّل أساساً ومحورًا في الانتماء لله تعالى ودين الإسلام.

وقد أبرز رسول الله ﷺ هذه القيمة للناس في موقف رائع، حينما وزّع ﷺ الغنائم بعد واقعة حنين، فأعطى الغنائم الكثيرة والجليلة والتي وصلت إلى مائة من الإبل لكبار قريش والعرب من عتاتهم ممن كانوا حديثي عهدٍ بالإسلام، ولم يكن للأنصار نصيب من هذه الغنائم، فتحرّك حبّ الدّنيا في قلب بعض الأنصار، فقالوا كما يروي أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري: " " يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً

(١) سورة ال عمران ٨٥.

(٢) بحار الانوار – العلامة المجلسي – ج ٥٨ ص ١٥٠.

(٣) سورة الحجرات ١٠.

(٤) بحار الانوار – العلامة المجلسي – ج٧٤- ص ١٤٦.

(٥) نفس المصدر – ج٦٤- ص٣١١.

(٦) بحار الانوار – العلامة المجلسي – ج٣٦ – ص ١١.

ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فحدّث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار .... فقال ﷺ لهم: " أوَجَدْتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا، تألّفتُ بها قوماً ليُسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟! "، ثم قال - وهنا موضع الشاهد ليُبيّن لهم حقيقة ومحوريّة الدِّين -: " ألا ترضون ـ يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رِحالكم؟! "، قال: فبكى القوم حتى أخْضَلوا لِحاهم (بدموعهم)، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظّاً [1] .

فالنبي ﷺ بصدد بيان أن محورية الدين كشريعة هي قائمة على كونه ﷺ محور تقوم عليه الأُمّة بحيث أعطاها هويّة إسلامية محمدية، وهي حقيقة تفوق قيمتها كل الدنيا ومتاعها.

ثالثاً: العقبات التي تواجه الهويّة الإسلامية:

لا شك أن الهويّة هي ذات الأُمّة بخصائصها ووجودها المميّز، وهي التي تحفظ سياج الشخصيّة الاجتماعيّة ونسيجها المتلاحم، وبدونها يتحوّل المجتمع تبعاً لتحوّل أفراده إلى مجتمعٍ آخر وذو هويّة أخرى. ولذا حذّر الإسلام من كلّ ما يمكن أن يفكّك عرى الهويّة ومقوّماتها الأساسية في المجتمع، بل حذّرت مما يمكن أن يجعل الصبغة الإلهية للمجتمع باهتة، ومن تلك العوامل الخطرة على هويّة الأمّة:

التبعيَّة: التي نهى الله عنها كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾[2]، بل صرّح بأنّ هدفهم الأوّل هو إضلال المسلمين عن دينهم وإسلامهم في قوله تعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[3]، وقد اشتد غضب رسول الله ﷺ على عمر بن الخطاب حينما أتى بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: « أمتهوّكون [متحيّرون] والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، فو الذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ".[4]

فرسول الله ﷺ ينكر على أن يُستقى الحق من أمّة أخرى، فلا شك بأنّ ذلك بمثابة الخطوة الأولى لفقد الأمّة هويّتها وأصالتها، فتنسلخ بذلك عن أسسها وضوابط عقيدتها فتغدو ذيلاً تابعًا لغيرها من أصحاب الدّيانات السابقة، أو أصحاب الحضارات الغالبة، وهذا للأسف ما نلمسه في عصرنا نتيجة للانبهار الشّديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية، والتطلع لمشابهة الغرب من الشعوب المتقدّمة ماديًّا مع

(١) مسند أحمد – ج٢٠ – ص١٢٢ – حديث ١٢٦٩٦.

(٢) سورة المائدة ٥١.

(٣) سورة البقرة ١٢٠ .

(٤) مسند أحمد (٣/ ٣٨٧) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

الشعور بالدونيّة والانكسار تجاه تلك الحضارات.

- **التفكُّك والفرقة:**

لا شكّ أنَّ من أهمّ المتطلبات التربوية للأمّة هو ترابط وتكتل الصّفوف للاستفادة من كلّ الطّاقات الفردية لخدمة مصالح الأُمّة، فأيّ مظهر للفرقة والتفكك سيؤدّي إلى الضّعف والوهن، وهذا هو خطاب القرآن الكريم لنا قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] فالفرقة ستعمل على تضعيف الأمّة ومن ثمّ طمع الأجنبيّ بها، وغزوها وتذويب هويّتها الإسلامية، وقد تنبّأ رسول الله ﷺ بهذا المستقبل القاتم حينما قال ﷺ" يُوشك أن تَتَداعَى عليكم الأمم؛ كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أفمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا؛ بل أنتم يومئذٍ كثير، لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولَيَنْزعن الله المَهَابة من قلوب أعدائكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن، قالوا: «وما الوَهَن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت " [2].

- **العصبية التي وصفها رسول الله ﷺ بالمنتنة:**

قال عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: " ليس منّا من دعا إلى عصبيّة، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبيّة " [4] . فالعصبية قضيّة اجتماعية تنتج البغضاء والأحقاد، و بسببها قامت الحروب، ولأجلها رفعت شعارات الشّيطان، روي في سياق مجريات الأحداث في غزوة بني المصطلق أنَّ رسول الله ﷺ خرج في تلك الغزوة مع جماعة من المهاجرين والأنصار، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فكاد أن يكون بين المهاجرين والأنصار قتال' وصرخ الأنصاري يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: " ما لكم ولدعوة الجاهلية، فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنَّها منتنة "[5]

وخطب النبي ﷺ في خطبة الوداع « يا أيّها الناس إنَّ الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلَّا بالتقوى" [6] .

---

(١) سورة الانفال ٤٦

(٢) سنن ابي داود ج ٦- كتاب الملاحم والفتن - باب في تداعي الأمم على الإسلام – ص ٣٥٤ – حديث ٤٢٩٧

(٣) سورة االفتح ٢٦

(٤) بحار الانوار – العلامة المجلسي – ج٧٠ – ص٢٨٣

(٥) نفس المصدر – ج ٧٠ – ص ٢١٠

(٦) نفس المصدر – ج ٢١- ص ١٣٨

● **التّخبّط في فهم الدّين وتهميش دوره:**

يسعى البعض في التصدّي لحل قضايا الأُمّة اتكالاً على إحلال قوانين وأحكام بشرية محلّ القوانين الإلهية، وهنا يظهر التّخبّط في مختلف ميادين الحياة العامة، فتعيش الأمة واقعاً مريراً تلخّصه كلمة الضياع وانعدام الهوية. وقد لعب أعداء الدّين في ذلك الضياع دورًا كبيرًا على مراحل التاريخ المختلفة، لا زال واضحاً وجليًّا في زمننا المعاصر، وتجلّت نتيجة لذلك الهزيمة سواءً بالاستعمار العسكري أو الفكري، وكان رفع شعارات فصل الدّين عن السياسة والحياة العامّة أحد تداعيات الهزيمة الفكرية، كما سعوا ومن خلال الحرب النّاعمة إلى إدخال السّموم الفكرية إلى شباب الأُمّة لتمييع روح الدين في جسد الأُمّة .

الفصل الثاني

الخطوط العامّة للحفاظ على هويّة المجتمع الاسلامي

في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام

لا يخفى على أحد التّخبّط الذي أصاب مجتمع المسلمين قبيل وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في تلك الظّروف العصيبة تجلّى دور السيدة الزّهراء عليها السلام في محاولة إرجاع الأمّة لرشدها بعدما تمادت في غيّها واسترجعت عصبيّاتها القبلية وجاهليتها القديمة، فكانت عليها السلام بالمرصاد لكلّ ذلك .

تمهيد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حجة على هذه الأُمّة

« فاطمة بضعةٌ مني »[1] كلمةٌ مقدسةٌ قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناطقةٌ بقداسة بضعة نبعت من الكلّ الذي مثّل روح الكون ونوره الأوّل، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنموذجًا لكلّ الفضائل وكمال الأخلاق التي جلّله بها القرآن الكريم بقوله عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] فبضعته فاطمة الزهراء عليها السلام لا شكّ في كونها أنموذجاً لهذا الكمال .

لقد قدّم القرآن الكريم السّيّدة الزّهراء عليها السلام على أنّها ممن شملتهم الإرادة الإلهيّة الخاصة بالتطهير في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3]، وهذا التطهير قد أظهر بلوغها عليها السلام مقام الرّاسخين الذين أحاطوا بتأويل القرآن وباطنه كما قال تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[4]، ولقد أبان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أنها عليها السلام حجة لله على العباد لأنّها عليها السلام من أجلى مصاديق عترته الذين قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل اصحاب النبي ص، باب ١٢ مناقب قرابة رسول الله ص ومنقبة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، حديث ٣٧١٤.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٤) سورة الواقعة ٧٩ .

بكتاب الله ليشكلا معا أمانا للأمة من الضلال – بقوله ﷺ: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما « [1].

وكرّر رسول الله ﷺ بيان موقع الزّهراء عليها السلام في هذه الأمّة وكونها حجّة لله عليها في حادثة المباهلة التي وقعت مع نصارى نجران وأعلم ﷺ جميع الخلق أنّه ليس هناك من نساء المسلمين من هي أهل أن يباهل بها في مقام إثبات توحيد الله تعالى إلا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنزل الله تعالى في ذلك قرآنًا يتلى آناء الليل وأطراف النهار في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فنجعل لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[2].

ثم تترى فضائل السيدة الزهراء عليها السلام الأخرى سواء فيما نزّل من آيات القرآن، أو ما نطق به رسول الله ﷺ في حقّها عليها السلام لتزداد لوحة الجمال البديعة التي أزهرت على العالم جمالاً فكانت الزهراء فاطمة عليها السلام. فسلام الله على حجّة الله في أرضه سيدة نساء الأولين والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام.

تجلّت مواجهة السّيّدة الزّهراء للخلل الذي عصف بهويّة الأمّة بما يلي:

أوّلاً: تأكيد السّيّدة الزّهراء عليها السلام على ضرورة الوعي والمسئولية تجاه فهم محاور الوجود

هويّة الإنسانية قائمة بالحمد لله تعالى:

لقد واجهت السيدة الزهراء عليها السلام أمّة تجاهلت وبكلّ سهولة وصية نبيها ﷺ الذي أفنى عمره الشريف في تقويم حياتهم وإصلاح الفاسد منها، ولا شكّ أنّ هذا الفعل هو انسلاخ عن هويتها الأصيلة المتمثّلة بانتمائها لرسول الله ﷺ، وقبل ذلك لدين الله تعالى، فعملت السيدة الزّهراء عليها السلام على تقوية الجانب الوجداني والروحي في الأمة بإحياء تقوى الله أولاً في النفوس لكبح قوة الانحدار نحو هاوية الانكباب على الدنيا والسلطة والزعامة، لعلّها تحيي في جسد الأُمّة نبضاته التي توقفت مع توقف القلب الطاهر للنبي الأكرم ﷺ.

ولا شك أنّ أحد الجوانب المهمّة في إحياء روح الهوية الإسلام – بمعنى التسليم لله – هو بثّ الشعور بالشكر والامتنان لله تعالى تجاه نعمه الوفيرة، وتوجيه الأنظار إلى تلك النعم السابغة، ومن هذه الجهة أكّد الإمام زين العابدين عليه السلام على أنّ الحمد يعتبر منّة عظيمة من الله تعالى تُخرج الإنسان من حدود البهيمية لتعطيه هويّته الإنسانية، فقال عليه السلام:" وَالْحَمْدُ لله الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ .... لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى

(١) رواه الترمذي في سننه ص٨٥٥ طبعة مكتبة المعارف، وصححه الألباني في السلسلة الاحاديث الصحيحة، المجلد الرابع ص ٣٥٥ رقم الحديث ١٧٦١ .

(٢) سورة آل عمران٦١.

حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ "[1].

انطلاقاً من كل ذلك ابتدأت السيدة الزهراء ﷺ جملتها الأُولى بالحمد، والثانية بالشكر، والثالثة بالثناء. والفارق بينهم هو أنّ مفهوم الثناء عام يستخدم في العربيّة كلّما أُريد المدح والإطراء، سواء أكان الممدوح عاقلاً أم غير عاقل، حيّاً أم جماداً، وسواءً أكان على فعل اختياريّ أم غير اختياريّ، أمّا الحمد فلا يُستعمل إلاّ عندما يكون الفعل المأتيّ به خيراً، وقد صدر من فاعل مختار وذي شعور، سواء أعاد ذلك الفعل بالفائدة على الحامد أم لم يعد. وأمّا الشكر فهو أخصّ من الحمد؛ إذ هو الثناء على من جاء بفعل خير وقد عاد الأخير بالنفع على الشاكر» [2].

وقد استعملت السّيّدة الزّهراء ﷺ في البدء لفظة النِّعَم، ثمّ أتبعتها بالآلاء، فأردفتها بالمنن؛ أي إنّ كلّ مفردة تتلو السابقة تكون أرقى من حيث المعنى من سابقتها. وهذا من فصاحة الكلام، وروعيت فيها التفاتة ظريفة وهي أنّه عندما يمنّ الله تعالى على أحد بنعمة فإنّه لا يكتفي بهذا المقدار، بل إنّه يُتبعها بإعطاء نعمة أكبر وأضخم[3] .

ولا شكّ أنّ هذا اللون من التّفكّر والتّدبّر يحيى قلب الإنسان وذاكرته كونه غارقًا في النّعم، ويعينه على إدراك مقدار ما امتلكه من خيرات عظيمة. حينها يفهم قيمة أعضائه البسيطة كالظّفر والشعرة، ناهيك عن الأعضاء الأكثر أهمّية كالعين، والأذن، وهذا الإدراك سوف يمنع أيّ شعور بالجزع حيال المصاعب التي تواجهه. إنّ إدراك قيمة هذه النعم هو الذي يوجد دافعاً في النّفس إلى المبادرة للشكر في واقعه العملي ومجريات حياته.

التوحيد هو قوام وجود الكون والإنسان

أكّدت السيدة الزهراء ﷺ لتثبيت الصّبغة والهويّة الإيمانية للفرد المسلم وبالتالي للمجتمع المسلم على خطورة اختلاط مفهوم الإيمان بالشرك المتمثل في قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [4]. فركزت على طرح الإخلاص كتأويل لكلمة التوحيد، فقالت ﷺ: " وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاَصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولهَا، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرَةِ مَعْقُولهَا".

بمعنى أنَّ معرفة الله تعالى بهذه الصفات تقتضي أن يكون السلوك مطابقاً للوازم تلك الصّفات الإلهيّة؛ كالاعتقاد بإحاطة الله تعالى بالوجود وهيمنته عليه ونفوذ رحمته فيه من جهة أخرى، فالله تعالى فقط هو الحي بذاته الذي يهب الحياة للموجودات وهو القيّوم الذي قام به الوجود.

(١) الصحيفة السجادية – الدعاء الأول – التحميد لله عزّ وجل.

(٢) شرح خطبة الزهراء ﷺ – الشيخ مصباح يزدي – الجلسة ٥ بتصرف.

(٣) شرح خطبة الزهراء ﷺ – الشيخ مصباح يزدي – الجلسة ٧.

(٤) سورة يوسف ١٠٦.

تذكير بالهدف والغاية من الخلق:

وحتى لا يتيه الناس في غمار الدنيا ومشاغلها، أخذت السيدة الزهراء ﷺ بأيديهم وحدّدت لهم بوصلة الحياة، ووضعت النقاط على الحروف ليتّضح لهم أنّها حياة تقوم على الحكمة، وقوام الحكمة معرفة الله وطاعته، فقالت ﷺ:"...كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِه، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلاَ فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا، إِلاَّ تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإِعْزَازاً لِدَعْوَتِهِ ".

لقد نفت السيدة الزهراء ﷺ في البدء وجود غاية وحاجة لخلق وإيجاد الكون تعود إلى الله تعالى. ثمّ باستخدام أداة الاستثناء عرضت الغرض من الخلقة التي تعود منافعها للمخلوق، فتقول: " إلاّ تثبيتاً لحكمته "، فإن كان هناك من يشكّ في حكمة الله عزّ وجلّ فسوف يدرك – عند رؤية بديع خلقه، ومعاينة أسرار مخلوقاته – مدى ظهور الحكمة المطلقة التي تقف وراءها، فهي بذاتها دليل الحكمة الإلهية، ثم تدخل في تفاصيل أخرى بقولها: " وتنبيهاً على طاعته وإظهاراً لقدرته وتعبّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته "، فكأنها أرادت شرح قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾[1]، فخلقهم كي يبتلي طاعتهم، وذلك عندما يرسل الله أنبياءه ليدعوا الناس إلى عبادته والسير على صراطه المستقيم.

بيان موقع رسول الله ﷺ من الخلق

وتصل السيدة الزهراء ﷺ بعد تلك المقدمات إلى المحور والهدف الذي ينبغي على جموع المسلمين المائلة عن الحق الرجوع إليه وهو هويّتها المتمثلة بانتمائهم إلى رسول الله ﷺ فقالت ﷺ : "...وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلاَئِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَ بِسَتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَة ".

اختار الله النبيّ ﷺ قبل أن تصل الخلائق في عالم الغيب إلى مرحلة الشهود، في عالم يطلق عليه عالم النور هو فوق هذه العوالم، وهذه (القبليّة) ليست من جهة الزمان؛ بل من جهة التكوين كونها جميعها مخلوقة من ذلك النور ليست منفصلة عنه، بل إنّ هذا النور حاضر فيها جميعاً، كالمشرف على الطريق من على سطح الدار، فيكون الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة له سواء[2].

أثر وجود رسول الله ﷺ على حياة العرب:

ثم وجّهت السيدة الزهراء ﷺ أنظار الناس ولفتت انتباههم إلى حالة العرب في الجاهلية قبل الإسلام لتُعَرِّف

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) شرح خطبة الزهراء ﷺ – الشيخ مصباح يزدي – الجلسة ١٥ بتصرف.

الناس بالنعمة الكبرى المتمثّلة ببعثة الرسول الكريم ﷺ، وتذكّرهم بالجهود المضنية التي تجشّمها ﷺ في سبيل هداية الناس وإخراجهم من الضلالة، ولا يخفى على أحد أنَّ العرب في جاهليتهم كانوا في حال متردٍّ من البؤس، فقد انحدرت عقولهم فعبدوا الأوثان، بل صاروا يصنعونها من التّمر ثم يأكلونها، وأشركوا بالله وعدّدوا الأرباب، واستحبّوا العمى على الهدى.

وأما حالتهم الاجتماعية فكانت انعكاساً لهذا الجوّ الفكريّ، فمن يطّلع على أحوالهم يراهم قبائل متنافرة يأكل القوي منهم الضعيف، وقد نُزعت الرّحمة من قلوبهم، وانتشرت بينهم عاداتٌ لا تعيشها حتى الوحوش في الأدغال، فقتلوا الأولاد خشية الإملاق، ووأدوا البنات أنفةً من العار.[1]

اكتفت السّيّدة الزّهراء عليها السلام بالإشارة إلى ما كان سائداً من أنماط الرّذائل الدّينيّة حينها، فقالت عليها السلام: " فِرَقاً فِي أَدْيَانِهَا، عُكَّفاً عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لأَوْثَانِهَا، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ . فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي ... " فأزيلت كلّ تلك الظّلمات بالوجود المبارك لرسول الله ﷺ " ... وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَ دَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيم ".

لذلك رفعت السّيّدة الزّهراء عليها السلام صوتها بالنداء في معشر المسلمين في مسجد النبي ﷺ وقالت:» اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد ﷺ"، وهذا النداء منها عليها السلام هو ذاته نداء القرآن الكريم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾[2]، بمعنى أنّ الذي يعيش بينكم ليس إنساناً عاديًّا بل هو بابكم إلى الغيب، وحبلكم المتّصل إلى السّماء، رسولٌ من الله، قالت السيدة الزهراء عليها السلام هذه الجملة وكأنّها تريد أن توقظ نائمين، وتلفتهم إلى نقطة الحق الواضحة، وكيف أنّهم تجرّأوا على تجاوز حدود الله ..

---

(١) شرح خطبة الزهراء عليها السلام – الشيخ مصباح يزدي – الجلسة ١٨

(٢) سورة الحجرات ٧.

دور أمير المؤمنين عليه السلام في قيام الدين:

كانت السّيّدة الزَّهراء عليها السلام ترى في حادثة السقيفة مأساة كبرى تعيشها الرّسالة الإسلامية والأمّة بصورة عامّة، لأنّ إقصاء عليّ عليه السلام عن دوره الطليعي لم يكن مجرّد إبعاد إنسان عن مرتبته، وإنّما كان بمثابة خروج عن خط النّجاة الذي رسمته السَّماء لأهل الأرض، وستجني الأُمّة ثمار سوء صنيعها عاجلاً، لأنّ من سيتولّاها هم رجالٌ لا يملكون مؤهّلات قيادتها نحو النّجاة والسعادة، بل يسيرون بهم في طريق الضلالة والغواية إلى الهاوية يتردّون فيها.

وبياناً لغواية إبليس وجنوده، سعت السيدة الزّهراء عليها السلام لتذكيرهم بدور أبيها وزوجها وجهادهما حتى خرجوا إلى نعمة الهداية، فنبهت عليها السلام بأنّ الدّين إنَّما استقرّ في الأُمّة بفضل جهاد النبيّ صلى الله عليه وآله وأخيه عليّ عليه السلام، فقد قاسى النبيّ صلى الله عليه وآله منذ أن بُعث بالرّسالة شتّى صنوف المحن والشّدائد؛ فكان كما قالت عليها السلام: « مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ، وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأها اللهُ}، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "، فدفع النبي صلى الله عليه وآله شر أولئك بعلي عليه السلام كما عبّرت السيدة الزهراء عليها السلام بأنّ " قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وِيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ الله، مُجْتَهِداً في أمْرِ الله، قَرِيباً مِنْ رِسُولِ الله سِيِّدَ أَوْلياءِ الله، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً ـ وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ".

فكان أمير المؤمنين عليه السلام هو ناصر الدين ودافع شر الأعداء عنه .

تحديد مسئوليّة القوم في حمل أمانة هويّتهم وانتمائهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله

وبعدها وجّهت السيدة الزهراء عليها السلام خطابها للمسلمين الحاضرين في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وحمّلتهم مسئولية الحفاظ على تراث النبي صلى الله عليه وآله المتمثّل بالقرآن الكريم والدين وتعاليمه الربانية، فقالت عليها السلام: " أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِه "[1]، ولفظ عباد الله إشارة تنبّه القوم إلى مسؤوليّتهم الواضحة تجاه عبودية الله التي تقتضي طاعته مطلقاً وفي تنصيب الولي بصورة خاصّة، لا التّصرف وفق الرّغبات الشّخصيّة.

ثم تتابع عليها السلام قولها: " وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وِأُمَناءُ الله عَلى أَنْفُسِكُمْ وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ... وَزَعِيمُ حَقٍّ لَكُمْ للهِّ فِيكُمْ، وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ "، أي إنّ لله عليكم حقّاً هو أداء حقّ الربوبيّة أولا، ثم أداء حق بقية الله في أرضه، وهم آل بيت النبوة.

---

(١) اي منصوبون لأمر الله تعالى ونهيه.

ثانياً: بيان دور الإيمان والعبادات في إعطاء صبغة وهويّة للمجتمع:

لكلّ أمّة هويّة تعرف بها وتحدّد معالم شخصيّتها الثّقافية والسياسية والعقائدية، والأُمّة الإسلامية هويّتها الإسلام الذي يشمل المبادئ والقيم الإلهية والحنيفية السّمحاء، بالإضافة إلى مناسك عباديّة صبغت أفراد الأُمّة بطابعها بحيث لايمكن الفكاك بينها وبين كيان ووجود الأمة؛ لأنَّ الهويّة والثقافة والعبادات أصبحت جزءاً من شخصيتها الوجودية.

فالصّلاة بجميع أنواعها الواجبة والمستحبة، والصّوم في شهر رمضان المبارك أو المستحب في غيره، والزّكاة والحج كلّ تلك العبادات أصبحت جزءاً من هويّة المجتمع الإسلامي ومكوّناً أساسياً في ثقافته، بل أصبحت شعاراً للمسلمين يخصّهم ويميّزهم عن غيرهم.

وللأسف فقد تعرّضت هويّة المجتمعات الإسلامية إلى اختراقات عنيفة من قبل قوى الاستعمار العالمي خلال القرنين الأخيرين، واستطاعوا ضرب روح هذه العبادات والمناسك لتبقيها مجرد قشرة لا تسمن ولا تغني من جوع، إنّه واقع يكشف لنا علة تشديد السّيّدة الزّهراء ﷺ على روح تلك العبادات التي تبقي هويّة المجتمع الإسلامي باعتبارها جذوره العميقة الممتدة في النّفوس.

فَجَعَلَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْك:

تنبيه المستمع إلى أنّ الاختلالات والمشاكل الاجتماعية ترجع في حقيقتها إلى اختلال أساس دعوة الأنبياء وهو إحياء الإيمان المرتبط بقلوب الناس، فليس الإيمان مجرد ألفاظ تجري على اللسان بل حقيقة تهيمن على القلوب فتزيل آثار الشّرك في النّفس وتربط المؤمن بالله والغيب.

وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْر ...

تستعرض السيدة الزهراء ﷺ حقيقة الإسلام من خلال منظومته العبادية، فالصّلاة مثلا في منطق الزهراء ﷺ هي تحرير للروح الإنسانية من الكبر والاستعلاء لتزينه بالتواضع حينما يضع جبهته على الأرض ليصبغ روحه بصبغة العبودية لله تعالى التي تحرّره من كل العبوديّات الأخرى وأعظمها عبودية نفسه التي تميل للاستعلاء والكبر .

والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْق

وكما يقرن القرآن الكريم الصّلاة بالزّكاة في كونها طهارة للروح ونماء للمجتمع، فالسّيّدة الزهراء ﷺ بيّنت أهمّيّة الزّكاة إلى جانب الصّلاة في كونها سبيلاً لتحرير النّفس من هيمنة الشّهوات وتزكيتها، في مقابل الحضارات المادية التي أنتجت أفراداً ومجتمعات تتحرّك بشكلٍ أناني من خلال الرّبح المادّيّ وجمع المال وتكديس الثّروات.

والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ

لا شكّ أنَّ المسلم إذا استطاع بالصوم الذي لا رقيب عليه إلا الله أن يقهر جسده ومتطلبات جسده، وأن يكبت أشدّ غرائزه إلحاحًا وأعظمها خطراً، فهذا يعني أنّه يملك التحكم في قوى نفسه والإمساك بزمام أمورها، مقابل المانع من ذلك وهي الشهوات أو قوى الفجور التي تريد منه أن يتحرّك لأهداف دنيويّة غير الله، فهذا يعني أنّه بإمكانه أن يقوّم حياته على هذا الإخلاص لله تعالى.

والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ

يعدُّ الحجُّ إلى بيت الله مؤتمراً إسلامياً كبيراً يضم ممثلين عن مختلف الشعوب الإسلامية، يعيش فيه المسلمون واقعاً إسلاميّاً يشعُّ بالوحدة وتسوده المساواة المطلقة والتقارب الروحي والتعارف والإخاء، وتلغى فيه الفوارق بين البشر بلباس موحّد وشعار موحّد، لتبقى الإنسانية المتعلّقة بالله هي العامل المشترك بين الجميع، فأصبح الحج لبيت الله الحرام بذلك رمز الإسلام في هذا العالم، فبقاؤه حيًّا في البشرية يعني بقاء راية الإسلام عالية، فهو كالرّاية المميزة للعالم الإسلامي .

ثالثاً: بيان محاور تعزيز الهويّة الإسلاميّة:

(١) العدل والإمامة (٢) الجهاد (٣) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

العدل: وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ

لاشكّ أنَّ بسط العدل في الأُمّة يعدّ أوّل شرط لقيام التآلف والوحدة بين أفراد المجتمع، وهو أصل يتفق عليه العقلاء في كل زمان ومكان، فإذا استقر العدل في مجتمع ما، وتم تأمين حقوق الأفراد، وساد الشعور بالأمن وانعدم التعدي على الحقوق، فلاشكَّ بأنّ ذلك من أكبر دواعي انسجام قلوب أفراد المجتمع، الذي يمثّل الشّرط الأوّل في تأسيس مجتمع المحبّة والأخوّة وهو مالا يحصل إلاّ إذا أمِن أفراد ذلك المجتمع من الظّلم والحيف والتعدّي من قبل المقتدر والمتسلّط.

وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ.

إنَّ المقصود بالملّة هنا شريعة الإسلام التي هي شريعة الحياة، ومنظومة السّلوك والآداب الاجتماعية، فهو نظام القيم الإسلامي الجامع الذي يرجع إليه المنتمون إلى الإسلام المحمّدي وهي التي نسبها القرآن الكريم في آيات عدة إلى خليله إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وهذه الملّة قد جعل لها ممثلين على الأرض في الآخرين وهم سيّد البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وعترته الطاهرة، فلذا من أراد الانتظام في هذه الملّة لا محيص له من طاعتهم عليهم السلام.

وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ.

قال عز وجل في كتابه العزيز ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾، تتحدّث الآية عن سنّة جارية في الأمم السابقة التي تصدق نبيها وتؤمن بما جاء به، ولكن بمجرد غياب نبيّهم عنهم صاروا يختلفون ويفترقون، فلذا جعل الله تعالى في أمّة نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله إمامة عترته الطّاهرة عليهم السلام أماناً لمن يريد أن يتمسّك بدين خاتم الرسل وشريعته ويحرص على التمسك به وعدم التفرق عنه.

وتنبه السيدة الصديّقة الزهراء عليها السلام إلى هذه الحقيقة، فتعتبر أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المرجع العلميّ والتنفيذيّ للمجتمع، وترسل ذلك إرسال المسلّمات بناءً على الأصول الثابتة التي ركّزها النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة لموقع أهل البيت عليهم السلام في الأُمّة عند اختلاف الأمّة وتفرّقها إلى ملل متنوّعة.

وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلامِ:

لأنَّ بواسطة الجهاد يُدفع اعتداء الأمم والملل الأخرى، بل حتّى البغاة داخل الأمّة، وبه تُحفظ العزّة والكرامة للمجتمع المسلم، وبدونه يقع المسلمون أسرى للكفّار أو البغاة.

وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ:

ما دام الإسلام نظاماً كاملاً للحياة والمجتمع به ينتظم أمره فإنّ من يريد تجاوز النّظم والقوانين يضرّ بمصالح عامّة الناس في المجتمع، والطّريق الأوّل في حماية ذلك هو ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي تبقى أحكام الله ودينه وقوانينه هي صبغة المجتمع . فلابُدَّ من الأمر بكلّ ما تقوم به المصالح، والنّهي عمّا يؤدّي إلى الضرر والفساد بهذا النّظام الاجتماعي .

منظومة الأخلاق التي تدعم البنيان الاجتماعي:

وَبِرَّ الوَالِدَينِ وِقَايَةً مِنَ السَّخَطِ. وَصِلَةَ الأَرحَامِ مَنسَأَةً فِي العُمرِ وَمَنمَاةً لِلعَدَد. وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاء. وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ. وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْس".

إنَّ دين المسلمين ومجتمعهم يتقوّم بهذه المنظومة الأخلاقية التي يطول التّفصيل بها، ولكن خصوصيّات كلمات الزّهراء عليها السلام هنا أنّها تبيّن أثر كل فضيلة من الفضائل السابقة، ويرجى الرجوع إلى شروح الخطبة المباركة في تفصيل ذلك لضيق مجال البحث [1].

---

(١) مثل كتب شرح خطبة الزهراء ع السيد عبد الله شبر، شرح خطبة الزهراء ع الخونساري، شرح خطبة الزهراء ع الخاقاني.

رابعاً: تعريف الأُمّة بالتحديات التي تُواجه الهُويّة الإسلامية، وتُشكِّل خطرًا عليها.

التحذير من حسيكة[1] النّفاق في النّفس:

من المخاطر التي تواجه الإنسان والمجتمع أن تسيطر عليه الرتابة و الغفلة فيأمن زلازل الأيّام وينتابه الغرور بأنّه على درجة من الايمان بحيث يكون في مأمن من الهزّات التي تصيب المجتمعات ويتخيل بأنّ بإمكانه وبسهولة تجاوز الابتلاءات والأزمات التي تصيبها .

لقد بيّنت السيدة الزهراء عليها السلام حقيقة ما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لم يكن إلا ظهور ما في القلوب المريضة على السطح بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت عليها السلام:" فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ .... وَأَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ "، والكلام كناية عن وجود الأرضية النفسية في نفوس قطاع من المسلمين ليلقي الشيطان فيها بذوره الشيطانية، " ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً ".

كانت الأمور تسير على خير وجه في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّ كلّ شيءٍ قد وُضع موضعه، ولكن بمجرد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا ظهرت أمور تكشف عن سطحية الإيمان ومدى خضوعهم لنفوذ الشيطان، فبيّنت السيدة الزهراء عليها السلام ذلك بقولها: ظَهَرَ فِيكُمْ حَسِيكَةُ النِّفَاق، وتغلّب عليكم الشيطان «، إنَّ عدم رسوخ الإيمان عند هؤلاء والاكتفاء بقشر رقيق للدين فتح المجال للشيطان أن يخترقه ليتحوّلوا بعد ذلك إلى أدوات له لنشر الفساد في الناس، وقد أرادت السيّدة الصدّيقة الزهراء عليها السلام من التخويف من النفاق أن تُحدث هِزّةً في وجدان الناس أنَّهم أمام امتحان إلهي ليعلم الله الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين .

وتظهر ملامح هذا النفاق من خلال اعتلاء البعض مهام ومسئوليات ليسوا أهلاً لها، وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال التخبّط في تصرّفاتهم وسلوكهم التي لم تكن على مستوى ذلك المنصب المهم، فقالت الصّدّيقة الزهراء عليها السلام:" فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ ".

خطورة تأخير ذوي الكفاءات عن درجاتهم المستحقّة:

حينما تختل المقاييس في تقديم الكفاءات فيُقدَّم المفضول على الفاضل، ويُمنع تولّي الكفؤ ويُقدَّم عليه غيره فلا شكَّ أنَّ ذلك من أهمّ العوامل التي توجب تراجع الأُمّة، وستتلاشى فيها الصبغة الإلهية والهويّة

---

(١) حسيكة: الشوكة ويراد بها العداوة.

الإسلامية التي قوامها العدل، وهذا يظهر من قول الصّدّيقة الزّهراء ﷺ:" استبدلوا – والله – الذُّنابا [1]بالقوادم [2]والعَجُز[3]بالكاهل[4] فرغمًا لمعاطس [5] قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صُنعاً ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون" .

ومن هذا الباب أيضًا يتجلّى عامل آخر من عوامل التحديات التي تواجه الأُمّة لحفظ هويتها الإسلامية يتمثّل في تجاهل جهود عظماء الأُمّة الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الإنسانية وعدم تكريمهم من خلال إكرام أبنائهم مثلاً كما جاء في خطبة السيدة الزهراء ﷺ" المرء يحفظ في ولده"، فإنَّ نسيان الأُمّة لجهود عناصرها الفعّالة وطاقاتها وكفاءاتها سيجعلها غير مؤهلة لتربية وظهور طاقات جديدة تنهض بالأمة أو تحافظ على نهضتها.

ثم تقوم ﷺ بالتحذير من تأسيس الأمور على أساس الباطل فلا شك بكونها كياناً هشاً سريع التهاوي، وهو ما أشارت إليه بقولها ﷺ: " ما لعمري! لقد لقحتْ فَنَظِرة ريثما تُنتج ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غبّ ما أسَّسه الأولون ".

العاقبة السيئة لنبذ أحكام الله تعالى والتساهل في عدم تطبيقها

بعد استشهادها ﷺ بآيات الذكر الحكيم التي تنصّ على توريث الانبياء ﷺ لتركتهم، قالت ﷺ: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم ". في تصوير مفجع لعاقبة نبذ كتاب الله تعالى وأحكام دينه وراء ظهورهم، حينما يكون الخصم هو رسول الله ﷺ ، والحكم هو الله تعالى .

---

(١) الذناب: ذنب الطائر

(٢) القوادم: ريشات في مقدم الجناح

(٣) العجز – بفتح العين وضم الجيم –: المؤخر من كل شيء

(٤) الكاهل: ما بين الكتفين.

(٥) رغماً: كناية عن الذل: والمعاطس: جمع معطس (مكان العطسة) وهو الأنف.

الخاتمة:

لا شك أنَّ فكر السيدة الزهراء عليها السلام في منظومة المعصومين عليهم السلام يعدّ تقويماً إلهياً لأي تجربة بشرية تحاول أن تتدخل في التخطيط الإلهي الذي يهدف لإعطاء العالم الإنساني الهويّة الإلهية التي تربطه بعالم الغيب وتحقق له هدف الوجود .

ومن الواضح أنَّ الإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي، ولكن ينبغي أن يكون هذا الانفتاح على تلك الثقافات من خلال استراتيجية تضمن إيجابية هذا التعامل ؛ لأنَّ الانفتاح المذموم هو الذي أدّى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانهيار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب.

إنَّ وجود تيّارات تواجه الهويّة الدينية للمجتمع الإسلامي هي قضية طبيعية متكررة لابُدّ منها عبر الزمان المتغير، ولابُدّ من معالجتها بدراسة تلك المتغيرات الواقعة في كل عصر ليكون الفكر الديني بحجم التحدي المعاصر .

وهذه بعض النقاط التي تعد أهم الحلول الكفيلة بالحد من خطر الثقافة الغربية الغازية لبلاد العرب والمسلمين والتي تهدد هويّة المجتمع المسلم:

- تصدّي علماء الأُمّة ومفكريها للظواهر السلبية ومواجهتها بشتى الطرق، وعدم تجاهل هذه االمشاكل الفكرية والاجتماعية حتى لا تتفاقم .
- إنشاء مراكز ثقافية إسلامية تهتم بدراسة قضايا العصر الثقافية والاجتماعية ومتابعة الشبهات المتجددة لتحديد منشئها لمعرفة طرق علاجها واقتراحات كشفها بمختلف السبل التي تشمل عقد الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية .
- يجب أن تتولّى المؤسّسات التربوية دورها المهم في بث برامج تربوية في أوساط جميع شرائح المجتمع بداية من الأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد والإعلام بوسائله المختلفة، ولتصحيح المفاهيم الخاطئة التي أفقدت العبادة والمفاهيم الدينية روحها، فسببت تشويشاً فكرياً ووجدانياً، فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن العمل، والعبادة رهبنةً وانقطاعاً عن الحياة، وذكر الله سبحانه وتعالى أصبح تمتماتٍ وهمهماتٍ وأقوال بلا أفعال.
- ينبغي الاستفادة بالحد الأقصى من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، لأنَّ الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، ورسالة الإسلام جاءت للبشرية جمعاء وفي الوقت نفسه مراقبة الآثار السلبية لها ووضع

ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصّين، وتثقيف الأطفال والشباب وحمايتهم من الوقوع في دائرة خطر الغزو العلمي والتكنولوجي الجديد.

- معالجة آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك، والنظرية والتطبيق لدى الافراد بتقوية الجهاز الإدراكي والعمل على توسيع ثقافة البرامج التعقلية والفكرية التي تشحن النفس بالرغبة في التدبر والتفكر في الأمور، ونبذ سياسة التّقليد الأعمى .
- نشر ثقافة ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ﴾[1]، والاعتزاز بالدين كمنهج أصيل ووحيد يخرج الإنسان من ضيق الشبهات إلى سعة اليقين .
- التحذير الشديد من مخططات أعداء الإسلام والمسلمين الذين يحرصون على طمس الهويّة الإسلامية، وعلى تشويه صورة الإسلام، وعلى إثارة النزاعات والفتن بين المجتمعات الإسلامية من خلال القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، والتصدي لهم بكلّ الوسائل الممكنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) سورة ال عمران ٨٣

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الصحيفة السجادية – الامام علي بن الحسين –منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.

٢. كشف المحجة في شرح خطبة اللمة –خطبة السيدة فاطمة الزهراء – السيد عبد الله شبر – مكتبة فدك لاحياء التراث.

٣. المعجم الوسيط _ مجموعة من المؤلفين – انتشارات ناصر خسرو – طهران – ايران.

٤. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار – الشيخ محمد باقر المجلسي – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان ١٩٨٣ م.

٥. مسند أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل – تحقيق شعيب الارناؤوط – الجزء العشرون – مؤسسة الرسالة

٦. الجامع لأحكام القران – تفسير القرطبي – محمد بن احمد الانصاري القرطبي ابو عبد الله – مؤسسة الرسالة.

٧. شرح خطبة الزهراء – الشيخ مصباح يزدي mesbahyazdi.ir/ar/node/ / :http/ ٣٥٤٩.

٨. الزهراء فاطمة بنت محمد – عبد الزهراء عثمان محمد – دار الهادي – الطبعة الاولى.

٩. سنن ابي داود – سليمان بن الاشعث السجستاني – الجزء السادس – دار الرسالة العالمية ٢٠٠٩ م.

١٠. صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل البخاري – دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض.

١١. سلسلة الاحاديث الصحيحة – الالباني – محمد ناصر الدين – المجلد الرابع – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الرابعة .

١٢. الهوية حسن حنفي حسنين _ المجلس الاعلى للثقافة – الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية – القاهرة.

١٣. https://dochub.com/bisociology/EeD2ZP-0b2-13=4gJ3Z1bnqszsVhNhL5Sj&pg=c2y5bmeroqut5dhnvms1vcfe-pdf?dt

١٤.الإسلام و التعدد الحضاري: بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش – آية الله الشيخ الفضلي، عبد الهادي https://archive.org/details/moamenquraish_gmail_٢٠١٧٠٨٣٠_٠٨١٣

١٥. زمن التحولات الكبرى – مصطفى المسعودي – دار ناشري للنشر الالكتروني .www// :http٢٠١٢ nashiri.net/ebooks/doc_download/٣٣٨-.html

شهر
جمادی الآخرة

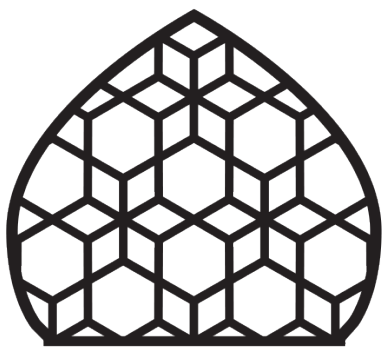

منهج أم البنين عليها السلام في التربية وبناء المجتمع الصالح

منهج أم البنين ﷺ في التربية وبناء المجتمع الصالح

م.د أمل محمد سلمان التميمي
م.م بشرى جابر محمدجواد

المقدمة

يكتسب الحديث عن السيدة فاطمة الكلابية المكناة بأمّ البنين ﷺ أهمّيّة خاصة نظراً للدور الريادي الذي أخذته البنين ﷺ، وقد لا نستطيع في هذا البحث وبعدة صفحات أن نلمس كثيراً من تفاصيل حياتها ﷺ منذ نشأتها وحتى التحاقها بالرّفيق الأعلى، ولكنّنا سوف نحاول أن نلقي بعض الأضواء على أهمّ المفاصل في تاريخها، إذ يُمثّل البحث إطلالة استكشافية لبعض مقامات ومواقف سيدة الوفاء وقدوة المؤمنات الصالحات كريمة الخلائق التقية الزّكية ﷺ، وتهدف الدِّراسة إلى التعرف على أهمّ المعالم الدّينيّة والتّربويّة في شخصيّة السيدة أم البنين ﷺوالتي تعدّ أنموذجًا للاقتداء بها لدى كلّ من النّساء والرّجال.

المبحث الأوّل: منهجية التّربية

أوّلاً: مفهوم المنهجية

لقد كثر استعمال ألفاظ النهج والمنهج والمنهاج، أو المنهجية في الأدبيات المعاصرة، والنهج والمنهج والمنهاج في اللغة بمعنى واحد، وكلّها تشترك في إشارتها إلى الطّريق، المستقيم، الواضح، الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر، كما تتضمّن معنى الإسراع في السير في الطريق لوضوحها أو في إنجاز العمل لوضوح طريقته والنهج هو الطريق المستقيم، ويأتي أصل هذه الألفاظ لغة من الجذر نَهَجَ وأَنْهَجَ بمعنى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» (سورة المائدة: الآية ٤٨) .

ثانياً: مفهوم التّربية

إنَّ التربية لغةً مشتقّة من أصول ثلاثة: الأصل الأول: ربا يربو، بمعنى زاد ونما، والأصل الثاني: رَبّ يَرُب بوزن مدّ يمُدّ، بمعنى أصلحه، وتولّى أمره، وساسه وقام عليه يقال: ربّ الشيء إذا أصلحه، وربّيت القوم أي: سُستُهم .أمّا الأصل الثالث: رَبِي يَربىَ على وزن خَفِي يَخْفَى، بمعنى نشأ وترعرع.

ويشير مفهوم التربية الى « عملية تبليغ الشيء إلى درجة الكمال التي هيّأها الله له، فهي تشمل جميع جوانب

النّفس الإنسانية أي جميع الجوانب الشّخصية الإنسانية وهي تستعين بوسائل منها التّعليم، والتعليم وسيلة للتربية ومدلوله أضيق من مدلولها لأنّه مرتبط بموضوع معيّن .(مدكور،١٩٩٨:٣).

أمّا التربية في مجال تنشئة الأولاد فهي عملية بناء ورعاية وإصلاح شيئًا فشيئًا حتى التمام، أي المضي مع النّشئ بالتدرج من الولادة حتّى سنّ البلوغ، والتربية بهذا المعنى فريضة إسلامية في أعناق جميع الآباء والأمّهات والمعلمين لغرس الإيمان وتحقيق شريعة الله وهي مسؤولية وأمانة لا يجوز التّخلّي عنها، حيث قال الله تعالى: (إِنّا عرضنا الْأَمانةَ علَى السماوات والْأَرضِ والْجِبالِ فَأَبين أَنْ يحملْنها وأَشفَقْن منها وحملَها الْإِنسانُ إِنه كَانَ ظَلُوماً جهولاً)(سورة، الآية). ويحتاج الأبوان ثقافة عالية في أساليب التّربية والتعامل بين الأبناء، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الحسن المجتبى عليه السلام قوله: (إنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التّجربة. (نهج البلاغة،٦٣٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ المفاهيم الحديثة في التربية هي: التربية من أجل التّنمية المستدامة والذي يعدّ من المفاهيم كثيرة التّردّد، وفيه يتمّ ربط التربية بالتنمية، وذلك من خلال تربية النّشئ على المشاركة في عملية التّنمية من خلال تزويده بالمعرفة، والقيم والاتجاهات، وإشراكه في دارسة كثير من القضايا المؤثّرة في التّنمية مثل الفقر والحروب والصراعات والمواطنة، وهي بذلك تأكّد على مفاهيم تشكّل عمود التربية من أجل التنمية المستدامة وهي التنوّع، حاجات أجيال المستقبل وحقوقهم، المواطنة والتنظيم، التغير المستمر، جودة الحياة، الاعتماد المتبادل، التردد والحيطة.(محمد،٢٠١٢: ٥١).

ويؤكّد (هويدي وحوامدي،٢٠١٦: ٥٢) بأنَّه قد فرض الانفتاح على العالم تحديات كبيرة، باتت تفرض مراجعة أدبيات النظام التربوي ومناهجه المعتمدة، بوصفها الوسيلة الأولى التي تعنى ببناء الفرد الصالح، والذي يعد أحد مقوّمات المجتمع، والمحافظة عليه واستمراريته، وتحقيق طموحاته وآماله، من هنا جاءت الحاجة الى الاهتمام بتربية المواطنة، من حيث أنّها عملية متواصلة لتعميق الحسّ والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن، وغرس احترام النّظام والاتجاهات الوطنية والنظم والتعليمات، وتعريف النّشأ بمؤسّسات بلدهم ومنظماتها الحضارية، وأنّها لم تأت مصادفة بل ثمرة عمل دؤوب وكفاح مرير، ولذا من واجبهم احترامها ومراعاتها، فضلاً عن الاهتمام بمنهج تربية المواطنة، حيث إنَّ أيّ منهج يسعى إلى إكساب ثلاثة عناصر أساسية(بحري،:٢٠١٥ ٩١) .

ثالثاً: أهداف المناهج التربوية الإسلامية

إنَّ المناهج التربوية الإسلامية تجمع بين تأديب النّفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، ودون تضحية بأيّ منها على حساب الآخر، فالفهم الإسلامي لهدف التربية هو إعداد الفرد ليكون نافعاً في مجتمعه ونفسه وسعيداً في دنياه وآخرته، فالأهداف العامة تتصف بأمرين: (دعيبل،٢٠١٧: ٨٢).

الأول: أنَّها تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني عامّة: حيث يتم إعداد الفرد المسلم في طريق التقدم، وفي نهاية الأمر يهيئ الفرد نفسه للحياة الاجتماعية السعيدة.

الثاني: أنَّها تبدأ بالدّنيا وتنتهي بالآخرة بأسلوب متكامل متناسق: فهو يتبنّى تنمية وترسيخ العقيدة الإسلامية عند الفرد المسلم وتحقيق العبودية لله تعالى .

رابعاً: أسس المنهج التربوي

لكلّ شيء أساس، وأسس المناهج التربوية يمكن استخلاصها كما يأتي: (دعيبل،٢٠١٧: ٨٥ – ٨٦)

الأساس المعرفي: ويعني النّظرة الإسلاميّة لجميع أنواع معارف العلوم التي يجب أن يتعلّمها الفرد المسلم او الجماعة حسب فائدتها ودرجة نفعها لهم، مع عدم معارضتها للتعاليم الإسلامية التي تنطلق منها؛ ويشمل الأساس المعرفي:

- **المعرفة**: حيث يهدف الجانب المعرفي من تربية المواطنة إلى تزويدهم بالمعرفة المدنيّة .
- **القيم**: فهي تُمثّل عنصرًا مهمًّا في العملية التّعليمية، ففي تدريسها توعية التلميذ بالأبعاد الأخلاقيّة، وذلك من خلال تنويرهم بقيم الديمقراطية، وحقوق الفرد، والتّضامن.
- **المهارات**: حيث ركّز الباحثون في مطلع الثّمانينيات على مناقشة العلاقة بين نموّ مهارة المدنيّة والمشاركة السّياسيّة، ومن أجل تحقيق ذلك لابُدَّ من التّركيز في تربية المواطنة على المهارات) الاتصال، التطبيقات العددية، تقنية المعلومات، التعلم الذّاتي من خلال التفكير، التّنمية المستدامة. وتشير المصادر إلى أنَّ أسلوب التربية الأبوية هو المناخ العاطفي الشامل في المنزل، وفي علم النّفس التنموي Diana (Baumrind) حدّدت ثلاثة أنماط رئيسة لتربية الأبناء في بداية نموّهم وهي: الموثوقية، السلطوية، والمتساهلة.(Spera ٢٠٠٥: ١٢٥-١٤٦).

لهذا فطبيعة المعرفة التي تكون المنهج تكون مستلّة من التّعاليم الإسلامية المستندة إلى الكتاب العزيز والسّنّة الصّحيحة للنبي ﷺ، فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ (العلم أكثر من أن يحصى فخذ من كلِّ شيء أحسنه).

- **الأساس الفكري**: لقد جاءت الشريعة مكتملة الجوانب لبناء الإنسان المسلم الذي يعمل لإسعاد نفسه ومجتمعه، فقد ضمنت تعاليم الإسلام العقيدة والعبادة وتشريع الحكم والفقه ونظام الأسرة والمجتمع وجميع ميادين الحياة وفق التّصوّر الإسلامي، أي أنَّ الإسلام بهذه المفاهيم هو أيدلوجية المجتمع المسلم، وهو عقيدة الفرد والجماعة وهو توجيه وتشريع . وهذا هو الأساس الفلسفي للتربية الإسلامية الذي ينادي بعبادة الله سبحانه وتعالى والإيمان بوحدانيته، وهو الذي خلق الإنسان وأكرمه، قال الله سبحانه تعالى: " ولقد كرّمنا بني آدم "(سورة الاسراء، الآية ٧٠)، واستخلفه في الأرض لتعميرها عالما بأنّ الأرض والكون جميعه مسخّر للإنسان، كما أنّه عامل هامّ وميدان واسع، وأن يكون العلم لله تعالى، فقد ورد عن الرسول محمد ﷺ (من تعلّم العلم لغير الله تعالى فليتبوّأ مقعده من نار) (كنز العمال / المتقي الهندي ج١٠ ص١٩٦)

الأساس النَّفسي: أنَّ علم النَّفس يتعامل مع الإنسان ككائن حي يرغب ويحسّ ويدرك وينفعل ويتعلم ويتخيّل ويُفكّر ويعبّر ويريد ويفعل مع تأثيره بالمجتمع الذي يعيش فيه كما يؤثّر هو أيضاً في ذلك المجتمع .

واعتمادا "على هذا الأساس فإنَّه على الطالب أن يخوض في فنّ من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم، فعن الإمام علي ﷺ: لا يحرز العلم إلا من يطيل درسه) (عيون الحكم والمواعظ / ص٤٥٠)

الأساس الاجتماعي: أنَّ التربية عملية اجتماعيّة، وهي انعكاس لقيم المجتمع وعقيدته وثقافته، وأنماط سلوكه، ولا يقتصر تأثير العوامل الاجتماعية على محتوى المنهج، بل إنَّها تؤثّر على كلّ ما يمكن أن يعدّ متمّماً للمنهج مثل المتعلم والعملية التعليمية، والمؤسسات التربوية والقوى البشرية العاملة في إتمام العملية التربوية، وقد أكَّد الاسلام أهمّيّة التربية في إعداد الإنسان الفرد ككائن اجتماعي متكيّف في المجتمع الإنساني .(الصافي، ٢٠١٣: ٥٨٠)

خامساً: أهمّيّة تنشئة الأبناء على القيم الأخلاقية:

تُعدّ القيم مجموعة القواعد التي يكتسبها الإنسان وتنظم سلوكه، وتتكوّن من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، وللقيم علاقة بالاتجاهات والمعتقدات والأعراف وبالشعور العام المشترك، بالتالي اكتساب القيم ليس فطريًّا إنَّما يُكتسب من خلال عمليات التّعلّم والتنشئة، ومن أهم القيم الأخلاقية نجد التربية الخلقية والدينية والتي تجعل الفرد عضواً صالحاً في المجتمع مثل الصّدق والمحبّة والتعاون والإخلاص وإتقان العمل وغيرها، وتنمي فيهم أهمّيّة المشاركة وخدمة المجتمع، بالتالي تستطيع الأسرة أن تغرس في أبنائها مثل هذه الأخلاقيات والفضائل والعادات والقيم الاجتماعية، فتعليم الأسرة لأبنائها أمور عقيدتهم، منذ بداية حياتهم كيف يعامل أبناء دينه وكيف يتعامل مع أبناء الأديان الأخرى بما يرضي المجتمع ولا يغضب الله سبحانه وتعالى ولا يتنافى مع عقيدتهم، فالأخلاق الفاضلة أجمل ما يكتسبه الأبناء، وهي بمثابة مرآة تعكس شخصيّتهم (سميرة ،٢٠١٧: ١٣٨-١٣٩).

ولأهمية التربية جعلها الله تعالى وظيفة من وظائف النبوة فقد قال الله تعالى عن مهمّة سيدنا محمد ﷺ:

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ﴾ والتزكية هي التربية ﴿ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (سورة الجمعة: الاية ٢)

وبما أنَّ المجتمع هو مجموعة أسر، والأسرة مجموعة أفراد، وإذا صلح الفرد صلحت الأسرة، وصلح المجتمع، والعكس صحيح، يقول بن خلدون في مقدّمته الشهيرة: (إنَّ الدول ترقى وتنحط بقدر ما تكون الأسر فيها قويّة أو ضعيفة).

المبحث الثّاني: السّيّدة أم البنين ﷺ الشخصية والمنهج

أوّلاً: أهمّيّة دراسة الشّخصيّات التاريخية

من خلال العقيدة الإسلامية نجد بأنَّ جميع الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها؛ لأنَّهم يحملون الأحكام الإلهية للبشر، ولا يمكن أن يكون هناك تفاوت ولو بسيط بين التعاليم التي جاؤوا بها سلوكًا أو تصرّفًا مهما كان بسيطاً؛ لأنَّهم يُمثّلون القدوة للبشرية في سلوكهم وكلامهم ومواقفهم طوال حياتهم، وينطبق ذلك على الدّيانات أيضًا، فالله سبحانه وتعالى لا يختار للرسالة سوى تلك الشّخصيّات التي تمتلك كفاءات وصفات قادرة على حمل عبء الرّسالة، والتي تكون من أفضل شخصيّات عصرها علماً و ورعاً و عفّة وصدقاً وحكمة وشجاعة وصبراً وقيادةً .

وقد يمجّد التاريخ العظماء والمبدعين والبارزين فنلاحظ أنَّ أغلب من تنطبق عليهم هذه الصفات هم من الرجال، وإن كانت امرأة فلأنها قد تحدثت أمرا "في التاريخ أو اخترعت اختراعاً"، ولكن لم نسمع أو نرَ أو نقرأ عن امرأة مجّدها التاريخ لكونها أنجبت الفحول أو وهبت أعزّ ما تملك أو أنّها كانت قد رصدت كلّ ما تملك لنصرة الإسلام وإمام زمانها .. إلا نساء قلائل، ومنها السيدة الطاهرة أم البنين (www.alkafeel.net/ fourms .

وتشير المصادر إلى أنَّ السيدة أم البنين ﷺ تعدّ الشخصية التأريخية الباهرة الفذّة التي أفنت حياتها كلّها في تربية الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السّلام (آل طعمة، ٢٠٠٨: ٤٣).

لقد كانت السيدة أم البنين ﷺ منارًا استضاءت به قوافل التضحية فأخذت منها الكثير الكثير لتحمل ما لم يستطع حمله سواها، فهي المضحّية من الصّنف الأوّل دون منازع ودون بديل سوى مرضاة الله ورسوله ﷺ وذرّيّته (صلوات الله عليهم أجمعين) . (الفتال، ٢٠١٠:٣٠)

ثانياً: أنموذج المرأة الصالحة

إنَّ دراسة شخصية السّيّدة أم البنين ﷺ تعدّ من اللبنات الأساسيّة لغرض السير باتجاه حركة التّكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع، وبالنظر لما أحرزته من فضل عظيم ومكانة متميزة في تأريخ الإسلام فإنَّ ذلك يدفع باستجلاء معالم تلك السيرة والتعاطي مع دلالاتها المتواصلة مع مسيرة الحياة بما تحمله من متطلبات ومستجدات سواء على صعيد حياتها الشخصية وبما تحمله من أسرار العظمة المتجسدة في عفتها وعبادتها وزهدها وعلمها، او على صعيد حركتها في واقع الحياة وما اشتملت عليه من جهاد وصبر و مواقف صلبة .

عاشت السيدة الجليلة أمّ البنين مع أهل البيت ﷺ عطوفة على سادتها أولاد أمير المؤمنين ﷺ عطف الأم

الرؤوف إلى أن رزقها الله تعالى أبناء طاهرين، وإذا بها تُربّيهم تربية لا نظير لها.

أم البنين ﷺ هي السيدة الكريمة والمرأة المعطاء التي قدّمت أبناء رسول الله ﷺ على أبنائها في الخدمة والرعاية، ولم يعرف التاريخ أن شريكة تخلص لأبناء شريكتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكية. (الخلخالي،١٤٢٣: ٨٤)، حيث كانت ترى ذلك واجباً دينيًّا لأنَّ الله أمر بمودّتها في كتابه الكريم فقال تعالى: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى) (سورة الشورى – الآية ٢٣).

فقد قدّمت أبناءها فداء لإمام الحق الإمام الحسين ﷺ دفاعاً عن القضيّة الحقة، التي نادى بها الإمام الحسين ﷺ، فكان ولدها العباس وإخوته الثلاثة من السباقين من آل أبي طالب للذهاب إلى ساحة الوغى لنيل الشهادة دفاعاً عن الثورة الحسينة المباركة.

لقد كان لسعة اطلاع السّيّدة الطاهرة أمّ البنين ﷺ في الأمور وإخلاصها الكريم وماضيها المجيد أثر حاسم في تعلق الناس بها، وثقتهم ومحبّتهم التي ليس لها نظير، فاستطاعت بحكمتها وصبرها، وبُعد نظرها التغلب على كلّ الصّعاب .. وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدلّ على حنكتها وجلدها ومعدنها الأصيل ضمن إطار الأخلاق العربية والتربية الإسلامية الأصيلة وتقاليدها في التعامل مع الجميع في احترامها لهم .

يمكن القول بأنَّ ركائز الفرد الرّوحية والأخلاقيّة تستند إلى بوادر تربيته وبيئته وبيته الذي نشأ فيه ابتداءً من تغذيته من لبن أمه إلى سلوكه وأفعاله وأقواله، وفيما يلي توضيح عن هوية السيدة الفاضلة أم البنين ﷺ .

(الكرباسي، ٢٠٠٥: ١٣).

الاسم: فاطمة

الكنية: أم البنين.

الأب: حزام بن خالد بن ربيعة الكلابي.

الأم: ثمامة (ليلى) بنت سهيل الكلابية.

اللقب: الكلابية.

الولادة: قبل سنة ٤ قبل الهجرة في أطراف المدينة (قبل سنة ٦١٨ م).

الوفاة: ١٣/ جمادى الآخر / ٦٤هـ المدينة (١٧/ كانون الثاني/ ٦٨٤ م).

المدفن: البقيع الغرقد – المدينة – الحجاز .

ثالثاً: السيدة أم البنين عليها السلام مدرسة متكاملة للأجيال

لا تزال السيدة الطاهرة أم البنين عليها السلام من أبرز أعلام نساء التاريخ، ولا ريب أنَّها كانت من أبرز مصاديق "عمال الله في الأرض" وفق روايات أهل البيت عليهم السلام، إلا أنَّ المؤسف له أنَّ التاريخ لم يُعطها حقّها، كما هو شأنه مع الأبرار فإنّ تفاصيل حياتها مع زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ومع أبناء رسول الله لا يمكن العثور عليها في المصادر، ومما لا شكّ فيه أنَّها كانت زوجة مثالية رغم أنَّها لم تكن معصومة كفاطمة الزهراء عليها السلام، لقد تغافل المؤرّخون والرّواة عن متابعة تفاصيل حياة امرأة تُعدّ لوحدها (أمّة) و (مدرسة) متكاملة للأجيال، ولعل من جملة الأسباب الكامنة وراء ذلك: (الخلخالي، ١٤٢٣: ١١ – ١٢)

أ. أنَّها كانت زوجة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، عاشت في كنفه وفي ظل بيت ضم من قبلها فاطمة عليها السلام، ومن ثم ضم الحسن والحسين وزينب، ومن غمرته أنوار الشمس تضاءل شعاعه مهما كان منيرًا .

ب. كانت من المخدّرات المستورات، فكيف يروي لنا التاريخ قصّة مجموعة لا تصل العيون إلى ظلّها واشباح شخصيتها.

ج. لم تكن أمّ البنين عليها السلام من بنات الطواغيت التي يطبّل لها المؤرخون.

د. أم البنين عليها السلام وأبناؤها مفردة من المفردات المنسوبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وبيت أمير المؤمنين عليه السلام ظلمه التاريخ في كلّ تفاصيل حياته وبكلّ ما سميت إليه بصلة من قريب او بعيد.

رابعاً: ما جاء في سمو شخصية السيدة أم البنين عليها السلام

لقد سبق الإسلام الأمم كافة في اعتبار المرأة شريكة للرجل في الحياة بنصّ قول الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (سورة الروم – الآية٢١)، وقرّر بأنّها كائن متمتّع بكلّ الخصائص الإنسانية التي تؤهّلها لأرقى مراتب الكمال البشري، إنَّ للشخصيات التاريخية الأثر الكبير في صناعة حياة الشعوب وأن يكون هذا الارتباط هو انسجام مع مواقف تلك الشخصيات النبيلة، وإن العمل بنهجهم وأخذ العظة والعبرة من منهجهم وتضحياتهم، وكيف أن التأريخ دوّنهم في صفحاته المشرقة، وأصبحوا قدوةً وأسوة لكلّ بني البشر، فكيف وإذا كانت هذه الشخصية ربيبة البيت العلوي؟؟!!، ربيبة الذي قال علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي في كل باب ألف باب. إنّها أم البنين: شخصية لم تتكرر في تاريخ البشرية من حيث الوفاء والتقرب لله جل وعلا في كل مواقفها، وكلّ هذا سببه الإيمان بالله إيمانًا حقيقيًا والارتباط الحقيقي والتسليم والاعتقاد بالجهة الشرعية، كيف جعل من هذا المرأة أن تسمو وأن ترتقي إلى النموذج الإيماني الذي أراده الله للإنسان.

تؤكِّد الدراسات لشخصيّة أمّ البنين ﷺ بأنَّ هذه السيّدة الجليلة كانت من أصلب المؤمنات على تحمّل الصّعاب، فهي تطلب المجد والكرامة، والمجد لا يُنال إلاّ بالمصاعب، وركوب المخاطر، والتّضحية والاستبسال، وعليه تُعدّ السيدة أمّ البنين القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يُحتذى به، فقد كانت عنوانًا للثبات والإخلاص، والبسالة والتّضحية، والفداء والشّرف، والعزّة والكرامة في سبيل الحقّ والعدالة، فسيرة العظيمات تربي العظيمات، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزهد والتقوى، فسيرتهنّ تربية للرجال والنساء والبنين والبنات وللبشرية جمعاء، ولم تكن هذه المنزلة لتتسنّى لها من دون سعي شخصيّ وكدح نحو الكمال والتّرقّي في سلّم ودرجات الإيمان، ومن دون نشأة حسنة وتربية طاهرة تلقّتها من بيتها وأسرتها التي نشأت في ربوعها، ومن دون عناية واهتمام وتربية وتكفل الإمام المعصوم لها، ومن دون رعاية الله سبحانه لها أولاً وآخرًا، وقد كفلها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، كما كفل زكريا مريم بنت عمران، واصطفاها لتنجب أربعة أبطال شاركوا أخاهم الحسين ﷺ نصرته وإحياء شريعة الله سبحانه، بعد أن كادت تموت على يد الأمويين ومن سبقهم من الحكّام، كما اصطفى مريم بنت عمران لتنجب نبي الله عيسى بن مريم ﷺ، الذي أحيا دين الله وشريعته التي أماتتها اليهود وضيّعت أحكامها، وكانت لها منزلة كبيرة عند الحسن والحسين وعند زينب العقيلة، و قد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تقدم لها العزاء بمصرع أولادها الأربعة، كما كانت زينب ﷺ تتعهّد زيارة أم البنين حيث كانت تقوم زينب بزيارتها مع مجموعة كبيرة من النساء و الفتيات المؤمنات.

خامساً: مقامات أم البنين ﷺ

لقد نالت السيدة ام البنين ﷺ مقامات عالية كنموذج للصالحات وقدوة للعظماء، نورد منها ما يلي:

١- مقام الرضوان: وهو مقام رضى المعصومين والأنس معهم ﷺ وهو مقام القرب الإلهي، وهو مقام عظيم جدًّا، ونالت السيدة أم البنين هذا المقام لأنَّ السّيّدة فاطمة الزهراء ﷺ رضيت عنها.

٢- مقام الدرجات العظمى: وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ هذا المقام بقوله: "إنّ سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلا من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا"، وقد شهدت السيدة زينب ﷺلأمّ البنين هذا المقام بعبارة وردت عن لسان السيدة زينب قالت فيها: أم البنين شريكتنا في المصاب. لذلك عندما وصلت المدينة أخبرتهم ألّا يدخل أحد علينا الدار إلا شريكاً لنا في المصاب، ولمّا دُقّ الباب وذهبت إحدى بنات الحسين ﷺ لفتح الباب، فعندما رأت أم البنين وسمعت زينب صوتها أدخلتها فوراً قائلةً: أم العباس شريكتنا في المصاب، وتلقّتها بحرارة ودموع ومواساة.

٣- مقام الشفاعة: في زيارة عاشوراء نذكر في الدعاء (اللهم ارزقنا المقام المحمود لك عند الله)، والمقام المحمود

هو مقام الشفاعة، نالت أم البنين عليها السلام هذا المقام فهي مع أهل البيت عليهم السلام ومُشفّعة عندهم.

٤- مقام النفس المطمئنة: نالت أم البنين مقام النفس المطمئنة لأنّها من أوّل يوم دخلت به بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت تعلم ما هو دورها وما هو تكليفها، ومن الاختبارات التي وقعت بها عليها السلام واستحقت أن تنال هذا المقام حين أنجبت أبا الفضل العباس عليه السلام، جاء أمير المؤمنين عليه السلام وحمله وكان يُمعن النظر في كفّيه ويُقبّلهما كثيرا، فسألته أم البنين: سيدي أمير المؤمنين أراكَ تُمعن النظر في كفيه؟ أفيهما عيب خلقي؟ قال: لا ولكن أقبلهما لما سيجري على تلك الكفّين. فسألته عمّا سيجري فقال لها: تُقطع هاتان الكفّان نصرة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام. هنا سألت أمّ البنين: تُقطع كفّيه وفي سلامة للحسين؟! فقال لها: لا، هناك شهادة للحسين عليه السلام، هنا بكت أم البنين لما سيجري على الحسين ولم تبكِ عندما علمت بقطع كفّي العباس. فأيّ دور عظيم ومكانة عظيمة وصلت لها تلك المرأة الجليلة!.

٥- مقام استغفار الملائكة: نالت عليها السلام هذه الهدية لعظيم شأنها عند الله تعالى، ولعظيم إيمانها وشدّة قربها من أهل البيت عليهم السلام، ورغم أنّ ليس لقبرها الشريف قبة إلا أنّ ملائكة الرحمن تستغفر لها ولزوّارها ولمن يزورها من قريب أو حتى من بعيد.

٦- مقام الولاية لأمّ البنين: حيث كانت تروي حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:" ولي محمد من أطاع الله وإن بعُدت لحمته، وعدو محمد من عصى الله وإن قرُبت لُحمته، فأم البنين نالت كل تلك المقامات العالية بأفعالها وليس فقط بصفتها زوجة أمير المؤمنين عليه السلام.

٧- مقام القدوة: لقد ورد عن العلامة الحلي (في منتهى المطلب ج ٦، ص ٧): إذا فعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً على جهة الوجوب وجب علينا اتّباعه، فيه إلّا أن يعلم تخصيصه به، لقوله تعالى: (لَقَد كَان لَكُم فِي رسولِ الله أُسوةٌ حسنَةٌ لِمن كَان يرجو اللهَّ والْيوم الآخر.((سورة الاحزاب – الآية ٢١) وهو أشرف مقام في عالم الدنيا.

المبحث الثالث دور ام البنين في رعاية أبناء رسول الله

اولاً: أم البنين عليها السلام ورعايتها لسبطي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لقد بلغت السيدة أم البنين عليها السلام درجة من الفضل والكمال حيث رضي أمير المؤمنين عليه السلام بخلقها ودينها، فأقدم على الزواج منها،حيث استشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً في امرأةٍ يتزوجها ذات مواصفات محددة، تنتمي إلى أفضل بيوتات العرب في الشجاعة والبأس، حيث أورد المؤرخون بأنّه قال لأخيه عقيل: «اطلب لي امرأةً ولدتها شجعان العرب، حتى تلد لي ولداً شجاعاً»، وفي لفظ آخر قال: «انظر إليّ امرأةً قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها، فتلد لي غلاماً فارساً»، فقال له عقيل: تزوّج أمّ البنين الكلابية، فإنّه ليس في العرب

أشجع من آبائها. ومن خلال هذين النصين نجد بأنّ الإمام علياً ﷺ قد راعى الجانب الوراثي الذي أكّده رسول الله ﷺ بقوله: « أَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَ انْكِحُوا فِيهِمْ وَ اخْتَارُوا لِنُطَفِكُم... وتَزَوَّجُوا فِي الْحُجْزِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاس». (الكافي الشريف:٥/ ٣٣٢.مكارم الأخلاق:١٩٧)، وقد أُثبت علمياً أنّ الوراثة إحدى العوامل الأساسية في تربية الأجيال. لما دخلت بيت أمير المؤمنين ﷺ كانت ترعى أولاد الزهراء ﷺ أكثر مما ترعى أبناءها، وتؤثرهم على أولادها تعويضًا لما أصابهم من حزن وفقدان حنان لموت أمّهم الزهراء البتول، وقالت يوما إلى أمير المؤمنين ﷺ يا أبا الحسن: نادني بكنيتي المعروفة (أم البنين) ولا تذكر اسمي فاطمة فقال لها الإمام ﷺ لماذا؟ قالت أخشى أن يسمع الحسنان فينكسر خاطرهما ويتصدّع قلبهما لسماع ذكر اسم أمّهما فاطمة؛ لذا صار لها جاه عظيم وشأن كريم عند الله وعند رسوله وأهل بيته الغر الميامين.

كانت أم البنين من النساء الفاضلات العارفات بحقِّ أهل البيت، مخلصة في ولائهم، ممحضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة المنورة تُعزّيها بأولادها الأربعة، كما كانت تزورها أيّام العيد، وبلغ من عظمتها معرفتها وتبصرتها بمقام أهل البيت ﷺ، فمنذ الساعات الأولى التي شاء الله تعالى أن يجعل من فاطمة أم البنين زوجة لعلي ﷺ تحوّلت إلى مثال للمرأة المؤمنة ورمز للحب والوفاء، فعندما تزوّج منها أمير المؤمنين علي ﷺ وجاء بها أهلها لدار أمير المؤمنين ﷺ لم تدخل إلى بيت الطهارة قبل أن تلمس رضا الحسنين عنها، فانحنت إجلالاً تستأذنهم أن تكون خادمة في بيتهم، فدخلت الدار وهي تتشرّف بخدمتهم للرعاية والتربية والقيام بواجبهم، وعليه تُعدّ السيدة أمّ البنين القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يُحتذى به، فقد كانت عنواناً للثبات والإخلاص، والبسالة والتضحية، والفداء والشرف، والعزّة والكرامة في سبيل الحقّ والعدالة، فسيرة العظيمات تربي العظيمات، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزهد والتقوى، فسيرتهن تربية للرجال والنساء والبنين والبنات وللبشرية جمعاء. وأمّا في أخلاقها وآدابها ومشاعرها (ا)، حيث يؤكّد (الشيرازي،٢٠٠٠:٢٧) بأنَّ السيدة أم البنين ﷺ في غاية الأدب والأخلاق، فقد قالت لعلي أمير المؤمنين ﷺ، لا تُسمّني فاطمة،! لأنَّ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ﷺ يتذكّرون أمّهم ويتأثّرون بذلك، ولذا سمّاها ﷺ بـ (أم البنين)،على ما هي العادة عند العرب من الكنية لا باعتبار الانطباق الخارجي، بل باعتبار الانتخاب، والله سبحانه رزقها أربعة أولاد (مثل بدور الدجى) فصاروا مفخرة البشرية إلى يوم القيامة.

ثانياً: دور أم البنين ﷺ بإثارة أهل المدينة

أي مشروع لا ينجح إلّا أن تكون المرأة محوراً فيه فالمرأة نصف المجتمع، وإذا أردنا لأيّ مشروع أن ينجح فلابُدَّ

أن تكون المرأة محوراً فيه حتى تكون وسيلة لتفاعل نصف المجتمع مع هذا المشروع وأهدافه، فالصوت الهادر بالعلم والعاطفة المتمثل بصوت العقيلة زينب ﷺ كان محوراً أساسياً لنجاح حركة أبي عبد الله الحسين ﷺ والدليل على ذلك أنَّ السلطة الأمويّة أخرجت العقيلة من المدينة(الخباز، ١٤٣٦هـ:٣٨)

لقد دأبت السيدة أم البنين ﷺ على إعلام الناس بزيف بني أميّة وظلمهم وفجورهم بعد فاجعة كربلاء عام ٦١ هـ، فكانت في بكائها وبلاغتها سيفًا للحقّ ضد الباطل، فبالنياحة حيث إنّها أقامت مجالس العزاء، وكانت هذه المجالس التي لا زالت مستمرة في العالم الإسلامي حتى اليوم بمثابة مؤسّسة إعلامية تتميّز بالتعبئة العاطفية، والتوعية الدّينية إلى جانب التزكية والتربية، فلقد كان بكاء السيدة أم البنين ﷺ ذا هدف رسالي، حيث إنَّه لم يكن بكاءً ذليلاً، ولا ندماً على ما مضى ولا جزعاً من المصائب وإنّما كان بكاء تحدّ وإيقاظ، وقد ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ – أنَّه قال] أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي ﷺ دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً [. (القمي ١٤١٧ه:٢٠١)

عندما اقتربت المنيّة من السّيّدة أمّ البنين ﷺ وفارقت الحياة بكى لفقدها الإمامان زين العابدين والباقر ﷺ بكاءً شديداً، وضجّت المدينة حزناً وأسىً على فقدها.(الابراهيمي، ب ت، ٢٨)

زيارة أم البدور السواطع المكناة بأم البنين ﷺ

اللهم صل على محمد وآل محمد، أَشهَدُ أَن لا إلهَ إلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أنَّ مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنين، السَّلامُ عَلَيكِ يَا فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِين، السَّلامُ عَلَى الحَسَنِ وَالحُسَينِ سَيِّدي شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة.

السَّلامُ عَلَيكِ يَا زَوجَةَ وَصِيِّ رَسَولِ الله، السَّلامُ عَلَيكِ يَا عَزِيزَةَ الزَّهرَاءِ عَلَيهَا السَّلام، السَّلامُ عَلَيكِ يَا أُمَّ البُدُورِ السَّوَاطِعِ فَاطِمَةَ بِنت حزَام الكلابيّة، المُلَقَّبَةُ بِأُمّ البَنِين وَبَاب الحَوَائِج، أُشهِدُ اللهَ وَرَسُولهُ أَنَّكِ جَاهَدتِ في سَبِيلِ الله، إذ ضَحّيتِ بِأَولَادَكِ دُونَ الحُسَين بنَ بِنتِ رَسُولِ الله، وَعَبَدتِ اللهَ مُخلِصَةً لَهُ الدِّين بِولائِكِ لِلأَئِمَّةِ المَعصُومِين عَلَيهِمُ السَّلام، وَصَبَرتِ عَلَى تِلكَ الرَزِيَّةِ العَظِيمَةِ، وَاحتَسَبتِ ذَلِكَ عِندَ الله رَبّ العَالَمِين، وَآزَرتِ الإمَامَ عَليَّاً في المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِب، وَكُنتِ في قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالوَفَاء، وَأَنَّكِ أَحسَنتِ الكَفَالَة وَأَدَّيتِ الأَمَانَة الكُبرى في حِفظِ وَديعَتَي الزَّهرَاء البَتُول الحَسَنِ وَالحُسَينِ وَبَالَغتِ وَآثَرتِ وَرَعَيتِ حُجَجَ الله المَيَامِين، وَرَغبتِ في صِلَةِ أَبنَاء رَسُولِ رَبِّ العَالَمِين، عَارِفَةً بِحَقِّهِم، مُؤمِنَةً بِصِدقِهِم، مُشفِقَةً عَلَيهِم، مُؤثِرَةً هَوَاهُم وَحُبَّهُم عَلَى أَولَادِكِ السُّعَدَاء.

فَسَلامُ الله عَلَيكِ يَا سَيِّدَتي يَا أُمَّ البَنِين مَا دَجَى اللَّيلُ وَغَسَق، وَأَضَاءَ النَّهَارُ وَأَشرَق، وَسَقَاكِ الله مِن رَحِيقٍ مَختُومٍ، يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون، فَصِرتِ قدوَةً لِلمُؤمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ، لأَنَّكِ كَرِيمَة الخَلائِق، عَالِمَةً مُعَلَّمَةً، نَقيَّةً زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللهُ عَنكِ وَأَرضَاكِ، وَلَقَد أَعطَاكِ اللهُ مِن الكَرَامَات البَاهِرَات، حَتَّى أَصبَحتِ بِطَاعَتكِ لله وَلِوَصيِّ الأَوصِيَاء وَحُبّك لِسَيِّدَة النِّسَاء الزَّهرَاءِ، وَفِدَائكِ أَولادكِ الأَربَعَة لِسَيِّدِ الشُّهَدَاء بَابَاً لِلحَوَائِج، فاشفَعِي لِي عِندَ الله بِغُفرَانِ ذُنُوبِي وَكَشفِ ضُرِّي وَقَضَاءِ حَوَائِجِي، فَإِنَّ لَكِ عِندَ الله شَأنَاً وَجَاهَاً مَحمُودَاً، وَالسَّلامُ عَلَى أَولَادكِ الشُّهَدَاء، العَبَّاس قَمَرُ بَنِي هَاشِم وبَاب الحَوَائِج، وَعَبد الله وَعُثمَان وَجَعفَر، الَّذِينَ استُشهِدُوا في نُصرَةِ الحُسَينِ بِكَربَلاء، وَالسَّلامُ عَلَى ابنَتكِ الدُّرَّة الزَّاهِرَة الطَّاهِرَة الرَّضيَّة خَدِيجَة، فَجَزَاكِ اللهُ وَجزَاهُم الله جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فيهَا، اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

نتائج البحث

مما توصل إليه البحث من نتائج:

- إنَّ السيدة أم البنين ﷺ هي الأسوة الحسنة، فهي خير مثال للمرأة النموذجية في التربية حيث تكون قدوة وأسوة في المجتمع ليس فقط للمرأة بل حتى للرجل أيضاً، وتعدّ الزوجة المثلى لكلّ امرأة تريد أن تتخذها قدوة في حياتها الزوجية وذلك بصريح الآية الكريمة " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" .(سورة الاحزاب – الآية ٢١).
- جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على المقامات السامية لسيدة الوفاء أم البنين ﷺ، مع إيضاح أهمّيّة التربية وفق القيم والمبادئ الإسلامية الأصيلة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب والدوريات

١. الابراهيمي، عيسى عبد الكريم، «ظلامة ام البنين بين ازمة التاريخ وتقصير المؤرخين، ب ت.

٢. الخباز، منير، « المشروع الحضاري في حركة سيد الشهداء ع مجلة صدى الاربعين الخاصة بشهر صفر / ١٤٣٦هـ،ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة العباسية المقدسة.

٣. الخلخالي، علي رباني،» ام البنين النجم الساطع في مدينة النبي الامين «أمؤسسة دار الكتاب الاسلامي،١٤٢٣.

٤. الشيرازي، السيد محمد الحسيني، « السيدة ام البنين «، هيئة محمد الامين، ط٢، ٢٠٠٠.

٥. الصافي، السيد جواد،» الموسوعة الشاملة لجميع طرق تربية الطفل»، دار المحجة البيضاء ط١، ٢٠١٣.

٦. الفتال، حسن كاظم، « ام البنين ﷺ منار الوفاء... ألق التضحية «، دار الضياء النجف الاشرف ط١، ٢٠١٠.

٧. القمي، جعفر بن محمد بن قولويه، « كامل الزيارات «،ط١، مؤسسة النشر الاسلامي / مؤسسة نشر (الفقاهة)، ١٤١٧ هـ .

٨. الكرباسي، محمد صادق محمد،» لبوة العرين واشبال ام البنين «، بيت العلم للنابهين، لبنان بيروت،٢٠٠٥ م .

٩. بحري، منى يونس، المنهج التربوي)أسسه و تحليله(، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ٢، عمان، ٢٠١٥ .

١٠. خيضر – بسكرة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم العلوم الاجتماعية- ٢٠١٧ .

١١. دعيبل، محمد، « المناهج التربوية في الاسلام، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة الثقافية الاسلامية العدد ٧٨ ربيع الاول – ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / تشرين الثاني – كانون الاول/ ٢٠١٧ م .

١٢. سميرة، ونجن، « إسهام الأسرة التربوي في تفوق الأبناء دراسيا « مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع التربية، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة محمد

١٣. محمد، طاهر محمد الهادي،" أسس المناهج المعاصرة»، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢٠١٢،١.

١٤. مدكور، علي أحمد، مناهج التربية-أسسها وتطبيقها»، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ .

١٥. هويدي،عبد الباسط و حوامدي الساسي» المناهج التربوية و دورها في تنمية قيم المواطنة "، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية- جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي، العدد ١٥، مارس، ٢٠١٦،. (٦٠ – ٥٢

١٦- Spera C (٢٠٠٥). A review of the relationship among parenting practices parenting styles and adolescent school achievement. *Educational Psychology Review* ١٧(٢)، ١٢٥-١٤٦.

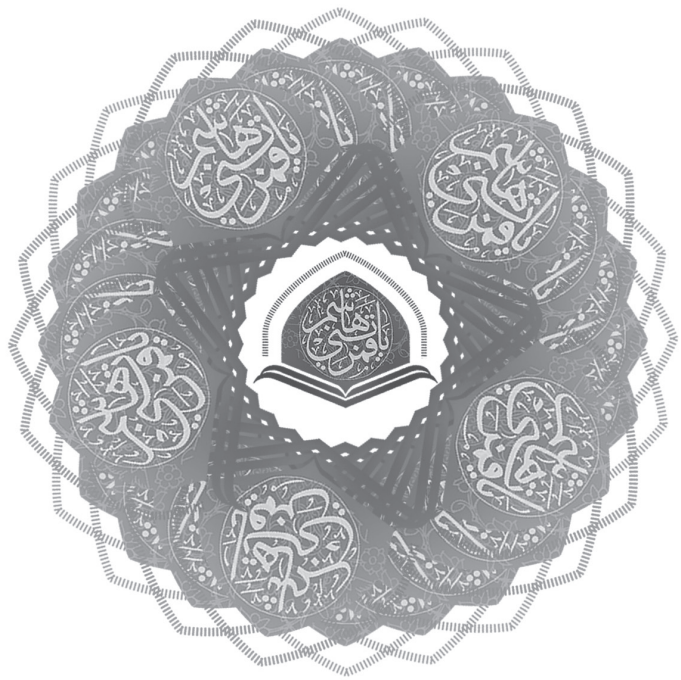

القصيدة

في رثاء
الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمد علي كمّونة الكربلائي

ما بال عينك بعد كشف غطائها ... قذف الأسى إنسانها في مائها
هل مدَّها قلبي فأجرته دماً ... لما أذابته الهموم بدائها
لعصابة أورى الظما أحشاءها ... فقضت ولم يبرد جوى أحشائها
لله طائفة بعرصة كربلا ... بفنائها طاف البقا بصفائها
فئة أباة الضيم تدري أنها ... ورثت إباء الضيم من آبائها
هاجت بها عزماتها فتزاحمت ... بأزائها الأقدار تحت لوائها
ونضت مواضي بأسها فقضى القضا ... بشبا مواضيها على أعدائها
فكأنمَّا أجرته أحكام القضا ... وجرت به الأقدار عن إمضائها
وقواعد الإيمان عن إيمانها ... تنبيك أن بها قوام بنائها
ولكم لها في كل علم غامض ... عين تولى الله كشف غطائها
نظرت إلى الملكوت فاشتاقت لمن ... في عالم اللاهوت من نظرائها
خاضت غمار الحتف حتى خضبت ... دون ابن فاطمة بفيض دمائها
فكفى بها فخرا لها وكفى به ... ذخرا أعدته ليوم جزائها
ولقبض أنفسها تجلى ربها ... فاستشهدت والله من شهدائها
فاستبشرت بلقائها نظراؤها ... واستبشرت نظراؤها بلقائها
فنفوسها في مقعد الصدق الذي ... هو منتهى آمالها ورجائها
وجسومها في الخلد ألا إنها ... طبعت بعرصة كربلا لصفائها
فترابها شرفا بها تستفُهُ المر ... ضى فتستشفي به من دائها
عقدت على قلبي بحبل ولائها ... فجرى لساني لاهجاً بثنائها

أثنى عليه حامداً وبمهجتي تذكار وقعة كربلا لرثائها
مستسلماً سئم الحياة وشاقه قرب المنية رغبة للقائها
من بعد ما أعيا القضا وجواري الأقدار جريا صبره لبلائها
غشيته حيث له تجلى ربَّه أنوار وجه الله في لئلائها
فقضى وفاضة للتجلي نفسه ومن التجلي مبتدا إنشائها
وتعطلت أفلاكها والخسف وا رى بدرها واسود وجه ذكائها
وبوجهه الوضاح جلى نورها فتبلجت وأمدها بضيائها
والأرض بالزلزال آن زوالها وبجسمه ثبتت على أرجائها
والعيس أنحلها حنين نسائه لما سرت أسرى على إنضائها
ولئن نسيت فلست أنسى زينباً ودوام محنتها وطول عنائها
حملت من الأرزاء ما أعيا بالورى حمل اليسير النزر من أعبائها
عن كربلا وبلائها سل كربلا سل كربلا عن كربلا وبلائها
طورا على القتلى تنوح وتارةً تحنو محافظة على أبنائها
وتطوف حول حمى أباد حماته صرف الردى وأباح هتك نسائها
من مبلغ عني سرايا هاشم خبراً يدك الشم من بطحائها
ومهيج الأبطال أعضاد القضا ومظاهر الأقدار في هيجائها
حسدت جلالة قدرها الدنيا وقد أغرت بني حرب بهتك خبائها
حسرى وعين الشمس أوضح آية في صونها بسفورها وخفائها
فمتى توهم أن يراها ناظر ردته عنها خاسئا بسنائها
سبيت وأعظم ما شجاني غيرة يا غيرة الإسلام سلب ردائها
ووقوفها في مجلس جلاسه أهوى بها الشيطان في أهوائها
وعن الصراط المستقيم أضلها فغدت تخبط في العمى لشقائها
قتلت حسيناً ظامئاً وبرأسه فخرت مجالس شربها وغنائها
نكتت ثناياه وما برح الثنا وجميل ذكر الله في أثنائها
وعلى منابر جدّه خطباؤها جعلته مورد سبها وهجائها